وثائق تاريخ العرب الحديث



دكتور عبد العزيز نوار

النهضة العربية الحديثة

حركة على بك الكبير - التنافس الإستعمارى -
الحملة الفرنسية على مصر - صعود الدولة السعودية الأولى

وثائق تاريخ
العرب الحديث

د. عبد العزيز نوار

النهضة العربية الحديثة

(حركة على بك الكبير - التنافس الاستعمارى -
الحملة الفرنسية على مصر - صعود الدولة السعودية الأولى)

الوثائق من إعداد
راندا عبد العزيز نوار - عزت عبد العزيز نوار

الطبعة الأولى
٢٠٠٢م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف . محمد أبو طالب

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون - فاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:ÉIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Alharam - A.R.E. Tel : 3871693

أولا : حركة على بك الكبير

على بك الكبير وعهده
١٧٢٨ ـ ١٧٧٢

نعتبر القرن الثامن عشر هو الإنتقالية من عصر النهضة (الغربية) ـ التى بدأت بوضوح فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ـ إلى استثمار القدرات والتفوق الغربى فى فرض النفوذ والتسلط الغربى على ما يمكن السيطرة عليه من الشرق الإسلامى وما هو وراء ذلك، ومن ابرز معالم هذا الاتجاه :

١ـ الضغط المتواصل للقيصرية الروسية والإمبراطورية الرومانية المقدسة على الدولة العثمانية وعلى فارس، وذلك على جبهات المناطق القوقازية والقرم والبلقان.

٢ـ الجهود التى بذلتها شبه جزيرة ايبريا (اسبانيا والبرتغال) للسيطرة على شمال أفريقية.

٣ ـ محاولات البرتغال للسيطرة على المياه الإسلامية الجنوبية (الخليج العربى ـ البحر العربى ـ البحر الأحمر).

فخلال عصر النهضة اتضح تفوق أوربا تفوقا حاسما فى البحار والمحيطات، ومن ذلك احتلال اسبانيا لسبته ومليلة، واحتلال الإنجليز لجبل طارق، وتحول فرنسا ـ بعد فقد مستعمراتها فى العالمين القديم والجديد لصالح بريطانيا خاصة بعد معاهدة باريس ١٧٦٣ ـ إلى التوسع فى حوض البحر المتوسط وطرح المشاريع العديدة للاستيلاء على مصر. ومن ابرز هذه المعالم أيضا انطلاق الأسطول الروسى ـ خلال الحرب العثمانية ـ الروسية ١٧٦٨ ـ ١٧٧٢ إلى البحر المتوسط للعمل ضد الدولة العثمانية ودعم العناصر المناهضة للحكم العثمانى هناك. وخلال هذه الفترة من الستينيات من القرن الثامن عشر برزت شخصية على بك ليس فقط كحاكم لمصر وإنما كمنفذ للسياسة الخارجية التقليدية لحكام مصر الأقوياء السابقين فى أن يكون لهم اليد العليا فى الشام وحوض البحر الأحمر.

إن أكثر الاحتمالات صحة هى التى تذهب إلى أن يوسف (الذى عرف بعد ذلك بعلى) ولد

فى ١٧٢٨ فى بلاد ابازه من بلاد القوقاز العثمانى، وكان أبوه داود ـ وكان مسيحيا ارثوذكسيا ـ يعده لوظيفة فى الكنيسة إلا أن قناصة الرقيق اخذوه ـ وكان يافعا فى الرابعة عشرة من عمره ـ وباعوه فى الإسكندرية إلى «مديرى جمركها الأخوين اليهوديين اسحق ويوسف» وقد اهدياه إلى احد كبار رجال العسكر المتنفذين حينذاك ليدخل فى الدين الإسلامى ويدخل السلك العسكرى (المملوكى)، فتفتحت ـ لما كان يتمتع به من مقومات القوة والذكاء ـ المناصب العليا أمامه، فتولى الصنجقية ودخل فى الصراعات التقليدية التى كانت تدور بين المماليك حتى احرز انتصاره الكبير على خصومه ليدخل مظفرا القاهرة فى يوم الجمعة ١٧ محرم ٢٧/١١٨٣ مايو ١٧٦٨.

إن استعادة المماليك ـ فى شخص على بك الكبير ـ حكم مصر يعتبر جزء من ظاهرة عامة غطت الغالبية العظمى من الولايات العثمانية وهى ظاهرة استبداد العصبيات المحلية بحكم الولاية رغما عن الحكومة المركزية التركية العثمانية فى الآستانة / استنبول على النحو التالى:

آل عبد الجليل فى الموصل ، آل بابان فى السليمانية، المماليك فى بغداد، آل آفراسياب فى البصرة ـ الأشراف فى الحجاز، وظاهر العمر فى فلسطين ، وآل العظم فى دمشق ، وآل معن وآل شهاب فى جبل (لبنان) ، وآل جنبلاط فى حلب، والأسرة القرمانلية فى طرابلس الغرب، والبايات فى تونس والدايات فى الجزائر.

كما استطاع على بك الكبير أن يهزم القوى العديدة الداخلية ـ البيوتات المملوكية [١]، والتركيبات القبلية الكبرى [٢] ـ ولا يكاد على بك الكبير أن ينفرد بالسلطة حتى شرع فى تنفيذ السياسات التقليدية لأى حاكم قوى لمصر ونعنى بذلك أن تكون له الكلمة العليا فى كل من الشام والحجاز.

فقد كان على بك الكبير يرى أن السلطات العثمانية واشراف مكة افتاتوا على حقوق مصر السياسية والاقتصادية والاستراتيجية بمنعهم السفن التجارية الصاعدة شمالا فى البحر الأحمر من الصعود إلى ما هو شمالى ميناء (جده).

١ـ من أهمها : الفقارية والقاسمية والقازرغلية والإبراهيمية .

٢ ـ مثل : أولاد حبيب فى الدلتا و هوارة الشيخ همام فى الصعيد

ففى نفس هذا الوقت كان البحر الأحمر كطريق بين الشرق والغرب تزداد أهمية فى أعين أكبر دولتين متنافستين على المستوى العالمى (إنجلترا وفرنسا). كما تهيأت أذهان بعض الأوربيين لاقناع حكام مصر باحياء الطريق العالمى عبر البحر الأحمر، ومن ابرز هؤلاء الرحالة الإنجليزى «جيمس بروس»[1] والتاجر البندقى كارلو روستى[2].

ولعل هذه الاتجاهات هى التى حولت على بك الكبير من (مضطهد) للتجار الأجانب إلى مشجع لهم. واقدم على بك على خطوات عملية فى استعادة الطريق العالمى عبر مصر عافيته مثل تأمين الطريق بين السويس والقاهرة والإسكندرية.

وكان أن أخذت السفن الإنجليزية فى الوصول إلى ميناء السويس وفكر على بك فى شق القناة بين البحر الأحمر ونيل مصر، واتجه إلى أن تكون له اليد العليا فى الشام.

وأننا نعتقد أن تحرك على بك إلى الشام هو نوع من السياسة التقليدية لأى حاكم قوى لمصر ونعنى بها أن يكون لمصر الكلمة العليا فى دمشق لما فى ذلك من ضرورة على مختلف المستويات. ومن ناحية أخرى كان ظهور أى حاكم قوى فى مصر كفيلا بأن يتطلع حكام الشام إلى أن يقف بجانبهم حاكم مصر القوى.

وما موقف ظاهر العمر من على بك الكبير بمختلف من حيث الشكل والموضوع عن موقف بشير الشهابى الثانى من محمد على باشا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

ففى الشام كانت الدولة العثمانية، ممثلة فى ولاتها هناك، والعصبيات المحلية الحاكمة مثل آل شهاب فى جبل (لبنان) وظاهر العمر فى فلسطين - فى مواجهات شبه متواصلة. وبصفة عامة كانت منطقة الشام من أقصى شمالها إلى جنوبها تعانى من التفكك الشديد، وهو أمر اسهم فى أن يتمكن بعض الولاه الطموحين من أن يتولى حكم أكثر من ولاية على نحو ما كان عليه عثمان باشا والى دمشق فى نفس الوقت الذى كان فيه أولاده يحكمون صيدا وطرابلس. فشكل بذلك قوة ضاغطة شديدة على ظاهر العمر الأمر الذى دفع الأخير إلى أن يستنهض على بك الكبير لمعاونته ولفتح دمشق.

لم يكن ظاهر العمر هو وحده الذى كان مشجعا لعلى بك لأن يرسل حملته إلى دمشق، وإنما تكشف لنا الملابسات المصاحبة لحملة على بك تلك أن منصور الشهابى - أحد المطالبين بالإمارة الشهابية (لبنان) - كان مرتاحا لتلك الحملة أو على الأقل كان يبدى ذلك حتى تنجلى

١- J. Bruce

٢ - Carlo Rossetti

الأمور على نحو ما كان يتبعه حكام العصبيات المحلية فى جبل (لبنان) ازاء مثل هذه الصراعات التى كانت تدور بين القوى الكبيرة المحيطة بالشام.

زود على بك قائد حملته إلى دمشق ـ وهو محمد أبو الذهب ـ برسالة موجهة إلى أهل دمشق الشام مبينا لهم أسباب حملته ومطالبا العلماء والفقهاء والقضاه وأرباب المناصب بأن يرفضوا الوالى العثمانى عثمان باشا الذى اتهمه على بك بأنه هز أمن الحرمين الشريفين واعترض حجاج بيت الله الحرام واقتات على حقوق التجار والمسافرين. ولكى يقنع على بك أهالى دمشق بشرعية حملته هذه أكد لهم أنه أخذ موافقة مفتيى المذاهب الأربعة على خطوته هذه.

ونلاحظ أنه لم يشر إلى السلطان العثمانى فى رسالته هذه، وفى نفس الوقت لم يدع أنه هو والى مصر وإنما اكتفى بأنه قائم مقام مصر، وهو لقب يطلق على من ينوب عن الوالى العثمانى فى حكم البلاد فى حالة غياب الوالى.

كما أننا يمكننا القول أن تحالف على بك الكبير مع ظاهر العمر ضد عثمان باشا هو بمثابة تكوين لمحور للعصبيات المحلية الحاكمة ضد محور الولاة العثمانيين. وهو أمر تؤكده المسيرة التاريخية لكل من الشام ومصر خلال الحكم العثمانى خاصة فى القرن الثامن عشر.

ولكن لأسباب عديدة ـ معظمها غير موثقة ـ انقلب محمد أبو الذهب على سيده على بك الكبير ، مقاتلا له، حتى فر على بك من مصر إلى حليفه ظاهر العمر، من بعد ذلك عاد ومعه قوة من عند ظاهر، ويقال أن قبطان الأسطول الروسى المقاتل للعثمانيين فى الليڤانت[١] دعم على بك الكبير ضد محمد أبو الذهب. ومع أن العديد من المؤرخين والباحثين فى التاريخ ينفى العلاقات الوثيقة بين على بك والروس إلا أننا لا نستبعد حدوث ذلك نظرا لأن مناخ الحرب بين روسيا والدولة العثمانية يقدم الفرص الواسعة لإقامة علاقات بين على بك الكبير وظاهر العمر من جهة وقبطان الأسطول الروسى فى البحر المتوسط حينذاك من جهة أخرى. لم تثمر محاولات على بك الكبير لإنقاذ ما يمكن انقاذه ونزلت به هزيمة حاسمة على يد أبى الذهب عند الصالحية فى ١٧٧٢. ومن بعد استبد أبو الذهب بحكم مصر ولكن لفترة محدودة للغاية.

١ـ أى الحوض الشرقى للبحر المتوسط .

(١)
مؤامرة فى بلاط على بك الكبير

رسالة مؤرخه ١٧ مارس ١٧٦٦ مرفقة بتقرير السياسى النمساوى هنرى دى بنكلر(١)

بتاريخ ٢ يونيو ١٧٦٦م ـ ٢٩ ذو الحجة ١١٧٩هـ

مقـدمة

مع ما كان يجرى من مواجهات عسكرية دامية بين البيوتات المملوكية، فقد استطاعت هذه البيوتات أن تتفوق على الأرجاقات العثمانية (العسكرية التركية العثمانية) فى مصر، وأن تصبح صاحبة اليد العليا فى التحكم فى البلاد حتى تبلور ذلك فى انفراد على بك الكبير بالحكم، وتقدم لنا هذه الوثيقة رؤية لشاهد عيان عما كان يحاك من مؤامرات وصراعات دموية وهو مغامر إيطالى كان قد قتل عشيقته الراهبة، واستخدمه على بك فى دس السم لأحد خصومه إلا أن جارية لدى على بك الكبير افشت السر فما كان من على بك إلا أن قتلها.

كانت اللغة الإيطالية هى لغة التعاملات فى الليڤانت (٢) وموانى مصر على البحر المتوسط نظرً لأن التراث التجارى العظيم للمدن الموانى الإيطالية خلال العصور الوسطى امتدت آثارها وقدراتها ومفعولها إلى أواخر القرن الثامن عشر. وقد تنبه إلى ذلك عدد من كبار المؤرخين من أمثال الدكتور رفعت رمضان عندما كان يعد رسالته لدرجة الماجستير عن على بك الكبير تحت اشراف مؤسس مدرسة التاريخ الحديث الأستاذ محمد شفيق غربال. فاستند ـ فيما استند إليه ـ إلى وثائق إيطالية تناولت عهد على بك الكبير فى مصر وترجم بعضها إلى اللغة العربية ومن بينها بعض الوثائق التى ننشرها عن تلك الفترة.

١ـ Heinrich de Penkeler وهو من رجل السلك السياسى النمساوى عين سكرتيراً للسفارة النمساوية بالأستانة فى ١١ يوليو ١٧٤٠ ثم سفيراً للنمسا فيما بعد . وخلفه فى منصب السفارة المسيو برونار Broynard.

٢ ـ أى الحوض الشرقى للبحر المتوسط .

نص الوثيقة

«كان لى شرف الكتابة إلى سعادتكم بتاريخ ٤ الجارى[١] عن الخلافات التى قامت فى القاهرة بين الزعماء وخاصة ضد على بك ـ والمناوشات التى كان يغذيها ويشعل أوارها وجود باشوات ثلاثة بالقاهرة وهم حمزة باشا والى مصر الحالى وسلفه الذى تعمد البقاء على غير المعتاد بحجة تسديد ديونه وثالثهم الباشا المنقول إلى جدة [٢].

وكان المتوقع أن تبلغ هذه الخلافات ذروتها عقب العيد ولكن وقعت أمور لم تكن فى الحسبان أدارت عجلة الحوادث بسرعة.

فمنذ سنوات عدة يستخدم حسين بك طبيبا من أهل نابلى يدعى سلفاتورى فينجا. ويذكرون عنه أنه كان راهبا وحدث بينه وبين إحدى الراهبات ما يشين بعد أن توطدت بينهما علاقات محبة أكيدة ، ولكن ليستر جرمه دس لها السم وفر إلى القاهرة عن طريق دمياط. ولم يمض عليه وقت طويل بالقاهرة حتى سحره جمال إحدى اليونانيات فتجنس بجنسيتها وتزوجها وأخذ يتكسب بالطب. ولما كان على بك يعلم أن هذا الطبيب حائز لثقة حسين بك وعطفه فقد استدعاه فى ليلة ١٠ الجارى واغراه على دس السم لمن حماه وأحسن إليه (ودفع له ألف سكوانى مقدما ووعده بمثلها عند اتمام العملية).

أما الطبيب فقد قبل العرض وبادر إلى التنفيذ فى الحال. ولم يفطن إحدهما إلى جارية (كانت فى حريم حسين بك قبل أن يحوزها على بك) دفعها حب الاستطلاع إلى ترك فراشها والانصات إلى ما يدور بغرفة سيدها فى تلك الليلة الساهرة من رمضان، ومن خلال ثقب صغير أمكنها أن تسمع وترى ما يدور فى داخل الغرفة. وبدافع الولاء لسيدها القديم اسرعت كسبا للوقت وافضت إليه بما دبرته له يد الخيانة والغدر.

وبعد قليل استأذن الطبيب فى المثول بين يدى حسين بك فرحب به واكرمه على حسب العادة عندهم. وعرض الطبيب على حسين بك شرابا ليس له نظير ينعش الروح والجسد فأجاب حسين بك فى برود أنه ليس فى حاجة إلى أى دواء ولكنه يقترح ـ بعد ما سمع من تزكية الطبيب لهذا الدواء واطنابه فى مدحه ـ أن يتقاسماه سويا ويقضيا الليلة فى بهجة وسرور. فلم يحر الطبيب جوابا وامتقع لونه وارتجفت أوصاله.

---

١ ـ مارس ١٧٦٦ .

٢ـ حمزة باشا ومحمد راقم باشا وأحمد باشا والى جده.

ولما كان حسين بك على يقين من ادانته فقد أمر ببطحه على الأرض وضربه بالعصا (فلقه) حتى يدلى باعتراف صريح. وبعد أن ضرب خمسمائة عصا اعترف بأن هذا الدواء لم يكن إلا سم زعاف حضره بأمر على بك . عند ذلك أمر حسين بك بالكف عن ضربه ثم أجبره على شرب السم واركبه حمارا واعاده إلى منزله.

ثم فطن إلى أنه طبيب وفى استطاعته أن يحضر ويتعاطى (ترياقا) يفسد به مفعول السم فارسل إليه اثنين من سراجنيه [١] للسهر على راحته حتى إذا ما شفى اعدم، وهذان بعد أن اعيتهما الحيل فى شفائه قطعا جثته قطعا وقذفا بها من النافذة طعاما للكلاب جزاء وفاقا على ما جنته يداه.

وأحس على بك بالخيانة فقام بتحريات دقيقة انتهت بالقبض على الجارية واعدامها ، ثم حاول دون جدوى جمع شمل انصاره ولكنه تبين الخطر وتوقع الهزيمة. أما أعداؤه فقد أخذ عددهم يتزايد بانضمام الكثيرين والتمسوا العدالة من الباشا. فاصدر الباشا (الوالى) فرمانا بنفى على بك[٢] وكانت مفاجأة له. ولكنه اطاع صاغرا وامتطى صهوة جواده ولم يتبعه سوى خسزنداره[٣] وثمانية جوخدارية وبعد أن صودرت داره غادر المدينة فى حراسة الفين من الجند المسلحين إلى قبة العزب [٤] حيث كان عليه أن يدفع ٣٦٠٠ كيسا قيمة ثلاث خزنات كانت متأخرة للباب العالى وأن يقدم حسابا عن أعماله. والمعتقد أنه نفى ولم يسدد سوى ديونه الخاصة فقط. وكان يستطيع أن يعيش عيشة راضية بمبلغ الثلاثين مليونا من القروش التى قررت له.

أما الباشا فقد كسب بدوره عددا كبيرا من القرى (إذ أن على بك فقد حقوقه فيما كان تحت يده من الأراضى) وحصل منها على مبالغ طائلة [٥].

وكان اعتقاد الكثيرين أن على بك سيحكم عليه بالاعدام. وهكذا ختمت أيام على بك الطاغية ، وسترى فى المستقبل كيف يكون شكل الحكومة الجديدة ، خاصة وأن الباشا الحالى سياسى محنك.

وسأفيد سعادتكم بالحوادث المقبلة أولا بأول.

١ـ أى خاصته .

٢ـ إلى الشام وهناك فى غزة قابل ظاهر العمر لأول مرة.

٣ ـ محمد بك أبو الذهب.

٤ـ شرق القاهرة وقرب باب النصر وقد جرت العادة أن يقيم عندها المنفيون من ذوى الشخصيات الكبيرة حتى يؤدوا ما عليهم من ديون أو يقدموا تقريرا عن أعمالهم السابقة

٥ ـ يقصد أموال التزام أراض القرى تدفع مقابل اعطاء (تمكين الالتزام)

Una Lettera in data Alessandria d'Egitto 17 Marzo 1766.

"Ebbi l'onore di serivere all, E.V. sotto il 4 del corrente, le turbolenze nate in Cairo fra i comandanti, fomentate, e sostenute dai tre Pascia, che colå, si ritrovana, cioé kamse Pascia, attualo Governatore, Il auo antecessore, che si é tratenuto contrto il connueto, con il pretesto di appurare i suoi conti, e quello che é destinato per Gidda, quali di concero agivano contro Ali Beg. Ne queste si sarellero manifestate apertamente fino dopo il Bairam. Nà un accidente aeguito, che sono per narrarle, le ha fatte scopiare nella de corsa settimanan. Aveva Usen Beg al suo servizio servizlo da pin anni per medico un Neapolitano nominato Salvatore Fienga (cui si dice fosse stato religiosi, e sedetto avese una monaca, con la quale avendo avuto confidenza, ed essendo restata gravida, esso L'avesse avvelenata ed indifuggito al Cairo, persendo restata gravida, esso Luna bella la via Demiats, ove dopo qualche tempo, essendosi innamorata d'una bella vedova Greca, si fece Greco per sposarla, ed in questo stato esercitando la medicina viveva); Ali Beg dunque sapendo, che questo Neapolitano era alla confidenza di Usen Beg, lo il dieci corrento di notte tempo a prendere, e lo indusse (mediante due mille zecchini, mille dé qualili contò subito, ed il restante da consegnarglieli dopo il segnito) ad avvelanare il suo protettore e benefattore.

Accettò l'offertae subitamonte si dispose all 'opera. Questo accordo fù per accidente ascoltato da una schiava Mora, che in avanti era stata nel Harem di Usen Beg, e che portata dolla curiosità di videre cosa si facevn nella camera del pardone in tampo di Ramazan, ora sortita dal Harem, e di sotto is portiora ossorvava ed ascoltava: portata questa dunque da una riconoscenza per il suo antico pardons, sorti la mattinas dal Harem, è si portò a quello di Usen Beg, e l'aventi del tradimento, ed indi ritomo al suo posto. Non tardò molto a comparire il Noapolitano cui dopo ossersi trattenuto aliquanto in burle, come era solito per la confidenza che vi aveva, Li disse, averli portato un apmolletta di liquore, il quale citro i sollevarli lo spirito dato Li avrebbe cena, da devortati la notte seguente nel suo harem. Usen Beg freddsmente li rispose, non sentirsı nulla d'incomodo prendere remedi, ma già che glielo descriveva cosi vantaggioso, voleva che esso no bevesse la metà, e cos es-

sere entrambi in stato di stere allegranneiterate del beg impalidi, tremò: Allora ricognescendolo colpevole, ordinò, che fosse mosso notto il bastone, acciò confessasse cose era, e dichiarò osserveleno, che apprestato Li avova d'ordine d' Ali Beg, fece desistere di bastonarlo (abbenchè ne avesse avute cinque cento falaca e feceli farzatamente bere il veleno, che portato Li aveva, indi lo fece mettere in una sporta, e sopra un asino lo fece condurre alla sua casa, Nà verso il mezzo giorno riflettende che questo ero un medico, cui avrebbe potuto prendere rimedi per guarire dal veleno, mandò due suoi emissari con ordine, se lo trovavano, che aomitasse per sanarsi, lo uccidessero como in affetto segui: poichè nvondolo ritrovato con diversi medicamenti all'intorno, ed in un lago di vomito lo tagliarono a pezzi, e lo gettarono per le fenestre ai cani: e cosi terminò di vivere il traditore.

In tanto Ali Beg senti espere scoperta la trams, fece le piùesatte ricerche, e penetrò essere stata la schiava, che referito lo aveva, quale immediatamente fece morire: corcò in questo tempo chiamare e se i suoi aderonto ma vedendone malti raffreddati nel zelo cominciò a temere: in tanto ultra partito ingressandosi andarono a domandare gimstizia al Pascià, cui subito rilascio un firmano d'esibio, e per una robba nera glielo spedi; rimase sorpresso Ali Beg alla veduta dell'ordine ma non altre parole disse, che li era venuto il termino di comandare. Montò subitamenta a cavallo, ne lo segui che il suo tresoriere e otto ciochadari, ed andava secondo, che spiegava il comendo ad un luogo fuori del Cairo nominata Cobbet Elasab ove è guardato da due mille uomini armati, fù di poi sigillata la sua casa, e li viene domandato, prima 3600 borse per i tre kasine, arrierati del Gran Signore, e di pol, che renda conto dell'amministrazione del suo governo; si crede pero, che portà accomodare le sue cose con il solo isilio, giacchè il fanno trenta millioni di piastre in contanti, mediante le quali li sarà facile il tutto, ed in oltre le gran quantità di villaggi, che possedeva quali, essendo esilliato vanno a benefizio del Pascia, il quale li vivende alli altri Beig, e ne trae somme immense.

Malti pero sono di sentimento, che li toglieranno la testa; ed ecco terminata la tirannide di questo prepotente: si vedra, che forma prendevà adesso questo governo.

Certo si è, che il presente Pascià `e molto politico. V.E. sarà in seguito intesa di quello che succederà".

(٢)

انفراد على بك الكبير بحكم مصر
كما صورته
حاشية لرسالة مرفقة بتقرير بروينار
١٦ يناير ١٧٦٩ ـ ٧ شوال ١١٨٢

مقـدمة

كانت الصراعات الدموية على أشدها فى الفترة بين ١٧٦٦ ـ ١٧٦٨ حتى أصبحت البلاد المصرية مسرحا للقتال بين الزعامات المملوكية، وكانت هناك قوات من (المرتزقة) ـ الوافدة إلى مصر ـ مستعدة للعمل مع هذا أو ذاك مثل : (المغاربة) و (الدروز) كما أنه كان للتركيبات القبلية العربية فى مصر أدوار كبيرة فى تلك الصراعات من أهمها «أولاد حبيب» و«الهواره».

ومن آبرز الصراعات التى أبرزت تلك المسائل ما دار بين على بك الكبير وأنصاره من المماليك ضد خصومه من البكوات المماليك فى ستينيات القرن الثامن عشر.

فخلال القرن الثامن عشر وضح تماما أن الحكومة السلطانية العثمانية فى الأستانة/ استنبول أصبحت عاجزة عن أن تحكم ولاياتها حكما مباشرا وأن القوات العثمانية ومن أشهرها أوجاقات الانكشارية أخذت فى الانحلال معطية الفرصة للقوى المحلية فى الولاية لأن تستبد بالحكم على نحو ما حدث فى مصر من حيث استبداد المماليك بحكمها دون الوالى العثمانى ودون ما قدرة لدى الاوجاقات (الفرق العسكرية العثمانية) لأن تفرض نفسها على الوضع حتى أصبحت هذه الاوجاقات ادوات فى يد المماليك. وحيث أن أمراء المماليك حتى منتصف

١ـ Broynard

القرن الثامن عشر كانوا متساوين من حيث المكانة خلال فترة الحكم المباشر العثمانى فقد أصبح من الضرورى ـ بعد انحلال السلطات والقوات العثمانية فى مصر ـ أن يتنافس أمراء المماليك حتى يصبح احدهم الأول بين اقرانه Primus Inter Pares وحتى يستطيع أن يصبح صاحب الكلمة الأعلى (ملك محلى).

وقد سارت العلاقات المملوكية ـ المملوكية على هذا النحو حتى تركز الصراع بين على بك (الكبير) ومؤيديه من أمراء المماليك من جهة وخصومه من الأمراء الآخرين. ودار صراع بين هذين الطرفين انتصر فيه ـ فى أول الأمر ـ خصوم على بك ونفوه ، إلا أن الرجل كان قد انحنى للعاصفة مؤقتا حتى دبر زحفا مباغتا إلى القاهرة وسيطر عليها دون أن يعطى لخصومه فترة للاستعداد.

وآثر هؤلاء أن ينسحبوا إلى الشام (غزة)، واعادوا هناك تنظيم أنفسهم عسكريا، ثم هبطوا بقواتهم على مدينة / ميناء دمياط وعاثوا فيها فسادا ونهبا ثم زحفوا إلى المنصورة واحرزوا نصرا على قوات على بك الكبير، وكان انضمام عرب أولاد حبيب بقوة من فرسانهم من العوامل التى ادت إلى اندحار قوات على بك الكبير.

اعاد على بك تنظيم قواته، وضم إليها قوة ضاربة من عرب الشيخ همام (الهواره) [١]. وخاض على بك الكبير معركة حاسمة عند تنطدا (طنطا) اسفرت عن هزيمة شنيعة لخصوم على بك (١٧٦٩) وانفرد منذ ذلك الوقت بحكم مصر، وضرب النقود باسمه وتطلع إلى أن تصبح كلمته هى العليا فى الحجاز والشام مقتفيا فى ذلك آثر اسلافه من حكام مصر الأقوياء الذين كانوا يعملون على ضم هذين الإقليمين ليس فقط حماية مصر من أخطار تأتى من الشرق، ولكن أيضًا من أجل استعادة البلاد العربية دورها الجوهرى على خطوط التجارة والمواصلات العالمية بين الشرق والغرب تلك التجارة التى تناقصت بشدة جدا احجامها منذ سيطرة البرتغاليين على المياه الإسلامية الجنوبية فى آواخر القرن الخامس عشر أوائل القرن السادس عشر.

ومن الملاحظ أن القوات المتقاتلة (جبهة على بك الكبير وجبهة خصومه) كانت تضم عناصر قتالية غير مملوكية من أمثال: المغاربة والدروز.

بينما نجد أن المصريين لا وجود لهم فى الجيش لدى أى من الطرفين المتقاتلين باستثناء

١ـ فى صعيد مصر

العربان، وبصفة خاصة ـ فى هذا الصدد ـ عرب أولاد حبيب وعرب الهواره.

فليس من قبيل المصادفة أن ينضم عرب أولاد حبيب إلى القوات المملوكية التى سيطرت على معظم شمال وشرق الدلتا، وأن ينضم الشيخ همام ـ شيخ قبيلة الهواره فى جنوب الصعيد إلى على بك على اعتبار أنه هو المسيطر على الجزء الجنوبى للدلتا وكل الصعيد. إلا أن هذه الملاحظة تقودنا إلى القول بأن هذا التوزع بين القبائل العربية فى مصر بين جبهتين متقاتلين أن هذا القول لا ينسحب فقط على مصر، وإنما كان ينسحب كذلك على العراق، فهناك كان الوالى المطالب بالحكم إذا استعان (باكراد الشمال) ليفرض نفسه على مقر الولاية (بغداد) يعمد الوالى المنافس له إلى الاستعانة بعرب (المنتفق) فى جنوب العراق ليضع بغداد تحت سيطرته .

إن هذه الثنائيات ليست بقاصرة على مصر. أو على العراق وإنما هى ظاهرة عامة نلاحظها وقد استشرت فى الشام وفى الجزيرة العربية ومنها:

- ثنائية الصراع بين الشيعة والسنة (فى العراق)
- ثانية الصراع بين شمر وعنزه (الجزيرة العربية)
- ثنائية الصراع بين الغافرية والهناوية (عمان)
- ثنائية الصراع بين الزيدية والشافعية (اليمن).
- ثنائية الصراع بين القيسة واليمنية (الشام).
- ثنائية الصراع بين الجنبلاطية واليزبكية (جبل لبنان).

ومن ثم فهى ظاهرة عامة فى المنطقة العربية كانت ارهاصا بزوال الحكم المباشر العثمانى ليحل محله حكم (محلى) مهد إلى قيام الدول العربية الحديثة بعد تدهور وانحلال الدولة العثمانية.

فهل هذا التوزع يمكننا من القول أن مفهوما للقطرية بدأ يتكون لدى شيوخ هذه العشائر وغيرهم، وهو مفهوم كان يحثهم على المشاركة فى توجيه أمور البلاد بطريقة أو بأخرى؟ وكان هذا أمرا مرفوضا من جانب حكام مصر من المماليك إذ كانوا يرون أن لاحق لأحد غيرهم فى حكم مصر سواء أكان من الداخل: فلاحون أو عربان ، أو كانوا من الخارج (أتراك عثمانيون).

نص الوثيقة

(حاشية لرسالة مرفقة بتقرير برونيار المحرر بتاريخ ١٦ يناير ١٧٦٩).

« فى صبيحة يوم ٢١ أكتوبر ١٨٦٧ غادر القاهرة خليل بك شيخ البلد وحسين بك كشكش مع عثمان بك وحمزة بك وعلى بك الملط وخليل بك السكران وحسن بك شبكه وإبراهيم بك ومعهم اتباعهم فرارا من وجه على بك المنتصر الذى كانوا قد تسببوا فى نفيه فى العام الماضى[1]. ولما حاولوا تقليده وذلك بأن يدخلوا القاهرة فى ظل السلاح كونوا فى غزة فرقة من الدروز وغيرهم وجيشوا جيشا من ٢٠٠ فارس ١٥٠٤ راجل وخرجو بهذه القوة من غزة ونزلوا دمياط فى اليوم الرابع من مايو ١٧٦٨، وجاسوا خلال ديارهم خمسة أيام فنهبوا من الأهالى ما يزيد على ٢٠٠٠ قطعة من أبى طوق (باتاك) وكمية وافرة من المواد الغذائية والسلاح.

ثم اغتصبوا ٢٦ مدفعا من السفن التى كانت راسية فى البوغاز. وبعد سلب عدد كبير من الرجال والنساء غادر البكوات المذكورون دمياط صحبة جيشهم يتبعهم مائة رجل انضموا إليهم هناك بينهم كثير من الجورباجية [2] والضباط الآخرين ويمموا صوب المنصورة فى اليوم التاسع من الشهر الجارى[3] وتترسوا هناك استعدادا لملاقاة جيش على بك الذى غادر القاهرة قاصدا المنصورة، وبوصوله بدأت المعركة.

ولم يلبث جيش على بك أن اضطر إلى التسليم على أثر وصول مدد لجيش العدو قوامه ٨٠٠ فارس من عرب الشيخ حبيب ـ ولما علم على بك بالهزيمة التى منى بها جيشه أخذ يجهز تجريدة أقوى بقيادة صالح بك يساعده ٩ بكوات آخرين ويعززهم أكثر من ١٥٠٠ فارس هيأهم للقتال همام شيخ عرب الصعيد وصديق صالح بك.

وبهذه القوة تقدم صالح بك فى اليوم التاسع عشر من نفس الشهر. وبعد يومين تلاقى بالعدو عند طنطا ـ وهى مدينة تقع على الطريق بين الإسكندرية والقاهرة ـ وهناك اشتبكوا فى معركة حامية ونالوا نصرا حاسما على جيش العصاه وخاصة بعد قتل حسين بك وخليل بك

١ـ كان فرارهم إلى الشام.

٢ـ الجوربجيه

٣ـ مايو ١٧٦٨

السكران وحمزة بك وحسن بك شبكه وإبراهيم بك الذين ارسلت رؤسهم دليل النصر إلى القاهرة في ٢٧ مايو ثم إلإسكندرية ومنها إلى الأستانة لعرضها على الباب العالي.

أما البكوات الثلاثة العصاة الذين بقوا على قيد الحياة وهم خليل وعثمان على الملط فقد اعتصموا ـ عندما أحسوا الخطر على حياتهم ـ بمسجد الشيخ المنصور سيد أحمد البدوي الذي حل بطنطا منذ عهد بعيد.

ولكن على بك قبض عليهم بعد استصدار فتوى الفقهاء واعتقالهم تحت اشراف إسماعيل بك حاكم البحيرة وجيء بهم إلى الإسكندرية في صبيحة يوم ٤ يونيه واودعوا غياهب السجن في الحصن الرئيسي الذي شيده على بك، وفي اليوم الخامس من الشهر المذكور ضربت اعناقهم تنفيذا لأوامره.

كما اعدم في الإسكندرية ثلاثة وسبعون جنديا من المغاربة من الفريق المنهزم رميا بالرصاص، وكان هؤلاء يحاولون العودة إلى بلادهم ولكن قبض عليهم قبل ابحارهم في اليوم الثلاثين من مايو واودعوا سجن الترسانة ثم تسلمهم بك البحيرة في ٤ يونيه فاعدمهم في اليوم التالي كما سلف القول»

Kalil Bei Sceki Belad e Hussein Bei Kesekese, i qusli con Osman Bei, Hamze Bei, Ali Bei Malt, kalil Bei Sace aran Hassan Bei Scebke, e Ibrahim Bei Ioro creature la matina dei 21 Ottobre 1767, fuggirono dal Cairo per dar luogo al vittorioso Ali Bei da essi stato L'anno antecedente da detta capitalo scacciato, avendo determinato, a di lui esempio di rientrarvi colla forza dell'armi, si fecero, mentre erano essi in Gaza, un partito di Drusi, co quali, e con altre loro truppe formarono un armata di circa 600 cavalieri, e 15 pedoni, con questa partirono da Gaza, ed Alli 4 maggio 1768 arrivarono in Damiata, ove pello spazio di cinque giorni hanno esatto da quelli abitanti 20,00 e più patacche di danaro contante, come anche molta provvisione da bocca e da guerra, siccome hanno tolto 25 cannoni e dè bastimento che in quel Bogaso attrovaronsi, ed hanno i loro soldati commeso infiniti latrocinil, ed iniquità maggiori verso uomini e donne, Partirono i detti Bei colla loro armata da Damiata, e seguitati da ben cento personecollà reclutate tra gueste diversi ciorbgi, ed altri uffizcali li 9 di detto mese per la mansura, ove si trin cierarons peer attenderer L'armate, che da Ali Beg del Cairo veniuagli apedita contro. Arrivo questa e datovo battaglia vi restò succombente per il rinforzo che ricevettero i molcontenti di 800 cavalier dal capo d'Arabi Habib. Intesa du Ali Bei la rotta dello suo spodizione si preparo a farme un altra assai più ponderosa, come in fatli fece sotto il commando di saleh Bei, assistito da Altri 9 Bei, e seguitato da piu di 1,500 cavalieri, che mandato aveva il scek Hammam capo delli Arabi dell, Egitto superiore suocero di detto Saleh Bei. Con quest'armata si pose Saleh Bei in viggio Li 19 del medesimo messe, e due giorni dopo avendo trovato i nemici a tanta città due gionate distante dal Cairo situata tra il Cairo e Alessandria, fu ivi data battaglia colla sconfilta

---

١- Hammer : op. cit. V. 16. 1999, 470, 471

generale dell' armata dé dè malcontenti, essendovi stati ammazzeti Hossein Sel, Kalil Bei Saccaran, Hamze Bei, Hassan Bei Scebke, e Ibrahim Bei, le teste de quali, dopo d'essere state portate al Cairo in trionfo il di 27 Maggio, sono state poi spedite con due tartari in Alessandria, ove arriverono li 31 e la martina del 5 Oiugno parlirono per constantinopoli, dovendo essere presontate al Gran Signore Gli tre remanenti Bei kalil, Osman, e Ali el Matl de partito dè malcontenti vedendosi anche essi in pericolo di perder la vita, si refugiroro nella Naschea de famoso Scek Sidamed el Bedovi in detta citta di tanto esistente.

Ma Ali Bei colconsenso de dottori della legge, gli ha fatti levare, ed accompagnati da ismail Bei governatore della Behere arrivarono in Alessandria la mattina del 4 Giugno, stati subito posti nella più oscura prigione del principal castello allor a disposizione d 'Ali Bei, d'ordine del quale il di 5 di detto mese sono stati strangolati, ed in altre maniere ammazzati in alessandria 73 Soldati Barbareschi del partito disfatti, I quali avavano creduto di poter resituarisi a loro paesi.

Ma da questi comandanti essendo stati fatti prendere il 30 Maggio prima de loro disbarco dalle germs, furono posti nello prigioni dell'arsenale, e conseguati poi le 4 Giugno al Bei della Behera, il quale ne seguente giorno gli fè giustiziare coms di sopra s'edetto".

(٣)

حجج أوقاف لعلى بك الكبير

١٠ شعبان ١١٨٣
٩ ديسمبر ١٧٦٩

مقـدمة

قد شاع نظام الوقف حتى أصبح من الموضوعات الرئيسية التى تهم المسئولين خاصة من حيث تطبيق الشروط التى تركها الواقف تطبيقا صحيحا ومن حيث أثر الوقف والأوقاف على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وتقدم لنا هذه الوثيقة عينة من الأوقاف والشروط التى وضعت لها بواسطة صاحبها على بك الكبير. وكان مقام أحمد البدوى من أشهر ما أوقفت عليه الأراضى من الأموال وتعتبر هذه الوثيقة (الوقف) واحدة من أكبر وثائق الأوقاف . وهى تقدم لنا صورة واقعية عمن كان يعمل فى المسجد الأحمدى بطنطا، وعن المنتفعين بالوقفية. ومن أهم هذه التفاصيل : أنواع الطرق الصوفية ، والمرتبات الموقوفة عليها ، ومرتبات العلماء والمشايخ القائمين على التعليم بالمسجد الأحمدى والقراء والمؤذنين والقائمين على سلامة وراحة المسلمين فى المسجد وأعداد الموائد والمأكولات بطريقة صحية .

نص الوثيقة

« ديوان عموم الأوقاف» ـ إدارة الأوقاف الأهلية

(أ)

ملخص مستند وقف ـ على بك الكبير

نوع المستند : حجة ايقاف

تاريخ المستند : ١٠ شعبان ١١٨٣

المحكمة الصادرة منها : الباب العالى

مقدار الأعيان	نوع الأعيان	الموقع	ملحوظات
١	اطيان	ترى القوصية بولاية الأشمونيين	كامل مقاطعة أراضى قرى القوصية وتوابعها بولاية الأشمونيين ومقدار إيراد ذلك ٧١٨٩٧٥ أردب فى كل سنة من القمح الحنطة تخرج من ذلك ٢٤٩ أردب وربع وسدس من أردب تبقى بيد الناظر على هذا الوقف تحت انكسار عواجز مزارعين بالناحية أو شراقى أو غير ذلك. والباقى وقدره ٦٩٤٠٣٣ أردب تخرج منه ٣٨٣٣٣ أردب ويستعوض عنه ٥٧٥ أردب فول ويوزع ذلك جميعه على الخيرات المعينة بالوقفية وأن الأنصاف الفضية العددية الديوانية عدد ١٠١٧٥٢ تصرف فى أجر مراكب الغلال ومال الميرى على الحكم المذكور بالوقفية.

« إنشاء الواقف »

انشأ الواقف وقفه على أن يصرف ذلك فى وجوه خيرات ومبرات يأتى ذكرهم فيه وهم الخلفاء بمقام السيد أحمد البدوى الكائن مسجده وضريحه بطنطا وفقرائه وخدمة المقام بالمسجد المشار إليه والعلماء القاطنين به والمجاورين بالمسجد المشار إليه والعواجز والأيتام بالمكتب والمجاورين بالمكتب والفقراء وأرباب الأشاير المنسوبون للطريقة الأحمدية وفى عمل جراية تفرق يوميا وشربة تطبخ يوميا وفول نابت ومقالى بالمسجد المشار إليه وميقاتى ومؤذنين ومرتبات وغير ذلك على ما يبين فيه.

اردب عدد	
٢١٦٠	يصرف سنويا من القمح الحنطة للمجاورين القاطنين بمسجد السيد أحمد البدوى التى عدتهم سبعمائة نفر حسابا عن كل شخص مائة اردب وثمانون ـ عن كل يوم ستة ارادب برسم جراية المجاورين المذكورين يعمل ذلك خبزا ويعطى لكل واحد منهم فى كل يوم ستة أرغفة خبز قرصة.
٧٢٠	يصرف سنويا من القمح الحنطة لأيتام المكتب الكائن بناحية طنطا المذكورة انشاء الواقف وللفقى والعريف بالمكتب والمجاورين به حسابا عن كل شهر ستون اردبا عن كل اردبين اثنين يعمل ذلك خبزا نظير جرايتهم ويفرق على الأيتام والفقى والعريف والمجاورين بالمكتب المرقوم ويعطى لكل واحد منهم فى كل يوم ستة أرغفة خبز قرصة
٢٦٠	يصرف سنويا من القمح الحنطة فى عمل شوربة تفرق على المجاورين القاطنين بالمسجد المشار إليه كبارا وصغارا حسابا عن كل يوم اردب واحد.
١٠٠	يصرف فى كل سنة من الفول يطبخ بعد تنبيته ويعمل فول نابت ويفرق فى كل يوم بعد صلاة الصبح على المجاورين القاطنين بالمقام الأحمدى حسابا عن كل يوم اردب واحد ويصرف سنويا من القمح الحنطة لستة انفار سالمين من العلل والعاهات ـ عاطون طبخ الشوربة وطبخ الفول النابت وعمل الجرايات وطحان الغلال للجرايات المشروحة اعلا[illegible] سوية بينهم نظير خدمتهم وتقيدهم بذلك.

اردب
عــدد

٧٠٠ يصرف فى كل سنة خمسمائة اردب قمح حنطة ومن الفول الحب مائتا اردب نظير وقود وخبز الجراية وعليق برسم اثوار الساقية بالمقام الأحمدى.

٤٠ يصرف كل سنة من القمح الحنطة لرجل يكون وكيلا أمينا قاطنا بناحية طنطا المذكورة بتعامل تفرقه الجراية والفول النابت والشوربة وتقيده بذلك وتوزيع ذلك على حكم شرط الواقف المشار إليه فى كل يوم وفى ليلة السبت وليلة الأثنين بالمقام المشار إليه اعلاه.

٨٥ يصرف سنويا من القمح الحنطة بعمل خبزا ويفرق على مائة نفر قراء من حفظة كتاب الله المبين يقرأون فى كل ليلة سبت وليلة اثنين بالمقام الأحمدى بالمقارئ ترتيب الواقف ويعطى لكل واحد منهم فى كل ليلة سبت وليلة اثنين ستة ارغفة خبز قرصة نظير قرائتهم بالمقام المذكورة.

١٥ يصرف فى كل سنة خمسة عشر اردبا من القول للمائة نفر الفقراء المذكورين بعد تنبيته وطبخه ويجعل ذلك فول نابت يفرق على القراء بالمقارئ فى كل ليلة سبت وليلة اثنين.

١٠٠ يصرف فى كل سنة برسم ثمن ربيع أنوار الجراية المذكورة فى زمن الربيع بما يراه الناظر على ذلك ويؤدى إليه اجتهاده بصرف مرتبا فى كل سنة لعشرة انفار علماء من علماء الإسلام يعاطون فى كل يوم بالمسجد المشار إليه قراءة عشرة دروس ن من الحديث الشريف والفقه والنحو والتوحيد وغير ذلك من المجاورين بالمقام المشار إليه وغيرهم من عامة المسلمين . مائة اردب من القمح الحنطة بالسوية بينهم لكل واحد منهم فى كل سنة عشرة ارادب قمح حنطة.

٥٠ يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للوكيل على الغلال المذكورة وتسليمها فى المراكب الحاضرة من الناحية المذكورة وتوابعها ويضعها ويحفظها بداخل الشونة التى ينشئها ويحددها الواقف المشار إليه بساحل بولاق ويصرفها بنفسه على حكم شرط الواقف وقرر الواقف فى ذلك الشيخ شمس الدين محمد الشافعى المنزلاوى باشا مباشر وقف الدشيشه الكبرى حالا ابن الشيخ عبد الرحمن مدة حياته. ثم بعدها لاولاده وذريته ونسله وعقبه الذكور دون الأناث تقريرا شرعيا.

أردب عــدد	
١٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للخلفاء الأحمدية القاطنين بناحية طنطا المذكورة بالسوية بينهم بصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لنقباء الخلفاء المذكورين بالسوية بينهم.
٢٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون خادما كبيرا بالمقام الأحمدى.
٤٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لجميع خدمة المقام الأحمدى بالسوية بينهم.
٢٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للمؤذنين بمنارات الجامع الاحمدى بالسوية بينهم
١٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون اماما راتبا اصليا بالمسجد المشار إليه
٤	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون نقيبا على القراء بالمقارئ المذكورة
٤	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون بالمقارئ المذكورة
٢	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون خادما بالمقارئ المذكورة
٥	يصرف مرتبا فى كل سنة للوافدين والفراشين بالمقام الاحمدى من القمح الحنطة بالسوية بينهم
١٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للبوابين بالمسجد الاحمدى بالسوية بينهم
٥	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون ميقاتيا بالمسجد المشار إليه
٣٠	يصرف مربب فى كل سنة من القمح الحنطة لمبيت السادة المرازقة الاحمدية

اردب عـدد	
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة المنايفة الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة السلامية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة الانبابية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة الكناسية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة المحمودية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة الحلبية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة الشعبية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة التسقانية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة الزاهرية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة الشناوية الاحمدية لمحلة روح ومصر
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لبيت السادة الحلوانية العسالية الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للسيد شريف مجاهد الاحمدى ولاولاده من بعده وذريتهم ونسلهم وعقبهم
٢٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة باسم الشيخ حسن النويهلى الاحمدى الخليفة بمصر القديمة
٥	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون نقيب نقباء السادة الاحمدية
٣٠	يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة بيوت السادة الاحمدية المشروحين اعلاه التى عدتهم اثنى عشرة نفرا بالسوية بينهم لكل واحد منهم ثلاثة ارادب من القمح الحنطة

١٠ يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لرجل يكون امينا مستقرا لاحضار الغلال من الناحية المذكورة وتوابعها

٥٠٠ يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة لكل من يكون ناظرا على هذا الوقف نظير تقيده بذلك واستخلاص الغلال والمال من المزارعين بالناحية المذكورة ومباشرة بنفسه واجراء الخيرات وصرف المشروطات المشروحه اعلاه

٥٠٠ يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للست عائشة قادن زوجة الواقف

٤٠٠ يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للست نفيسه خاتون بنت عبد الله البيضا مستولدة الواقف

٢٠٠ يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للست كلسن خاتون بنت عبد الله البيضاء مستولدة الواقف

٢٠٠ يصرف مرتبا فى كل سنة من القمح الحنطة للست منور خاتون بنت عبد الله البيضاء مستولدة الواقف (تنتفعن بذلك مدة حياتهن ثم من بعد كل واحدة منهن على اولادها ذكورا واناثا بالسوية بينهم ثم من بعد كل منهم على أولاده ثم على أولاد أولاده ثم على أولاد أولاد أولادهم ثم على ذريتهم ونسلهم وعقبهم طبقة بعد طبقة ونسلا بعد نسل جيلا بعد جيل فاذا ماتت واحدة منهن ولم تعقب ذرية يصرف استحقاقها المرتب المذكور لعتقائها ذكورا واناثا بيضا وسودا بالسوية بينهم ثم من بعد كل منهم على اولادهم ثم على أولاد أولادهم ثم على أولاد أولاد أولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم على الحكم المشروح اعلاه. فاذا انقرضوا العتقاء واولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم ولم يبق منهم واحد ينتقل استحقاقهم المرقوم لعتقاء عتقائهم ذكورا واناثا وأولادهم وذريتهم وعقبهم ونسلهم كذلك فاذا ماتت واحدة منهن ولم تعقب ذرية ولا عتقاء ولا ذرية عتقاء ولا عتقاً عتقاء ولا ذرية لهم ولا فردا واحدا منهم مع وجود النسوة المذكورات يصرف استحقاقها المذكور لهن فاذا انقرضوا جميعا وأولادهم وذريتهم وعتقاتهم وأولادهم وذريتهم وعتقاء عتقائهم وأولادهم وذريتهم ونسلهم وعتقائهم وأولادهم وذريتهم وعتقاء عتقائهم وأولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم ولم يبق منهم ولا فردا واحدا وخلت بقاع الأرض منهم اجمعين يصرف ما كان يصرف لهم فى وجوه خيرات ومبرات وقراءة قرآن بمسجد وضريح سيد احمد

البدوى يستغل ذلك كل من يكون ناظرا على هذا الوقف ويوزعه على الحكم المشروح على الدوام والاستمرار) يصرف من ايراد الناحية المذكورة وتوابعها من المال التابع لذلك المبين اعلاه على ما بين فما يصرف فى كل سنة على الناحية المذكورة وتوابعها بجهة الديوان العالى الف نصف فضة وما يصرف فى كل سنة عند توجه المراكب بالناحية المذكورة وتوابعها لاحضار الغلال المرقومة ١٠٠٧٥٢ نصف فضا نظير أجرة المراكب من الناحية إلى ساحل بولاق ومنه إلى طنطا ما هو عن أجرة غلال الخيرات والفول فى كل سنة ٨٥١٥ نصف فضة حسابا عن اجرة كل اردب من الناحية إلى ساحل بولاق ١٢ نصف فضلا ومن مصر إلى طنطا ٤ نصف فضة وما هو عن اجرة مرتبات النسوة الاربع المذكورات المحضرة من الناحية إلى ساحل بولاق فى كل سنة عدد ١٥٦٠٠ نصف فضة ليصير جملة الخيرات المشروحة اعلاه من القمح عدد ٥٣٢٣ أردب أجرتهم من الناحية إلى ساحل بولاق عدد ٦٣٨٦٤ نصف فضة وأجرة الغلال من ساحل بولاق إلى طنطا عدد ٢١٢٨٨ نصف فضة وعلى أن أجرة الخمسمائة أردب الخاصة بالناظر تؤخذ من الغلال الفائض بالناحية المذكورة فى كل سنة على الدوام والاستمرار ابد الأبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

٧١٢٧

شروط الواقف

* شرط الواقف فى وقفه هذا شروطا حث عليها واكد العمل بها ـ

* منها أن النظر على ذلك والولاية عليه من تاريخه لنفسه مدة حياته ثم من بعده يكون النظر على ذلك والولاية عليه للأرشد فالارشد من عتقاء الواقف المشار إليه ثم الأرشد فالارشد من أولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم الذكور إلى حين انقراضهم اجمعين يكون النظر عليه ذلك والولاية عليه للأرشد فالأرشد من عتقاء عتقاء الواقف ثم للارشد فالارشد من اولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم ثم من بعد انقراضهم اجمعين يكون النظر

على ذلك والولاية عليه لخلفاء المقام الاحمدى المشار إليه على الدوام والاستمرار.

* ومنها أنه شرط أن وقفه هذا لا يؤجد كله ولا بعضه ولا جزء منه لا مدة طويلة ولا مدة صغيرة وإنما يوزع للخراج المعتاد ولا يتعرض له أمين من الأمراء ولا ظالم[١] ولا كاشف ولاية ولا باب كشوفية [٢] ولا غير ذلك مطلقا ولا يستبدل بنقود ولا بعروض ولا بغير ذلك مطلقا ومتى خالف الشرط المرقوم من يكون ناظرا على هذا الوقف المرقوم أو مستحقا فيكون معزولا من وظيفة النظر ويكون المستحق ليس له استحقاق فى ذلك مطلقا قبل تعاطيه ذلك بخمسين يوما حتى لا يصادفه فعله محلا شرعيا[٣] وعلى أن الناحية الموقوفة وتوابعها لم يكن عليها موجب لحملة الغلال لا ذهابا ولا ايابا ولا شيء يتعلق بمصاريف البحر مطلقا كما ذلك معين ومبين ومشروح بالفرمان الشريف المقيد بجمله الغلال ببولاق بمعرفة أمين البحرين حالا المؤرخ الفرمان المذكور فى شهر تاريخه.

* ومنها أن القراء وأرباب المرتبات وأرباب الخيرات وأرباب الخدمات وغيرهم مما هو معين له خدمة أو قراءة أو عالم يتعاطى ما هو مشروح عليه من غير تقرير وكل من تقرر فى شيء من ذلك من قاضى عسكر أو قاضى ولاية فيكون مطرودا مخرجا ومبعدا عن هذا الوقف مطلقا ولا يعود له اصلا ويقيم ناظر هذا الوقف رجلا خلافه من غير تقرير وإنما يعين اسمه بقايمة الصرف فقط.

* ومنها أن كل من عطل خدمته أو قراءته فوق ثلاثة أيام من غير عذر شرعى فللناظر أن يولى رجلا خلافه فى خدمته أو فى قراءته.

* ومنها أن الواقف المشار إليه اعلاه شرط لنفسه دون غيره فى وقفه هذا الادخال والاخراج والاعطاء والحرمان والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل والاستبدال والاسقاط لمن شاء متى شاء ويكرره الكرة بعد الكرة والمرة بعد المرة مدة حياته وليس لأحد من بعده فعل شيء من ذلك مطلقا واستقر رأى مولانا الواقف المشار إليه على ذلك.

١ـ أى مغتصب.

١ـ أى لا يؤخذ عنه مال كشوفية.

٢ـ يلاحظ أن حكم العزل هنا رجعى مدته خمسين يوما.

(ب)

الحجـة الثانيـة

ديوان عموم الأوقاف - إدارة الأوقاف الأهلية

ملخص مستند وقف على بك الكبير

نوع المستند : حجة أيقاف وضم

تاريخ المستند : ١٨ ذو القعدة سنة ١١٨٥

المحكمة الصادرة منها : الباب العالى

بيان الاعيان الموقوفة

عدد	فدان	نوع الأعيان	الموقع	ملحوظات
١		أراضى	بناحية طنطا وغيرها	كامل أراضى الناحية
١		أراضى	ناحية بلتاج	شرحه
١		أراضى	ناحية حصة طنطا	شرحه
١	٢٥	مال حماية قطعة الأرض المذكورة المعروفة بباق الغنم		
١		بناء مسجد الانشاء والعمارة	طنطا	هذا البناء يشتمل على ضريح ومكتب
١		وكالة	طنطا بجوار المسجد الاحمدي	وصهريج وقيسارية وثلاثة وكايل وغيره

انشـــاء الواقـــف

انشاء الأمير على بك الواقف المرصد الموما إليه وقفيه على ما بين فيه فاما الصهريج المذكور اعلاه فإنه جعله وقفا مسبلا على عامة المسلمين معدا لوضع الماء العذب فى زمن النيل المبارك من كل سنة لشرب المارين والمترددين عليه من خلق الله تعالى ـ وأما المكتب المعروف أيضا بانشائه وتجديده المذكور اعلاه الذى علو الصهريج المرقوم فإنه جعله وقفا معدا لتعليم أطفال المسلمين لحروف الهجائية والكتابة وقراءة القرآن المبين على العادة فى مثل ذلك.

وأما جميع خراج قطعة الأرض التى على وجه البر والصدقة المعروفة بباق الغنم المذكورة فإن الواقف ارصدها وجعلها برسم عليق وربيع الأنوار المعدين لإدارة الساقية وملء لاحواض وطحن الحنطة للجراية بالطاحون الكائن ذلك بالناحية المذكورة الموقوفين من قبل الواقف المشار إليه اعلاه المعينين للسادة المجاورين وغيرهم والمستحقين لوقفه السابق الآتى ذكره فيه من فول وتبن وبرسيم بحسب ما يراه الناظر على ذلك ويؤدى إليه اجتهاده. وأما كامل الثلاثة نواحى المرصدة المذكورة اعلاه وجميع القيسارية المرقومة وما بها من الثلاثة وكامل وما بهم من الحواصل والطباق والحوانيت بداخل القيسارية وخارجها وبيت القهوة وكامل الوكالة المعروفة بوكالة الغورية المذكورين آخرا بعاليه فإن الواقف المرصد الموماً إليه جعل أن يعرف كامل فائض نواحى وكامل أجرة العقارات المشروحه اعلاه من تاريخه ادناه فى وجوده خيرات وقربات وميراث على مقام وضريح ومسجد السيد أحمد البدوى بناحية طنطا فى معاليم قرآن عظيم الشأن وشيخ وداعى ومدرس تفسير قرآن شريف ومعيد تفسير قرآن ومدرس حديث شريف ومعيد حديث شريف وفى زيادة معالم الإمام شافعى وإمام مستعجل وخطيب ومرقى ومستقبلين دكه ومؤذنين وميقاتى وفراشين ووقادين وبوابين وكناسين وملا مطهرة وسواقين الساقية وسقايين وفى معالم خدمات الصهاريج من ملىء وغيره وثمن طوانس وقواديس وحلفا وكلالات برسم الساقية المذكورة وفى توسعة للخدمة فى شهر رمضان وثمن زيت طيب وقود بالمسجد والقبتين وللمنارات ضريح سيدى نور الدين وفى الموالد وشهر رمضان وثمن زجاج وسلاسل واحبال وثمن حصر منوفى تفرش بالمسجد والزاوية والقبتين وضريح سيدى نور الدين وثمن ارز أبيض ولحم جاموس وثمن سمن مسلى ومصروف الطبخ وأجرة طباخين وثمن حطب برسم الوقود فى شهر رمضان وثمن كساوى لعامة العلماء والمجاورين والغرباء والمنقطعين

والايتام بالمسجد والمكتب المذكورين وثمن أكفان للموتى من الفقراء المنقطعين من المجاورين والايتام والطرحاء بالمسجد المذكور بالناحية المرقومة، وفي تسابك مجاري الصهاريج والمطهرة وفيما يحدث بالصهريج والمكتب وأماكن الوقف المذكورة من العمارات والمرمات وفي معلوم الناظر الأصلي على الوقف المذكور ومعلوم الخادم الكبير بالمقام المشار إليه اعلاه ومعلوم باقي خدمة المقام المذكور ومعلوم المشايخ الخلفاء بالمقام المومأ إليه وأرباب الأشاير الاحمدية في زمن المولد الصغير المعروف بمولد الشرنبابلية، ومعلوم المباشر والشاهد والجابي والشاد بالوقف المذكور وفي معتاد ومصرف قائمقام النواحي من شادية النواحي المذكورة ومأكله ومشربه كل ذلك زيادة عن معالم المستحقين بوقف أحمد البدوي المومأ إليه الأصلي وفي مرتبات وغير ذلك وقدر كامل فائض الثلاث نواحي وأجرة العقارات المذكورين اعلاه بعد اخراج ما على النواحي المذكورة من المالي الميري لجهة الديوان العالي وتوابعه وجرف الجسور والرزق والمصاريف اللازمة عن ذلك وتحت ما يحدث بالعقارات المشروحه من خلوات السكن ونقص من الأجرة مبلغا قدره في كل سنة من الفضة الانصاف العددية الديوانية عدد (٨٤٨٥٢٥) (ثماني مائة ألف نصف وثمانية وأربعون الف ونصف وخمسماية وخمسة وعشرون نصف فضة ديواني يصرف ذلك في كل سنة على ما يبني فيه.

نصف فضة
عدد

٥٤٠٠ يصرف سنويا في معلوم ثلاثين نفرا من حملة القرآن العظيم يقرءون كل يوم بعد صلاة الفجر ختمة شريفة كاملة ثلاثون جزءا ويقرءون أيضا كل يوم بعد صلاة العصر ختمة كاملة ثلاثون جزءا داخل سيدي أحمد البدوي المشار إليه اعلاه مجتمعين تجاه مقامه الشريف ويختمون قراءتهم في كل مرة بسورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأسماء الله الحسنى وذكره الأثنى والتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ويهدون ثواب ذلك زيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم وإلى أرواح الصحابة والقرابة والتابعين وتابع التابعين وتابيعهم والأربعة الأئمة المجتهدين ومقلديهم وأرباب الأشاير الأربع خصوصا إلى روح سيدي أحمد البدوي المشار إليه اعلاه وفي صحائف الأمير علي بك الواقف المشار إليه حال حياته وإلى روحه بعد وفاته وإلى روح معتقه وعتقائه وارقائه وفروعه وأموات المسلمين على العادة في ذلك حسابا عن كل شهر ٤٥٠ نصف فضة بالسوية بينهم لكل واحد منهم في كل شهر في الوقتين المذكورين ١٥.

نصف فضة
عــدد

٥٤٠	يصرف فى كل سنة فى معلوم من يكون شيخا عليهم ودعجيا[1] ويتعاطى الدعاء بعد القراءة وخدمه الربعة ولها فى صندوقها ورفعها فى مكانها فى الوقتين المذكورين حسابا عن كل شهر ٤٥ نصف فضة.
٣٦٠	يصرف سنويا فى معلوم ٤٠ نفرا يقراءون فى كل يوم قبل طلوح الفجر سورة الانعام الشريف مدارسة مجتمعين تجاه المقام الأحمدى المشار إليه ويختمون قرائتهم ويهدون ثوابها على الوجه المشروح باعاليه حسابا عن كل شهر سبعة أنصاف ونصف فضة لكل واحد منهم.
١٢٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون منهم شيخا عليهم ودعجيا عقب القراءة المذكورة زيادة على معلومه حسابا من كل شهر عشرة أنصاف فضة
٢٤٠٠	يصرف سنويا فى معلوم ٤٠ نفرا قراء يقرأون فى كل يوم بعد صلاة العصر سورة يسن الشريف مدارسة تجاه المقام الاحمدى المشار إليه ويختمون قرائتهم ويهدون ثوابها على الوجه المسطور حسابا عن كل شهر ٢٠٠ نصف فضة سوية بينهم لكل واحد منهم فى كل شهر خمسة أنصاف فضة
٦٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون منهم شيخا عليهم ودعجيا عقب القراءة المذكورة زيادة عن معلومه حسابا عن كل شهر خمسة أنصاف فضة
٧٢٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون شيخا على السادة القراءة بالمقارئ المرتبين من قبل مولانا الواقف المشار إليه اعلاه بالمسجد والمقام الاحمدى نظير تقييده بالقراء المذكورين.
٢١٦٠	يصرف سنويا فى معلوم ثلاثة انفار نقباء بالمقارئ المذكورين نظير تقييدهم بخدمة القراء بالمقارئ المذكورين سوية بينهم لكل نفر من ذلك فى كل شهر ستون نصفا

١ـ دعجيا أى يقوم بالدعاء فيردده القراء ويؤمنون عليه.

نصف فضة عـدد	
٢١٦٠	يصرف سنويا فى معلوم رجل عالم من علماء الإسلام العاملين بكتاب الله تعالى التابعين لسنة نبيه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يقرأ فى المسجد المذكور درسا من تفسير القرآن العظيم لتعليم السادة المجاورين بالمسجد المرقوم وأهالى الناحية المرقومة
٧٢٠	يصرف سنويا فى معلوم رجل معيد مقرئ للمدرس المرقوم
٢١٦٠	يصرف سنويا فى معلوم رجل عالم من علماء المسلمين المحدثين يقرأ بالمسجد المرقوم فى كل يوم درسا من حديث البخارى للسادة المجاورين بالمسجد المذكور وغيرهم من أهالى الناحية المذكورة
٧٢٠	يصرف سنويا فى معلوم رجل مقرئ معيد للمدرس المذكور يكون فيه أهليه لذلك
٢٤٠٠	يصرف سنويا فى معلوم أربعين قراء من حفظة القرآن العظيم يقرأون فى كل ليلة من شهر رمضان ختمة شريفة كاملة تجاه المقام الاحمدى المذكور ويختمون قرائتهم على الوجه المشروح باعاليه لكل واحد منهم فى كل سنة خمسة وثمانون نصف فضة
٢٠٠٠	يصرف سنويا فى معلوم جماعة من القراء الحسنى الأصوات يقرأون كل ليلة فى آخرها قبل طلوع الفجر فى شهر رمضان ما تيسر قراءته من القرآن العظيم بالدكة بمسجد المقام الاحمدى المشار إليه مع مدحهم النبى صلى الله عليه وسلم ويعلون الآذان مع طلوع الفجر بالدكة المذكورة سوية بينهم
٧٢٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون إماما شافعيا راتبا يؤم الناس بالصلوات الخمس بالمسجد المرقوم زيادة عن معلومه بالوقف الأصلى
٣٦٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون إماما مستعجلا يؤم الناس الصلوات الخمس بالمسجد المرقوم زيادة عن معلومه بالوقف الأصلى
١٨٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون خطيبا فى أيام الجمع والأعياد بالمسجد المرقوم زيادة عن معلومه بالوقف الأصلى

نصف فضة عـدد	
٥٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون مرقيا للخطيب المذكور
٧٢٠	يصرف سنويا فى معلوم أربعة أنفار مستخدمين بالدكة أيام الجمع والأعياد المذكورين زيادة عن معلومهم بالوقف الأصلى سوية بينهم لكل واحد منهم فى كل سنة ١٨٠ نصف فضة
٣٦٠٠	يصرف سنويا فى معلوم رجلين عالمين يعلم الميقات يعرفان الأوقات ليلا ونهارا بالمسجد المرقوم زيادة عن معلومها بالوقف الأصلى سوية بينهما لكل نفر منهما فى كل شهر ١٥٠ نصف فضة
٨٦٤٠	يصرف سنويا فى معلوم أربعة وعشرين نفرا حسان الأصوات يؤذون بالمنارتين بالمسجد المذكور اعلاء فى الأوقات الخمس ويعملون السحريات بالتهليل والتسبيح فى كل ليلة على العادة زيادة عن معلومهم بالوقف الأصلى سوية بينهم لكل واحد منهم فى كل شهر خمسة عشرا نصفا فضة
١٠٨٠٠	يصرف سنويا فى معلوم عشرة أنفار دينيين يكونون كناسين وفراشين ووقادين بالمسجد المرقوم زيادة عن معلوم الوقف الأصلى لكل نفر منهم فى كل شهر تسعون نصفا فضة
٨٦٤٠	يصرف سنويا فى معلوم اثنى عشر نفرا يكونون بوابين بالمسجد وباب السر والمقصورة وباب المبخرة ويتقيدون بخدمة المذكورة ليلا ونهارا زيادة عن معلومهم بالوقف الأصلى لكل واحد منهم فى كل شهر ستون نصفا فضة
١٤٤٠	يصرف سنويا فى معلوم رجلين يتعاطيان صرف المياه لملء الميضا والحنفية وحيضان بيوت الأحذية والمستحمات وتنظيف ذلك زيادة عن معلومها بالوقف الأصلى لكل نفر منهما فى شهر ستون نصفا فضة
٣٦٠٠	يصرف سنويا فى معلوم رجلين معدين لسقى المجاورين فى كل يوم وفى ليالى القمارى والصلاة على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم بالمسجد المرقوم لكل نفر منهما فى كل شهر ١٥٠ نصف فضة

نصف فضة عـدد	
٢١٦٠	يصرف سنويا فى معلوم ثلاثة انفار سواقين بساقية المسجد المرقوم ومتقيدين بعليق الأثوار وكلفتهم زيادة عن معلومهم بالوقف الأصلى لكل نفر منهم فى كل شهر ستون نصفا فضة
٢٨٨٠	يصرف سنويا فى معلوم أربعة أنفار كناسين حول المقام والمسجد والصهريج والمكتب بالشارع وتنظيف القاذورات وغير ذلك لكل منهم فى كل شهر ستون نصف فضة
٣٦٠٠	يصرف سنويا فى معلوم رجلين يتعاطيان رش المياه حول المسجد والمقام والصهريج والمكتب المذكورين اعلاه بالشارع فى كل يوم على العادة لكل نفر منهما فى كل شهر ١٥٠ نصف فضة
٤٠٠٠	يصرف سنويا اجرة الفراشين القادرين على نصب التعليق والوقادة بالموالد واجرة زجاج واحمال وغير ذلك
٧٢٠	يصرف سنويا فى معلوم رجل يتعاطى ازالة القاذورات داخل المسجد وخارجه فى أيام الموالد وغيرها حسابا عن كل شهر ستون نصفا فضة
٨٦٤٠	يصرف سنويا فى معلوم ثمانية انفار سالمين من العاهات نظيفى الثياب صحاح الابدان يتعاطون ملء المزملات والمصاصات بالصهاريج التى جملتها صهريج مولانا الواقف المشار إليه اعلاه وتنظيفها وسقيا المارين والواردين والمترددين عليهم لكل نفر منهم فى كل شهر ألف نصف فضة وثمانون نصفا حسابا عن كل شهر تسعون نصفا فضة
٥٠٠٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون ناظرا على هذا الوقف والارصاد نظير تقييده بالوقف المذكور وقبض ريعه وصرف مهماته المشروحه اعلاه
٢٠٠٠	يصرف سنويا فى معلوم من يكون خادما كبيرا بالمقام الشريف الاحمدى المذكور زيادة عن معلومه بالوقف الأصلى
٥٠٠٠	يصرف سنويا فى معلوم باقى الخدمة بالمقام المشار إليه اعلاه سوية بينهم

نصف فضة عـدد	
٣٠٠٠	يصرف سنويا فى معلوم السادة الخلفاء بالمقام الاحمدى المشار إليه اعلاه زيادة عن معلومهم بالوقف الأصلى
١٠٠٠	يصرف سنويا فى معلوم نقباء المشايخ الخلفاء المذكورين سوية بينهم
٢٤٠٠	يصرف سنويا فى معلوم المشايخ الأثنى عشر بيتا أرباب الاشاير الاحمدية بمصر نظير حضورهم المولد الشريف الصغير المعروف بالشرنبابلية وزفهم الشاشات حكم معتاد المولد الكبير سوية بينهم لكل بيت منهم فى سنة الف نصف فضة
١٣٠٠	يصرف سنويا فى معلوم الثلاثة عشر نقيبا ببيوت الاحمدية ارباب الاشاير المذكورين ونقيب النقباء المذكورين سوية بينهم لكل نفر منهم فى كل سنة مائة نصف فضة
٥٤٠٠	يصرف سنويا فى معلوم رجل صاحب ديانة يكون كاتبا عالما بالحساب مباشرا للوقف المذكور
٢٧٠٠	يصرف سنويا فى معلوم رجل صاحب عدالة يكون شاهدا بالوقف المذكور
٥٤٠٠	يصرف سنويا فى معلوم رجلين يكونان شاهدين بالمقام الاحمدى والمسجد وأماكن الوقف المذكور زيادة عن معلومهما بالوقف الأصلى لكل واحد منهما ٢٧٠٠ نصف فضة
٥٤٠٠	يصرف سنويا لمن يكون جابيا بالوقف المذكور يتعاطى قبض ريعه
٢٠٠٠	يصرف سنويا فى معلوم الشيخ حسن الاحمدى خليفة السادة الاحمدية بمصر القديمة
١٠٨	يصرف سنويا لكل من يكون نجارا يتعاطى تصليح ساقية المسجد المذكور وعمارتها
٦٠٠٠	يصرف سنويا توسعة للخدمة أرباب الشعاير بالمسجد والمقام المذكور اعلاه فى شهر رمضان
١٦٥٠	يصرف سنويا فى ثمن ثلاث شاشات لرسم لف عمامة سيدى أحمد البدوى المومأ إليه فى مولد الصغير حكم عادة المولد الكبير

نصف فضة
عـدد

١٠١٥٠ يصرف سنويا فى ثمن أربعمائة رطل وستة ارطال من قهوة ليشترى برسم شرب الفقراء بالمقارئ فى ليالى السنة وشهور رمضان سعر كل رطل خمسة وعشرون نصف فضة ما هو للفقراء بالمقارئ المسجد المشار إليه فى كل سنة ١٥٣ ط وما هو للقراء بالمقرأة المرتبة لكل ليلة من قبل الواقف المشار إليه فى كل١٨٠ط وما هو للقراء بالمقولة المرتبة من قبل الواقف المشار إليه فى شهر رمضان ٢٢ ط وما هو فى الليالى المعدة للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم المرتبة من قبل الواقف المشار إليه بالمقام الاحمدى ٥١ ط باقى ذلك

١١١٥٠ يصرف سنويا فى ثمن ٤٠٦ط شمع سكندرى يستضاء به بالمسجد والمقام الاحمدى المشار إليه برسم المقام وشهر رمضان وليالى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم سعر كل رطل خمسة وعشرون نصف فضة ما هو للمقارئ المذكورة فى كل سنة ١٥٣ط وما هو للفقراء المرتبة فى كل ليلة ١٠٨ط وما هو للمقرأة فى شهر رمضان ٥٢ط وما هو فى ليالى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ٥١ط باقى ذلك

٥٠٠٢٥ يصرف سنويا فى ثمن ارز ولحم جاموس وسمن مسلى وثمن حطب وقود برسم عمل الشوربة فى كل يوم فى شهر رمضان للسادة المجاورين بالمسجد والمقام الاحمدى فى المشار إليه وصرف الطبخ واجرة الطبخ ـ ما هو فى ثمن ٤٥ اردب ارز أبيض ويشترى برسم الشوربة المذكورة فى شهر رمضان ثلاثون يوما كل يوم اردب ونصف اردب سعر كل اردب منها ٥١٠ نصف فضة وما هو ثمن ٦٠ قنطار لحم جاموسى يشترى برسم عمل الشوربة المذكورة فى شهر رمضان ثلاثون يوما فى كل يوم قنطاران اثنان سعر كل قنطار من ذلك ٢٥٢ نصف فضة وما هو فى ثمن ١٠ قناطر سمن مسلى يشترى برسم عمل الشوربة المرقومة فى شهر رمضان ثلاثون يوما عن كل يوم ثلث قنطار سمن مسلى سعر كل قنطار من ذلك ٨٥٠ نصف فضة وما هو فى ثمن بصل وحمص ومصلح يشترى فى شهر رمضان لعمل الشوربة المذكورة فى كل سنة ٦٠٠ نصف فضة وما هو فى ثمن حطب وقود يشترى فى شهر رمضان ثلاثون يوما برسم طبخ الشوربة

نصف فضة
عـدد

المذكورة ٢٥٥٠ نصف فضة حساب عن كل يوم خمسة وثمانون نصفا فضة وما هو فى أجرة طباخ الشوربة المذكورة فى شهر رمضان كل سنة ٤٢٥ نصف فضة باقى ذلك

٥١٠٠٠ يصرف سنويا فى ثمن ثمانين قنطارا زيتا طيبا يستضاء به بالمسجد والقبتين والليالى الشريفة وليالى المولد وشهر رمضان والمنارتين المذكورتين اعلاه بما فى ذلك اجرة المراكب والجمال والحمالين لذلك من مصر المحروسة إلى ناحية مليج، ومن مليج إلى ناحية طنطا المذكورة زيادة عن الوقف الأصلى ما هو فى ثمن الثمانين قنطارا الزيت المذكورة ٤٨٠٠٠ نصف فضة سعر كل قنطار من ذلك ٦٠٠ نصف فضة وما هو فى أجرة المراكب والجمال الحاملين لذلك فى كل سنة ٣٠٠٠ نصف فضة.

١٧٠٠٠ يصرف سنويا فى ثمن حصر منوفى تفرش بالقبتين والمسجد والزاوية والمكتب المذكورين اعلاه زيادة عن الوقف الأصلى

١٠٠٠ يصرف سنويا فى ثمن ستاير برسم المكتب المذكور

٦٠٠٠ يصرف سنويا فى ثمن زجاج وسلاسل وأحبال برسم المسجد المذكور زيادة عن الوقف الأصلى

٧٢٠ يصرف سنويا فى ثمن زحاحيف ومقشات للمسجد والقبتين المذكورتين زيادة عن الوقف الأصلى

٧٢٠ يصرف سنويا فى ثمن قلل واباريق تشترى برسم القارئ فى الليالى وفى شهر رمضان بالقبتين والمسجد المذكورين اعلاه

١٤٤٠ يصرف سنويا فى ثمن بكارج نحاس وفناجيل وحطب وقود برسم عمل القهوة المذكورة اعلاه فى الليالى المذكورة اعلاه وفى شهر رمضان

٢٨٨٠ يصرف سنويا فى ثمن طوانس وقواد يس وحلقه وكلالات يشترى ذلك برسم ساقية المسجد المرقوم زيادة عن الوقف الأصلى

نصف فضة
عـدد

٨٥٠٠٠	يصرف سنويا فى ثمن كساوى تشترى لكافة العلماء والمجاورين والعميان والأيتام بالمسجد المرقوم من بفته وزعابيط وقماش أبيض كل شخص ما يليق به بحسب ما يراه الناظر على ذلك ويؤدى إليه اجتهاده
٥٠٠٠	يصرف سنويا فى ثمن خمسين جبة صوف وخمسة وعشرين مقطع قماش وخمسين طاقية وخمسين شدا وخمسين مركوبا برسم كسوة خمسين يتيما قاصرين عن درجة البلوغ المرتبين من قبل الواقف المشار إليه لتعليم حروف الهجاءة وقراءة القرآن العظيم بالمكتب المذكور اعلاه لكل واحد منهم عن كونه فى شهر رمضان من كل سنة جبة صوف واحدة ونصف مقطع قماش وطاقية وشد ومركوب سوية بينهم بينهم حسابا عن كسوة كل يتيم منهم فى كل سنة مائة نصف فضة
٢٠٠	يصرف سنويا فى ثمن بفته محلاوى ومقطع قماش أبيض وشاش بلدى برسم كسوة فقيه الاولاد بالمكتب المذكور
٣٠٠	يصرف سنويا فى ثمن كسوة رجلين صالحين من حفظة القرآن العظيم يكونين عريقين بالمكتب المذكور متقيدين بتعليم الايتام المذكورين الكتابة والهجاءة والقرآن العظيم وقراءة الحزب الشريف فى كل يوم والدعاء لمولانا الواقف فى مثل ذلك على العادة عند انصرافهم من المكتب المذكور فى ثمن جبتين صوف ومقطعين قماش سوية بينهما حسابا عن كل جبة ومقطع قماش لكل واحد منهما فى شهر رمضان فى كل سنة ١٥٠ نصف فضة
٤٢٥٠٠	يصرف سنويا فى ثمن اكفان تشترى برسم الأموات من المجاورين والأيتام والمطروحين والمنقطعين بالمسجد المرقوم بناحية طنطا وتجهيزهم ومواراتهم فى قبورهم.
٨٠٠٠	يصرف سنويا فى ملء الأربعة صهاريج الكائنة بناحية طنطا المذكورة التى من جملتها صهريج الواقف المشار إليه اعلاه من الماء العذب فى زمن النيل
١٠٠٠	يصرف سنويا فى أجرة نزح الصهاريج المذكورة وتنظيفها وبخورها

نصف فضة عـــدد	
٢٠٠٠	يصرف سنويا فى ثمن قرب وادلية وسلب وقلل وكيزان وما يحتاج الحال اليه برسم الأربعة صهاريج المذكورة
١٥٠٠	يصرف سنويا فى أجرة سباكين لتسليك مجارى الصهاريج والمبخرة بالمسجد المرقوم
٤٠٠٠	يصرف سنويا فيما يحدث بأماكن الوقف المذكور من العمارات والترميمات
١٥٠٠٠	يصرف سنويا لكل من يكون قائمقام بالنواحى المرصدة المذكورة نظير خدمته ومشاديته ومأكله ومشربه ومصاريفه بشرط أن لا يتجارى على أحد من أهالى النواحى يأخذ مصلحة ولا شكاية ولا غرامة ولا كلفة ولا غير ذلك مطلقا وأن ينظر فى ذلك بتقوى الله العظيم ما هو لشاديته ١٠٠٠٠ نصف فضة ولاكله ومشربه ومصاريفه ٥٠٠٠ فضة
١٧٥٠٠٠	يصرف مرتبا سنويا باسم الست عائشة قادن بنت عبد الله البيضا معتوقة الامير إبراهيم كتخدا مستحفظان زوجة الواقف المشار إليه
١٢٥٠٠٠	يصرف مرتبا سنويا باسم الست نفسيه خاتون بنت عبد الله البيضا مستولدة الواقف المشار إليه
٧٥٠٠٠	يصرف مرتبا سنويا للست مندور خاتون بنت عبد الله البيضا مستولدة الواقف باقى ذلك البيان المرعى تنتفعن به مدة حياتهن ثم من بعد كل واحدة منهن بصرف ما كان مرتبا لها على أولادها ذكورا واناثا بالسوية بينهم المرزوقين لها من الواقف المشار إليه اعلاه ثم من بعد كل منهم على أولاده ثم على أولاد أولاده ثم على أولاد أولادهم ثم على ذريتهم ونسلهم وعقبهم طبقة بعد طبقة ونسلا بعد نسل وجيلا بعد جيل فاذا ماتت واحدة منهم ولم تعقب ذرية يصرف استحقاقها المرتب لها لعتقائها ذكورا واناثا بيضا وسودا بالسوية بينهم ثم من بعد كل منهم على أولاده ثم على أولاد أولاده ثم على أولاد أولاد أولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم على الحكم المشروح اعلاه، فاذا انقرضوا العتقاء وأولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم ولم يبق منهم أحد ينتقل استحقاقهم المرقوم لعتقاء عتقائهم ذكورا وأناثا وأولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم كذلك على الحكم المشروح اعلاه فاذا ماتت واحدة منهن ولم تعقب ذرية ولا عتقاء ولا ذرية

ولا عتقاء عتقاء ولا ذرية لهم ولا فردا واحدا منهم. وأبادهم الموت عن آخرهم وخلت بقاع الأرض منهم أجمعين وكان واحدة من المستحقات المذكورات موجودة أو الاثنان ينتقل استحقاقهما المرتب لها لمن فى درجتها وذوى طبقتها فان لم يكن هناك من هو فى درجتها وذوى طبقتها ينتقل ذلك للموقوف عليهم بحسب ترتيب طبقاتهم فان لم يوجد من الموقوف عليهم ولا فردا واحدا يضم ذلك لوقفه السابق المعين بكتاب وقفه الشرعى السابق المسطر من هذه المحكمة المؤرخ ١٠ شعبان سنة ١١٨٣ ويلحق به ويصرف فى وجوه الخيرات والقربات والميراث المعينه به ويكون حكم ذلك لحكمه وشرطه كشرطه فى الحال والمآل والتعذر والامكان ابد الأبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

٨٤٨٨٥٢٥

شروط الواقف

شرط الأمير على بك الواقف فى وقفه هذا شروطا

١- منها أن النظر على ذلك والولاية عليه من تاريخه بنفسه أيام حياته ثم من بعد انتقاله إلى دار الكرامة يكون النظر على ذلك والولاية عليه لكل من هو مشروط له النظر على وفاته السابق المعين بكتاب الوقف المحكى تاريخه اعلاه.

٢- ومنها أن القراء وأرباب المرتبات والخيرات والعلماء والمقرئين وأرباب الخدمات وغيرهم مما هو معين لهم خدمة أو وظيفة مما يذكر باعاليه يتعاطى خدمة أو وظيفة من غير تقرير فى شىء من ذلك وكل من تقرر فى خدمته بتقرير من قاضى أو قاضى ولاية يكون مطرودا مخرجا ومبعدا من هذا الوقف مطلقا ولا يعود له أصلا ويقيم الناظر على هذا الوقف رجلا خلافه من غير تقرير وإنما يعين اسمه بقائمة الصرف فقط.

٣- ومنها أن كل من عطل خدمته أو قراءته فوق ثلاثة أيام من غير عذر شرعى فللناظر أن يولى رجلا خلافه فى خدمته أو فى قراءته.

٤- ومنها أن الواقف المشار إليه قرر فى وظيفة المباشرة المذكورة اعلاه على هذا الوقف والارصاد المعين اعلاه فخر الكتاب الشيخ شمس الدين محمد الشافعى المنزلاوى

باشى مباشر وقف الدشيشه الكبرى حالا بن المرحوم الشيخ عبد الرحمن المذكور اعلاه فى حياته ثم من بعده لأولاده وذريته ونسله وعقبه الذكور دون الأناث بشرط أن يتعاطى خطاب الوقف المذكور بنفسه دون غيره ويوزعه على مستحقيه بالوجه الشرعى تقريرا شرعيا.

٥- ومنها أن الواقف المشار إليه اعلاه شرط أن وقفه وارصاده هذا لا يؤجر لاكله ولا بعضه ولا جزآ لا مدة طويلة ولا مدة قصيرة وأن القرى المذكورة تزرع سنة بسنة بالخراج حكم المعتاد وتؤجر العقارات المذكورة شهرا بشهر أو سنة بسنة بأجرة لمثل فما فوقه ولا يتعرض لذلك أمير من الأمراء ولا ظالم ولا كاشف ولاية ولا باب كشوفية ولا غير ذلك مطلقا ولا يبدل ولا يستبدل لا بنقود ولا بعروض ولا بعقار ولا بعلوفة لا بغير ذلك مطلقا ومتى خالف الشرط من يكون ناظرا على هذا الوقف المرقوم أو مستحقا فيكون معزولا من وظيفته النظر ويكون المستحق ليس له استحقاق فى ذلك مطلقا قبل تعاطيه ذلك بخمسين يوما حتى لا يصادف عمله محلا شرعيا.

٦- ومنها أن الواقف شرط لنفسه دون غيره فى وقفه الشروط العشرة مدة حياته يفعل ذلك ويكرره الكرة بعد الكرة والمرة بعد المرة وليس لاحد من بعده فعل شىء من ذلك.

(انتهت)

(٤)

خرائط وآثار
من
عهد على بك الكبير

١ـ تقسيم مصر الإدارى

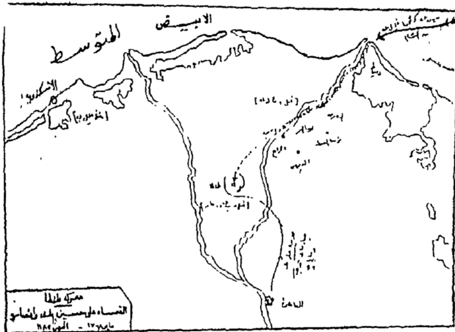
٢ـ معركة طنطا ١٧٦٨ ـ ١١٨٢

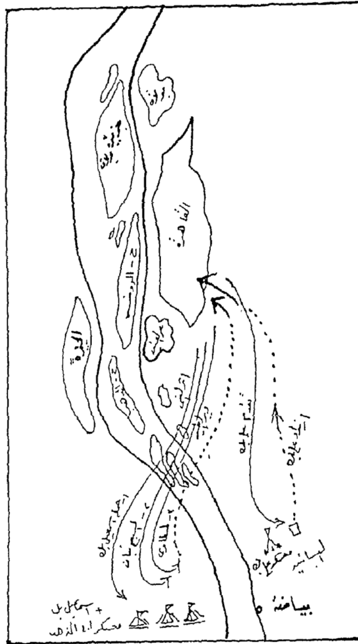
٣ـ معركة بياضة ابريل ١٧٧٢ / محرم ١١٨٦

٤ـ معركة الصالحية ابريل ١٧٧٣/ محرم ١١٨٧

٥ـ عملة ذهبية باسم على بك ١١٦٧ / ١١٧١

البحر الابيض المتوسط
اسكندرية
رشيد
الغربية
البحيرة
المنوفية
الدقهلية
الشرقية
دمياط
القاهرة
الجيزة
الفيوم
البهنسا
اسيوط
قنا
قوص
عيذاب
بحر القلزم
اسوان
التقسيم الادارى مصر
+ مرابط
□ عاصمة ولاية

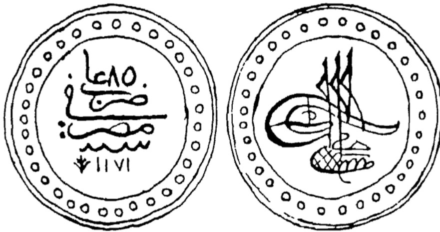

الابيض
المتوسط
الاسكندرية



معركة بياضة

انتصار أبي الذهب ١ ابريل ١٧٧٢ - المحرم ١١٨٦

معركة الصالحية . ابريل ١٧٧٣
وسيلاحظ انضمام المرتزقة إلى أبي الذهب



(٥)
كتاب على بك الكبير إلى أهالى دمشق
١٧٧٠م

مقـدمة

منذ أن تحول الطريق العالمى بين الشرق والغرب فى أواخر القرن الخامس عشر إلى طريق رأس الرجاء الصالح، ومنذ أن وقعت البلاد العربية تحت الحكم العثمانى ـ الذى أخذ فى التدهور بعد القرن السادس عشر ـ أصيبت البلاد العربية بتقهقر عام فى كافة المجالات الحضارية. وأدى توالى ضعف الحكم العثمانى إلى محاولة العصبيات المحلية أن تتولى هى بنفسها حكم بلادها فى إطار التبعية العامة للسلطان العثمانى، وإلى محاولة إنقاذ المنطقة من التدهور المتوالى الذى كانت تعانيه. ومن أبرز من قام بذلك على بك الكبير فى مصر، وظاهر العمر فى فلسطين. فقد أدى ضعف القوة العثمانية فى مصر إلى أن يستعيد المماليك مكانتهم حتى إنفرد على بك ـ دون الوالى العثمانى ـ بحكم مصر مكتفياً بلقب (قائمقام)، ومستنداً إلى عصبيته المملوكية. واستولى على الحجاز وتطلع إلى دمشق كجزء من خطته العامة نحو إحياء الطريق العالمى بين الشرق والغرب عبر المشرق العربى ومصر.

ووجد فى ظاهر العمر حليفاً قوياً له ضد عثمان باشا الوالى العثمانى فى دمشق المناهض لظاهر العمر ولسياسة على بك. وكانت قوة عثمان باشا خطيرة جداً على مستقبل الرجلين إذ كان نفوذه يمتد إلى الحجاز وكان أولاده يحكمون فى صيدا وطرابلس وبالتالى كانت مشروعات على بك تتوقف على إزالته. وفعلا بعث على بك بجيش مملوكى بقيادة (محمد أبو الذهب) إلى الشام لفتح دمشق بالتعاون مع ظاهر العمر وبتأييد ضمنى من منصور الشهابى الأمير الحاكم فى جبل لبنان. ولقد انتصر أبو الذهب، واستولى على دمشق. ولكن لم يلبث أن انقلب على سيده (على بك) وعاد بجيشه إلى مصر ليطرد منها (على بك)[١] الذى لجأ إلى

١ـ قضى عليه فى ١٧٧٣، ولم يلبث أن قتل ظاهر العمر فى ١٧٧٥.

ظاهر العمر، وتولى (أى أبو الذهب) حكم مصر، وسار من بعد على نفس السياسة التى سار عليها من قبل على بك.



ALI BEY du Caire.

ويلاحظ على رسالة على بك إلى أهالى دمشق أنها تركز على اتهام عثمان باشا بأنه تعدى على قوافل الحجاج إلى بيت الله الحرام فى مكة، وأنه اذل العلماء وتعرض للتجار والمسافرين، وأنه ما بعث بقواته إلى الشام إلا إنقاذاً له من تعديات وظلم عثمان باشا، دون أية إشارة إلى أنه (أى على بك الكبير) يثور على السلطان العثمانى الذى كان بمثابة خليفة المسلمين حينذاك. هذا، وكانت الدولة العثمانية حينذاك فى حرب مريرة ضد جارتها وعدوتها اللدود روسيا، تلك الحرب التى استمرت من ١٧٦٨ إلى ١٧٧٤، وانتهت بمعاهدة (كوچك قينارجى) ١٧٧٤ التى كشفت لأوربا عن ضعف الدولة العثمانية.

نص الوثيقة

صدر هذا الفرمان الشريف الشأن من ديوان [١] مصر القاهرة المحروسة المعالى. دامت لها المفاخر والمعالى من منّ به الكريم المنان على أهل هذا الزمان. وأظهر العدل والأمان. وعم بالفضل والإحسان جميع أهل القرايا والبلدان. وراغم أهل الجور والطغيان. أمير الأمراء الكرام. وعظيم الكبرا الفخام. المختص بمزيد عناية الملك العلام. أمير اللواء الشريف السلطانى والعلم المنيف الخاقانى [٢]. أمير على بيك أمير الحاج سابقاً. وقيم مقام [٣] مصر المحروسة حالاً ، دام عزه وبقاه. ورفع بالسعد لواه. مضمونه حمد بارى النسم. ومحى الرمم. الذى قدس وعظم قدر المسجد الحرام. وبارك حوله بجزيل النعم. وآمر بالعدل فى ساير الأمم. وأوعد الظالم بالهلاك والنقم. القايل تعالى فى كتابه المبين. أن الله لا يحب الظالمين ولا يصلح عمل المفسدين. ولا تآيسوا من القوم الفاسقين .

من بعد الصلاة والسلام على رسوله الأمين. سيد الخلق أجمعين. الصادق وهو اصدق من قال الضرر يزول وعلى أصحابه الذين سادوا وشادوا الدين صلوةً وسلاماً دايماً ليوم الدين. فمن بعد مزيد للسلام والتحية (بأنواع) الأمن والبركات. وجزيل النعم والخيرات. فى كل الأوقات والساعات. إلى حضرة العلما العالمين والفقها المحدثين المفتين بشريعة سيد الأنام وقضاة الإسلام وأرباب المناصب والحكام، والخاص والعام، من أهالى دمشق الشام. اعزهم الله بنور العقل واحكامه. واجارهم من الظلمة وظلامه. بلطفه وأكرامه. وأفاض عليهم جزيل إنعامه. فالذى يحيط كريم علمكم. وزكى فهمكم. إن الأمة لا تجتمع على الضلاله وقد علمتم ما صنعه عثمان باشا [٤] فى أرضكم من الظلم والجهاله. وأنه قد اعترض إلى الحجاج

١ـ كان لوالى مصر ديوان هو جزء من نظا الحكم العثمانى، وكان يحضره كبار رجال الحامية العثمانية وكبار رجال الإدارة والقضاء والأعيان وكبار التجار والعلماء، إلا أن الديوان، فقد قوته على المشاركة فى توجيه أمور البلاد بعد أن احتكر المماليك ـ وخاصة منذ عهد على بك الكبير (١٧٦٨ ـ ١٧٧٢) الحكم والإدارة.

٢ـ كلمة تركية تعنى السلطان.

٣ـ فى حالة عدم وجود والى من قبل السلطان العثمانى يتولاها (قائمقام)، وتجنب على بك إعلان نفسه والياً مكتفياً بالقائمقامية.

٤ـ والى ولاية الشام من ١٧٦١ إلى ١٧٧١.

والزوار وسلط عليهم الأشرار والفجار. بالأذية والأضرار. واظلم المسافرين والتجار. وذل الأماكن الشريفة وابدل من الحرمين [بالخيفة] وتعدى حدود الدين. وفعل ما لا يليق بالمسلمين. وقد قال من لا تراه العيون من يتعدى حدود الله فأوليك هم الظالمون.

فلما بلغنا عنه ما بلغ. وأنه فى أناء الأرض المقدسة ولغ. فبادرنا لسوء أعماله بالنقض. كما ازلنا فى عام الماضى من ظلمة البعض واردنا نطهر منه تلك الأرض نصرة للدين وغيرة على المسلمين. ورفع ضرره عن الأرض المقدسة. لما جاء فى الحديث ما حل بحرمكم حل بكم. وبلغكم ما فعله بعلما غزة. اذاقهم الذل بعد العزة ودفنهم بالأرض بالحيه. وقد جاء فى الحديث المقدس عن الآية من اذل أوليا الله أذله الله. وقوله تعالى فى كتابه الاسما. إنما يخشى الله من عبادة العلما. فان كنتم بذلك غير راضين. وعن دفع ضرره غير قادرين. فنحن بعون الله وهو نعم الوليّ وسالناه ينصر دين محمد بعلى. وصرفنا العساكر والأموال. فى رضى الملك المتعال. ووجهنا الفوارس والأبطال ليردوا الظالم. ويستردوا المظالم. ويميزوا العاطب من السالم. فالقصد منكم ترك الظالمين. والبعد عنهم أجمعين.. ومن يثق بهم منكم فانه منهم يكون. واجتهدوا فيما يرفع عنكم الشرور. ويجلب لكم الفرح والسرور. والغبطه والحبور. وأمير الحجاج الشامى من طرفنا يتولاه حفظاً وصيانة لحجاج بيت الله. فتعاونوا على عمل الخير وذهاب الضر والضير. وكما قال الملك المنان. تعاونوا على السير بالتقوى والتصديق. فالكريم الفتاح . من طلب العدل والصلاح. ولا تعاونوا على الأثم والعدوان أهل الظلم والطغيان. وها نحن قد اخبرناكم. والعساكر قاصدة إليه والجميع ما يلين[1] عليه. فلا تدعوه يقيم بارضكم. ولا بين أعيالكم. وقد سلطنا غضب الله وسخطه عليه. فاحفظوا منه ساير أموالكم وأحوالكم. ورأى العلما والكبار اعلا. وأنتم على فعل الخير أولى. وعلى القريب منكم والبعيد. و(الطارف) والتليد. والأحرار والخير يكون. والصعب يهون. بعون مدبر الكون.

١ـ أى القوا بثقلهم وقوتهم عليه.

(٦)

تهنئة منصور الشهابى لمحمد أبو الذهب بفتح الشام

١٧٧٠م - ١١٨٤ هـ

مقدمة

يعتبر عهد منصور الشهابى (١٧٥٤ - ١٧٧٠) بداية للصراع الأسرى حول الإمارة الشهابية، ذلك الصراع الذى استمر حتى آخر حاكم قوى من هذا البيت وهو بشير الشهابى الثانى الكبير (١٧٨٩ - ١٨٤٠). فقد انتهز منصور وأخوه أحمد مرض أخيهما الأمير الحاكم ملحم (١٧٣٢ - ١٧٥٤) وعملا على الإستئثار بالحكم من دون الأمير قاسم الذى كان يميل إليه ملحم. ولا يكاد الأخوان منصور وأحمد يتخلصان من (قاسم) حتى دب النزاع بينهما ليظهر خلال ذلك حزبان أحدهما (اليزبكية) بزعامة آل عماد ويشد أزره (أحمد) والثانى (الجنبلاطية) ويشد أزره (منصور) الذى نجح فى كسب بعض زعماء اليزبكية أيضاً وأن يتفرد بالحكم. ولكن كان أمامه مطالب بالإمارة شديد المراس هو سعد الخورى الوصى على الأمير يوسف بن ملحم. وكانت الظروف لا تعطى باستمرار الأمير الحاكم القوة اللازمة وإنما سرعان ما يجد القوى المؤازرة له تنقلب عليه، فقد انقلب عليه (على جنبلاط) كما أن عثمان الكرجى - والى دمشق - كان قد طوق الإمارة الشهابية عندما وضع ابنه (محموداً) على ولاية طرابلس، ومنه استطاع سعد الخورى الحصول ليوسف - المطالب بالإمارة - على حكم بلاد جبيل، كما قوّى ارتباطاته مع الموارنة - القوة النامية فى الشمال - عن طريق التعاون معهم فى طرد

(الحمادية) الشيعة من مناطق جبة بشرى واهدن وبلاد جبيل، وبالتالى كان من مصلحة الموارنة شد ازر يوسف فى الوصول إلى الإمارة. ومما ساعدهم على ذلك التطورات الكبرى التى وقعت فى المنطقة ابتداءً من ١٧٧٠.

ففى تلك السنة بعث على بك الكبير بجيش بقيادة محمد أبو الذهب ليتعاون مع ظاهر العمر ـ فى فلسطين ـ للإستيلاء على دمشق وطرد عثمان الكرجى منها. وأبدى منصور الشهابى تأييداً حذراً لحركة على بك الكبير، حيث أن ظاهر العمر كان قادراً على أن يفرض نفسه على الإمارة الشهابية بقوة، وبعث منصور برسالته هذه مهنئاً أبا الذهب على فتحه دمشق، إلا أن (أبا الذهب) لم يلبث أن غادر دمشق منقلباً على سيده (على بك الكبير)، وعاد عثمان الكرجى إلى ولا ـه الأمر الذى جعل منصور فى مركز ضعيف حيث أن (يوسف الشهابى) أعلن وقوفه الكامل إلى جانب عثمان الكرجى، هذا فضلاً عن تدهور مكانة منصور فى داخل الإمارة نفسها. وأدى كل هذا إلى أن يشعر (منصور) أنه لا يستطيع الإستمرار فى الحكم، وفى اجتماع عند (الباروك) حضره الأعيان، تنازل منصور عن الحكم والإمارة لإبن أخيه (يوسف) ١٧٧٠.

نص الوثيقة

الجناب العالى ذو الفخر والجمال. دامت له رتبة المعالى بالسعادة والاجلال. مشيد أركان رُتبة السنية. عسجدى الألقاب الشهيه. صدر صدارة الدولة المصرية. أمير لوا عالى شان اطال الله تعالى بقاه أمين. غب ابهى واشرف ما سجعت به اطيار منابر الأغصان. على قدود افنان الاشجر بالحان نشايد الأوزان الشجية. والطف ما نظمته أفكار ضماير الانام من عقود نظام الاشعار ودرر البيان الوضيّة. نهدى جناب من قد جلى سيوف الانتصار. وبدّد اعدايه بكل صقع وامصار. اعنى به من رفع اسمه باوج العلا. وترفعت اعلامه على روس الملا. وحاز الافتخار. بقايم السيف البتار. كيف لا وهو فريد الزمان. ونتيجة هذا الوقت والاوان.

أما بعد فى ابرك الأوقات واشرفها. وايمن الساعات والطفها قد ورد علينا أمثال جنابكم الشريف. وفهمنا فحواه المانوس لامنيف. واتضح لنا حلول ركابكم السعيد بدمشق الشام. بحسن تأييد واكمل نظام. والمقصود بلوغ الأرب وبغية المرام. فقد حصل عند مخلصكم بهجة لا تحد. وسروراً لا يعدّ. بتشريف ركابكم بهذه الأمصار. وقد اضطربت بقدومكم الاقطار. واستانست البلاد. واطمأنت خواطر العباد. ويسوغ لهم أن يترغوا مع الشاعر حيث يقول:

ثغر الزمان لقد غدى مبتسما

وشذا الزمان لقد غدى متنسما

واجابت الافاق من اغساقها

بترنم والكون ابدى منعما

فيا له من فرح لا يقر قراره. ولا يحصى طياره. جالبا للصدور جلباب (الجذل) والحبور. فنحمده جل شأنه بما أنعم واجذل واكرم. فلقد انتشرت سجاياكم. وشاعت مكارم عطاياكم. فيا خير مبعوث واكرم باعثٍ. ولقد بلغنا أن فى حلول ركابكم السعيد. تبدد العدو (أى) تبديد. ولم يساعه [1] حتى انهزم ورحل. فلا برحتُ اقبالكم بالسعد وبلوغ الامل. ورايات اعزازكم

١ـ صحها ولم يسعد.

خافقه. وروس اعدايكم طارقه. وبنوع التهجم والرجا ان تصرفوا حسن انظاركم السنيه. فى الملاحظة لحفظ الرعية. كما هو من صفات اخلاقكم الرضيه. وما لنا بذلك قصد سوى أن تغتنموا دعاهم. ويكون بذلك الثنا والحمد عند الله والعبيد. وقد وجهنا ناقل صحيفة [1] الدعا بنوع التهنى للجناب ليلا يطول بنا فى هذه النميقة الاسهاب. والمذكور محامد حمدكم بحر لا يقاس. ولا يحصيه يراع ولا قرطاس. والمذكور يعرض لديكم لكونه معتمدنا والرجا أن لا تخرجونا من خاطركم الشريف واطال الله بقاكم والسلام.

١ـ أى هذه الرسالة.

(٧)

رسالة
بالعفو عن الشيخ ظاهر العمر
وإسناد ولاية صيدا إليه

٢١ مايو ١٧٧٤ - ٢٧ ذي الحجة ١١٧٨

مقدمة

تميز النصف الثانى من القرن الثامن عشر بظهور عصبيات محلية حاكمة على حساب الحكم المباشر العثمانى فى الولايات. وكان من بين هذه العصبيات المحلية الحاكمة آل ظاهر العُمر فى صفد أولاً ثم أصبح ظاهر العمر والياً على صيدا متخذاً عاصمته عكا التى أخذ نجمها فى صعود منذ أن تولاها آل ظاهر العمر.

وكان والد ظاهر العمر الزيدانى عربيا متنفذا فى إقليم صفد حتى استطاع أن يحصل على حكمها من الأمير الشهابى ، إلا أن الصراعات الأسرية بين الأمراء المتناحرين على الإمارة، والضربة الحاسمة التى وجهتها الحكومة المركزية فى الآستانة إلى آل العظم حكام دمشق ومعظم ولايات الشام والصراعات بين الأحزاب القيسية ضد اليمنية واليزبكية ضد الجنبلاطية كل هذا قدّم الفرص الواسعة لظاهر العمر ليصبح القوة الثانية بعد والى دمشق العثمانى عثمان الكرجى وأن ينافسه على من تكون له اليد العليا على جبل لبنان ومنفذه بيروت وعلى من يكون صاحب الكلمة المسموعة فى وادى البقاع وفى جبل (لبنان) ديرة حكم آل شهاب.

وحينذاك كان الأمراء الشهابيون المتنافسون على الإمارة لا يتورعون عن طلبها، سواء عن طريق عثمان باشا أو عن طريق ظاهر العمر، فكان أن قامت تحالفات وتحالفات مضادة تمليها

المصلحة الذاتية أكثر من أى شىء آخر. بل إن هذه العناصر العصبية المحلية الحاكمة كانت لا تتورع عن الإستعانة باعداء الدولة العثمانية على نحو ما فعله كل من ظاهر العُمر ويوسف الشهابى عندما طلبوا من قائد الأسطول الروسى فى الليفانت إستخدام مدفعية أسطوله ضد عثمان باشا الكرجى والى دمشق عدوهم المشترك.

كذلك كان كلما ظهر فى مصر حاكم قوى تطلع إليه حكام الشام ليدفع بقواته لدعمهم، وكان حكام مصر بصفة عامة يدركون أن دمشق وصيدا تمثلان ظهيراً طبيعياً لهم يجدر أن يكون لمصر الكلمة العليا فيها، ومن هنا إلتقت أهداف كل من على بك الكبير ـ المستبد بحكم مصر دون الولاة العثمانيين ـ وظاهر العمر ضد عثمان باشا والى دمشق. هذا فضلاً عن أن على بك كان قد سبق له وأن أرسل حملة إلى الحجاز إستولت عليه لتحقيق هدف على بك الكبير فى إحياء الطريق العالمى بين الشرق الأقصى والغرب عبر مصر والشام.

وفعلاً زحفت القوات المملوكية إلى دمشق بقيادة محمد بك أبو الذهب واستولى على دمشق ولكن غادرها بعد عشرة أيام فقط منقلبا على سيده على بك الكبير، فما كان من على بك إلا أن فر إلى حِمَى صديقه وحليفه ظاهر العُمر، حقيقة دعّمَهُ ظاهر العمر بقواتٍ من عنده ولكن دارت الدوائر عَلَى عَلِىّ بك الكبير .

أصبح موقف ظاهر العمر ضعيفاً بسبب قوة عثمان باشا الكرجى الذى استرد دمشق ، وبسبب قوة محمد أبو الذهب فى مصر. وكذلك بسبب ضغط يوسف الشهابى بشدة على أطراف البلاد التابعة لظاهر العمر، ولظهور شخصية مغامرة سريعة الحركة شديدة الوطأة ونعنى بذلك أحمد باشا الجزار الذى تولى حكم بيروت من قِبَلْ يوسف الشهابى فما كان من الجزار إلا أن يعمل على أن يستبد ببيروت من دون الآخرين الطامعين فيها: آل شهاب . ظاهر العمر، فما كان من الأخيرين إلا أن طلبا من اميرال الأسطول الروسى طرد الجزار من بيروت، وتم لهما ذلك بعد قصف لم يكن فى إستطاعة الجزار أن يصمد له طويلاً.

ومع أن الدولة العثمانية كانت تضمر القضاء ـ ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ـ على العصبيات المحلية الحاكمة، فان الظروف المحلية والدولية كانت غير مواتية للإقدام على خطوة جريئة من هذا النوع إذا كانت الدولة فى حاجة إلى إلتقاط الأنفاس من جراء الحرب العثمانية الروسية التى إمتدت من ١٧٦٨ إلى ١٧٧٢ تلك الحرب التى كشفت حقيقة الضعف الشديد الذى كانت عليه الدولة العثمانية وهو ضعف إنعكس على معاهدة كوجك قينارجى ١٧٧٤ المذلة للعثمانيين.

فى هذه الظروف آمنت الحكومة المركزية فى إستنبول على وجهة نظر والى دمشق وحاكم جبل لبنان باعطاء فرصة لظاهر العُمر لأن يعمل تحت مظلة الدولة العثمانية وأن تسند إليه ولاية صيدا خاصةً وأنه قد أبدى الطاعة للسلطان العثمانى وفعلاً عفى عنه السلطان وأنعم عليه السلطان العثمانى بولاية صيدا (١٧٧٤) وما كان هذا إلا إلى حين قريب، حيث أن السلطان العثمانى لم يلبث بعد فترة وجيزة جداً أن جهزّ حملة كبيرة بقيادة حسين باشا قبطان الأسطول العثمانى فى البحر المتوسط للقضاء على ظاهر العُمر وتم له ذلك فى ١٧٧٥، وهى نفس السنة التى أسندَ فيها السلطان العثمانى حكم ولاية صيدا إلى أحمد باشا الجزار.

حدّد السلطان العثمانى شروطه لإسناد ولاية صيدا إلى ظاهر العمر على النحو التالى:

١ـ أن يدفع ٥٠٠ ألف قرش قيمة متأخرات.

٢ـ أن يدفع سنوياً ٢٥٠ ألف قرش لخزينة السلطان.

٣ـ أن يُغطى نفقات حراسة المحمل الشامى الشريف إلى مكة المكرمة.

فضلا عن تطبيق العدالة وإستتباب الأمن فى البلاد، والبُعد عن مهاوى الفتن والعصيان الذى نتيجته ـ من وجهة نظر الباب العالى ـ على نحو ما حدث لعلى بك قائمقام مصر.

نص الوثيقة

رسالة عثمان باشا للأمير يوسف بالعفو عن الشيخ ظاهر

افتخار الأمراء الكرام. عين الاماجد ذوى الاحترام. جناب الأمير يوسف الشهابى دام موفقا لما فيه السداد ورضى رب العباد.

غب اهداء ما يليق التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم، والسؤال عن خاطركم السليم، ننهى إليكم أنه قد سبق فى قضاء الله وقدره بهذه السنين الماضية كثير من الخلل والتشويش فى الاقطار العربية والبقاع الشامية بسبب الظلم الحادث من بعض ولاة الأمور وظهور على بك وفساده. فلما أراد الله رفع الفتن أمر به فكان. ولكن بقى آثار منه إلى هذه المدة لأن الحاجات مرهونة بالأوقات. فقلد جيدنا حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن حسم هذه الطائلة وحراسة الخاص والعام. فرأينا الشفقة على العباد من اسد السداد. واجتهدنا فى حقن دماء المسلمين وصيانة الأعراض. وأعرضنا عن تلفيق أصحاب الفتن والأغراض. وقد انتهت الأمور إلى استكشاف ما فى الصدور. وألهم الله كلا من ذوى العقول رشده وطلب لمجاحه وسعده . فمن أجل من طلب النجاح، وغرد طائر سعده بحيى على الفلاح قدوة المشايخ الكرام وعين أعيان العقلاء الفخام صاحب المقام المعتبر أخونا الشيخ ظاهر العمر. وقد حرر إلى نادينا الدستورى وسأل الدعاء وتمسك بحبل العهود والوفاء وأعلن الطاعة لحضرة مولانا السلطان ظل الله فى أرضه نصره العزيز الرحمن على شروط وعهود معلومة واستعطف أن ينعم عليه بايالة صيداء على وجه الملكية. ويرسل البقايا الباقية عليه فى ايالة صيدا خمسمائة الف غرش عاجلا. ويرسل كل سنة مائتين وخمسة وعشرين ألف غرش من المال للسلطان ويؤدى خدمة حراسة ولوازم المحمل الشريف كجارى المعتاد. فلما رأينا رجوعه عن العناد واقباله على السداد أنعمنا له بذلك على ما عندنا من التحقيق بكوننا مرسلين لنظام الأقطار العربية ومدرجين فى دفتر اعتماد الدولة العلية. وإننا إذا أملنا من كرمها شيئا لا يخيب الأمل ولا يضيع العمل. لذلك قد أجبناه وأنعمنا عليه بما تمناه. وأشعنا فى دمشق بنداء المنادى بين

الخاص والعام. والآن وردت أوامر العفو والقبول وإجابة المسؤول فحررنا من نادينا الدستورى مراسيم إلى كل من بيده مقاطعة من الايالة وابتدأنا بكم. لانكم ترغبون فى هذه الحالة إذ أنّ جناب أخينا الشيخ ظاهر فى مقام والدكم وعلى الخصوص أنه من سبعين سنة موصوف بحماية البلاد وصيانة العباد، لأنهم وديعه الله الملك الرحمن لحضرة مولانا السلطان. وهم من الطرف الخاقانى وديعة ولاة الاحكام فبوقوفكم على كتابنا هذا تتحققون نجاح القصد ونمو السعد. وتكونون على قدم الطاعة لولاة الأمور عملا بقوله تعالى أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم. واشتغلوا بمداومة الدعاء لحضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن. واعلموا واعتقدوا بما حررنا والحذر من خلاف ما رسمنا والسلام.

حرر فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١١٧٨ هـ

ثانيــا

التنافس الاستعمارى
على
المشرق العربى ومصر

(٨)
معاهدة تجارة وملاحة بين
بريطانيا العظمى ومصر

٧ مارس ١٧٧٥
٤ محرم ١١٨٩

مقـدمة

خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر نلاحظ ارتفاعا فى معدلات عدد الاتفاقيات والمعاهدات التى عُقدت بين دول أوربية وحكومات (محلية) لولايات عثمانية دون الرجوع إلى السلطات العثمانية المركزية فى الآستانة / استنبول.

وتعليل ذلك هو أن القرن الثامن عشر ـ بصفة عامة ـ شهد وصول العديد من العصبيات الحاكمة فى ولايات الدولة العثمانية إلى مكانة عالية محليا وإقليميا لسبب أو لآخر. ومن ثم كان من مصلحة الدول الأوربية أن تتعامل مباشرة مع هذه الحكومات المحلية التى أصبحت هى الأقدر على توجيه أمور الولاية.

ولسنا هنا بصدد حصر الاتفاقيات والمعاهدات التى تثبت ذلك، وإنما نشير إلى تهافت الدول الأوبية على عقد الاتفاقيات والمعاهدات فى العقدين الأخيرين من القرن الثامن عشر حتى نزول الحملة الفرنسية إلى أرض مصر.

ففى عشر سنوات فقط بين ١٧٧٥ و ١٧٨٥ عقدت بريطانيا وفرنسا والأراضى المنخفضة (هولندا) والنمسا (الإمبراطورية الرومانية المقدسة) عدة اتفاقيات / معاهدات لم يسبق أن عقد مثلها من قبل فى فترة محدودة كتلك.

كذلك عقدت الدول الأوربية مع حكام طرابلس الغرب من الأسرة القرمانلية العديد من الاتفاقيات / المعاهدات خلال القرن الثامن عشر، وقس على هذا ما حدث مع الجزائر وتونس والمغرب.

وإذا كان الهدف الرئيسى للاتفاقيات بين الدول الأوربية وحكام طرابلس الغرب من الأسرة القرمانلية هو كف تعديات السفن (القرصنة) من طرابلس ضد السفن التجارية ، فان مصر لم

تعرف مفهوما للعمليات البحرية سواء فى البحر المتوسط أو فى البحر الأحمر، وإنما كان موقع مصر المتميز كهمزة وصل بين الشرق والغرب يطرح نفسه من وقت لآخر حتى عندما كان طريق رأس الرجاء الصالح هو الأفضل لدى المستثمرين والمستعمرين والعسكريين والسياسيين فى الدول الأوربية العاملة أساطيلها فيما وراء البحار.

ولقد حفلت الفترة التى حكمها على بك الكبير فى مصر (١٨٦٦ ـ ١٧٧٢)/ ١٧٧٣) وأعقابها بالمشاريع العديدة لإحياء الطريق العالمى بين الشرق والغرب عبر مصر على نحو ما كان عليه الحال حتى نهاية القرن الخامس عشر ، قبل مجيء البرتغاليين إلى المياه الإسلامية الجنوبية

ومصر المملوكية كانت تعوزها تماما السفن التجارية ناهيك عن الحربية منها. ولذلك فإن مثل هذه المعاهدات تفتح مصر على مصراعيها أمام السفن وتجارة الإنجليز المنطلقين من أوربا أو من الهند البريطانية دون أن يكون هناك نشاط ولو ضئيل من جانب المصريين فى اتجاه بلاد الإنجليز أو فى اتجاه مستعمراتهم الواسعة. وفوق هذا فقد دعمت مواد المعاهدة البريطانية المصرية الامتيازات الإنجليزية فى مختلف مجالات حرية التنقل والمتاجرة والتصدير والاستيراد.

نصت المادة الأولى من المعاهدة بين (شو) و(أبو الذهب) ٤ محرم ١١٨٩ / ٧ مارس ١٧٧٥ على حرية الملاحة والتجارة حرية كاملة لرعايا الفريقين فى أقاليم الطرف الآخر . وهى مادة فى صالح الإنجليز بدرجة شبه مطلقه نظرا للتفاوت الكبير جدا بين مصر المملوكية والإمبراطورية البريطانية فى مجالات الملاحة عبر البحار والمحيطات والتجارة العالمية.

وحددت هذه الاتفاقية قيمة الرسوم الجمركية على البضائع الإنجليزية بين ٦,٥ ٪ إلى ٨٪ كما حددت وسائل محاكمة الإنجليز ورعاياهم أمام المحاكم الوطنية لما هو يرتفع إلى مستوى الجناية أما ما هو دون ذلك فللتنصل أن يفصل فيها.

وحيث أن من المتفق عليه أن مصطلح (معاهدة) يطلق على ما يعقد بين دولتين مستقلتين، فإننا نلاحظ أن الدول الأوربية كانت تفضل أن تعامل مصر المملوكية على اعتبار أنها (مستقلة)، حيث أن فصل مصر عن الدولة العثمانية يمهد لانفراد الطامعين الاستعماريين الأوربيين بمصر دون اعطاء الدولة العثمانية فرصة للدفاع عن أحدى ولاياتها.

نص الوثيقة

معاهدة تجارة وملاحة بين بريطانيا العظمى ومصر
عقدت بالقاهرة فى ٤ محرم الحرام ١١٨٩ (٧ مارس ١٧٧٥)

المادة الأولى : تكون حرية الملاحة والتجارة كاملة مطلقة لرعايا الفريقين المتعاقدين فى جميع أقاليمها وممتلكاتها فى الهند والقطر المصرى.

المادة الثانية: فى حالة قطع العلاقات بين الأمتين تعطى لرعاياهما مهلة ستة أشهر للانتقال إلى حيث يشاؤون مع عائلاتهم وأموالهم وبضائعهم، ويعطى كل فريق لرعايا الفريق الآخر الحماية والمساعدة اللازمتين لاستيفاء ما لهم من ديون فى ذمة الحكومة أو عند الأفراد.

المادة الثالثة: يتمتع رعايا الفريقين المتعاقدين بحرية السفر برا وبحراً والانتقال فى جميع أراضى الدولتين بدون أذن مسبق أو جواز مرور. ولهم أن يدخلوا إلى هذه الأراضى ويقيموا فيها ويغادروها ويبتاعوا فيه كل ما يعود لاستهلاكهم الشخصى وكل ما يلزم لغذائهم.

المادة الرابعة: لتجار الأمتين أن يُدخلوا إلى أراضى الفريقين ما يريدون من سلع وبضائع ألا ما كان بيعه محرّماً. ولهم حق شراء ما يريدون من السلع والبضائع غير المحرّمة سواء أكان الشراء من المصنع أو من أى فرد، والتصرف بالبضائع والسلع التى ادخلوها من الخارج. وتكون هذه السلع والبضائع معفاة من كل رسم أو ضريبة عملاً بحرية التجارة.

المادة الخامسة: لا يحتجز ولا يسجن أحد من رعايا أحد الفريقين فى بلاد الفريق الآخر إلا بسبب الدَّين أو الاجرام. أما الجنح والمخالفات التى يرتكبها البريطانيون فيكون الفصل فيها لرئيسهم المقيم فى القاهرة. وله وحده أن يعاقب المذنبين منهم على الوجه الذى يختاره.

المادة السادسة: لرعايا الفريقين أن يديروا متاجرهم وأعمالهم وأن يعهدوا بادارتها لمن يشاؤون. ولهم ملء الحرية بأن يشحنوا ويفرغوا سفنهم بواسطة رجالهم وعمالهم أو أى أشخاص يختارونهم بدون أن يترتب عليهم دفع غير الأجور لأى كان.

المادة السابعة : لكل من رعايا الفريقين أن يتصرف ببضائعه وأمواله المنقولة بالوصية أو

بأى طريقة أخرى. وفى حالة وفاة أحد الرعايا تسلم املاكه ومخلفاته لورثته الشرعيين بعد أن يثبتوا حقهم.

المادة الثامنة : لا تستوفى من تجار الفريقين رسوم عن البضائع المشحونة على سفنهم إلا بعد انزال هذه البضائع، كلها أو بعضها ، إلى البر. وللتجار البريطانيين أو غيرهم ممن تصل بضائعهم إلى القاهرة أو إلى أىّ مكان آخر من القطر المصرى أن يعيدوا شحن هذه البضائع بدون دفع أى رسم ليرسلوها إلى بلاد أخرى إذا عدلوا عن بيعها فى مصر.

المادة التاسعة: البضائع القادمة من البنغال ومدراس بالجملة أو بغير الجملة، والسلع المصنوعة من الخزف الصينى يستوفى عنها رسم قدره ٦،٥٪ يدفعه التجار عيناً عن القطع المتفرقة، ونقداً عن الجملة. والخزف الصينى والبضائع والسلع الخزفية الآتية من سورات وبومباى يدفع عليها ٨٪ تستوفى على الوجه المذكور آنفا. أما المنتجات المصرية أو التى دخلت إلى مصر من بلاد أخرى فيحق للبريطانيين أن يشتروها ويصدروها بدون أن يدفعوا أى رسم.

المادة العاشرة : على قادة السفن البريطانية حال وصولهم إلى السويس أن يُعلموا بك القاهرة بالمكان الذى هم قادمون منه وأن يثبتوا لحاكم السويس جنسيتهم البريطانية وصفتهم التجارية.

المادة الحادية عشرة : يتم نقل البضائع البريطانية من الطور والسويس إلى القاهرة تحت مسؤولية بك القاهرة أو أى أمير يخلفه فيما بعد.

المادة الثانية عشرة : توضع هذه البضائع فى مخزن التاجر بعد أن يضع موظف الجمارك قائمة بها. ولا يجرى فتحها إلا فى القاهرة.

المادة الثالثة عشرة : لا يجوز للتجار البريطانيين تسليم البضائع التى يبيعونها إلا بعد اعلام الجمرك بالبيع ومجىء أحد موظفيه لاستيفاء الرسوم.

المادة الرابعة عشرة: لا يجوز لضابط الجمرك الصعود إلى السفن التى تلقى مراسيها فى السويس ولا يجوز تفتيش هذه السفن إلا بعد انزال البضائع منها. وليس على هذه السفن أن تدفع إلا خمسين «باتاك» كرسم وصول ومبلغا آخر زهيداً كالذى تدفعه السفن المصرية لعرب الطور والسويس والقاهرة.

فى حالة مخالفة أحكام هذه المعاهدة أو قيام صعوبات غير مقصودة بوجه تنفيذها يقوم

الفريقان متفقين فى أسرع وقت بازالة المخالفة وتذلل الصعوبات بدون أن يتعطل التنفيذ لهذا السبب، وبانزال أشد العقوبات بالذين تثبت مسئوليتهم سواء أكانوا من هذا الفريق أو من ذاك.

ولا تعطى هدايا معينة لأى كان. ولكن لكل تاجر أن يهدى ما يريد بملء اختياره وبدون أن يجبر على ذلك لسبب أو لآخر.

الامضاء: شو   الامضاء : محمد أبو الذهب بك عثمان

(٩)
التنافس الاستعمارى الإنجليزى الفرنسى

رسالة من إبراهيم (ابراهام) من القرين[١] إلى مجلس شركة الهند الشرقية (البريطانية) بشأن منع فرنسا من استخدام الكويت ومسقط
(ارهاصات الحملة الفرنسية على مصر والشام)

٧ نوفمبر ١٧٧٨
١٤ ذو القعدة ١١٩٢

بعثت شركة الهند الشرقية البريطانية فى ١٧٧٨ بأحد رجالها إلى القرين (الكويت) للحصول على ما لدى المبعوث الفرنسى دى بورج Du Bourges من أوراق متعلقة بملابسات اعلان فرنسا الحرب على بريطانيا وعن مهمة دى بورج فى إقامة قنصلية فرنسية فى مسقط.

فمن الواضح أن عيون الفرنسيين والروس أصبحت أكثر تركيزا عن ذى قبل على إمكانية اقتناص ما يمكن اقتناصه من ولايات الدولة العثمانية التى أصبح ضعفها واضحا جليا خلال وأعقاب الحرب العثمانية الروسية التى انتهت إلى توقيع السلطان العثمانى لمعاهدة كوچك ڤينارجى المذلة له (١٧٧٤).

وهذه الحرب الفرنسية ـ الإنجليزية ما هى إلا واحدة من سلسلة الحروب الفرنسية ـ الإنجليزية خلال عصر النهضة، والتى أدت ـ فيما ادت إليه ـ إلى فقدان فرنسا لمستعمراتها فى العالمين الجديد [٢] والقديم [٣] لصالح انجلترا على نحو ما هو واضح فى صلح باريس ١٧٦٣ الذى انهى حرب السنوات السبع، تلك الحرب التى مهدت لثورة المستعمرات الإنجليزية فى أمريكا الشمالية وما ترتب عن ذلك من دعم فرنسى للثورة ومن نجاحها وإعلان استقلال

١ـ الكويت .

٢ـ أمريكا الشمالية والجنوبية

٣ـ الهند.

الولايات المتحدة الأمريكية (١٧٧٥) لتصبح هذه الدولة الجديدة أمل فرنسا فى انزال الهزيمة بغريمتها التقليدية (إنجلترا). خلال هذه الصراعات فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر تكشف لإنجلترا طول المسافة بين الهند وإنجلترا عن طريق رأس الرجاء الصالح. وأن هذا الطريق الطويل يصلح لنقل ومسيرة القطع البحرية والحربية الثقيلة، ولكن الطريق القصير البحرى من الهند إلى القرين (الكويت) إلى (حلب) ومنها إلى استنبول فأوربا أو إلى البحر المتوسط إلى لندن أكثر صلاحية وسرعة بكثير جدا إذا ما نقل عبره البريد بين هذه الأطراف. ولذلك أصبح البريد ينقل من الهند إلى إنجلترا عن طريق الكويت ـ حلب.

وادركت فرنسا هذه القيمة ولكن متأخرا وشرعت فى نقل بريدها إلى البقية الباقية من المستعمرات الهندية الفرنسية عن طريق حلب ـ الكويت . فقرر الإنجليز الحيلولة دون افادة فرنسا منه عن طريق استخدام كافة الأساليب المشروعة أو غير المشروعة حتى لو تطلب الأمر القبض على مسئول فرنسى فى بلد عربى (الكويت)، وأخذ ما لديه من أوراق. وهذا ما حدث فعلا.

وقد اغمض شيخ الكويت عينيه عما حدث لأن مصالحه كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بشركة الهند الشرقية البريطانية التى اتخذت من الكويت نهاية لخط البريد البحرى بين الهند (البريطانية) والكويت وبداية للطريق البرى للبريد نفسه من الكويت إلى حلب ثم إلى ما هو وراء ذلك. وكان شيخ الكويت وكذلك بعض القبائل العربية ـ التى كانت تقوم بمهمة حراسة البريد البريطانى عبر الصحراء بين الكويت وحلب ـ يحصل على مبالغ مالية نظير ذلك من شركة الهند الشرقية البريطانية.

ولا شك أن هذه البدايات المبكرة لتبادل المصالح والمنافع بين الكويت والهند البريطانية كان من العوامل التى اسهمت فى نمو مشيخة الكويت بشكل متصاعد عبر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى أصبحت واحدة من أغنى أغنياء العالم فى النصف الثانى من القرن العشرين.

ونظراً لمكانة الإنجليز فى الكويت على ذلك النحو من العلو والمقدرة فقد اتجهت فرنسا إلى التركيز أكثر على مسقط المفتاح الجنوبى للخليج العربى وصاحبة إمبراطورية وتجارة واسعة تمتد من أطراف الهند الغربية إلى أفريقيا، فضلا عما كان لها من ممتلكات ذات كفاءة إنتاجية عالية تمتد من الصومال إلى تنجانيقا (شرق أفريقية البوسعيدى). وفوق هذا وذاك كانت دولة عمان البوسعيدية تمتلك ثانى أقوى أسطول تجارى بعد الاسطول الإنجليزى فى المياه الإسلامية

الجنوبية، كما كانت تمتلك أقوى اسطول حربى بعده. ومن ثم كانت مسقط لفرنسا تمثل نقطة ارتكاز رئيسية لانطلاقة فرنسية نحو إعادة بناء إمبراطورية استعمارية فرنسية جديدة فى الشرق الأقصى، كما كانت بمثابة الحليف المنطقى لفرنسا ضد إنجلترا المنافس المشترك من وجهة النظر الفرنسية.

فاذا ما ضمنت فرنسا تحالفا مع كل من مسقط والولايات المتحدة الأمريكية، فانها تستطيع أن تربك الإنجليز إلى درجة تسمح لها من إعادة بناء إمبراطورية إستعمارية تحلم بها.

إن الخطة التى وضعتها الحكومة الملكية الفرنسية فى ١٧٧٨ كانت ارهاصا بالخطة التى وضعها بونابرت (١٧٩٧ ـ ١٧٩٩) للافادة من مسقط فى تقويض الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية فى الشرق الأقصى. ولكن فشلت المحاولتان بسبب التفوق الحاسم البحرى البريطانى سواد فى المياه الإسلامية الجنوبية أو فى حوض البحر المتوسط أو بحر الشمال.

نص الوثيقة

بناء على معلومات وصلت من القرين عن وصول مسئول فرنسى إليها يحمل مظروفا هاما إلى بوندى شيرى [١]، قرر مندوبو شركة سيادتكم السعى للاستيلاء على ذلك المظروف، وهو اجراء بدا لهم ضروريا نتيجة لتصريح ادلى به المسئول الفرنسى المذكور فى القرين عن نشوب الحرب بن فرنسا وإنجلترا.

وعليه فقد صدرت الأوامر إلى بالشخوص فورا إلى القرين، لبذل أقصى ما فى وسعى لا للحصول على المظروف فحسب بل وللقبض على حامله. ولقد غادرت البصرة ليلا على طراد سيادتكم إيجل [٢]، ولما لم يكن اتجاه الرياح فى صالحنا فقد كان من المحتمل أن يتأخر الطراد لفترة ما قد تسمح لحامل المظروف بالهرب إلى مسقط، فاستأجرت قاربا نهريا، اعتقادا منى أن القارب قد يوصلنى إلى القرين بأسرع مما لو سافرت بالطراد الذى لا بد وأن يثير مرآه الضحية[٣] التى خرجت للقبض عليها، أو على الأقل قد يعطيه ذلك فرصة لاتلاف الحقيبة إن لم يكن اخفاءها. ولهذا تركت الطراد فى النهر، وفى خلال عشرين ساعة وصلت القرين وكانت الساعة العاشرة مساء، وفور نزولى توجهت إلى الشيخ وبعد أن تأكدت من موقفه إلى جانبى، أو على الأقل بصورة تجعله لا يتدخل فى المهمة التى جئت من أجلها توجهت على الفور إلى السكن الذى كان يقيم به المبعوث، وكشفت له عن شخصيتى كما استوليت على الحقيبة التى فى يده، وسقته إلى القارب الذى كنت فيه. وقد تم هذا دون أدنى مقاومة من جانبه.

عدت إلى الطراد «ايجل» بعد نحو ١٢ ساعة ، وبعد أن فتحت المظروف، وجدت أنه يحتوى على عدد من التوصيات المكتوبة بالشفرة مرسلة من المسيو دى سارتين (M. De Sartine) وزير الشئون البحرية فى فرنسا موجه إلى القائد العام فى بوندشيرى المسيو دى براينكور والقنصل الفرنسى فى سورات، بشأن اعلان الحرب بين فرنسا وإنجلترا، ورسائل أخرى عديدة فهمت منها جميعا أن المبعوث هو الكابتن بوريل دى بورج، وأن التعليمات التى يحملها غاية فى الأهمية، وأنه مكلف بتعيين مقيم فرنسى فى مسقط ليشرف على عملية نقل البريد الفرنسى بمنتهى السرعة عن طريق حلب، وأن ملك فرنسا بعد أن اعترف باستقلال الولايات

١ـ مدينة مستعمرة كانت فى يد الفرنسيين

٢ـ Eagle

٣ـ يقصد المسئول الفرنسي حامل المظروف

المتحدة أمر باستقبال جميع السفن التابعة لتلك الدولة فى الموانئ الفرنسية وأن توجه إليها نفس التحية الرسمية التى توجه إلى سفن الولايات المتحدة الهولندية. ومن مذكرات الكابتن دى بورج تبين لى أنه غادر مرسيليا يوم ١٤ أغسطس، ووصل إلى هنا من حلب فى ظرف ٢١ يوما.

قبل مغادرتى للبصرة كان مقررا أن أبعث بالمظروف فورا إلى الهند عن طريق الطراد إذا تبين أنه مظروف ذو أهمية. ولذلك فان اعلان الحرب من جانب فرنسا كان دليلا كافيا لارسال المظروف وبالتالى فقد اصدرت أوامرى إلى الكابتن شريف قائد الطراد بأن يتجه على الفور إلى بومباى دون أن يمر بابو شهر أو مسقط لتسليم الكابتن دى بورج والمظروف الذى يحمله إلى سيادة الحاكم والمستشار.

THE AFFAIR OF M. BOREL DE BOURGES

In consequence of intelligence received from Grain of arrival there of a French Officer having in charge a packet of importance for Pondicherry, it was determined by your Honours Factors at Bussora to endeavour to get possession of it, a measure which appeared to them the more necessary from an unguarded declaration made at Grain by the officer in question that war was absolutely declared between France and Egnland.

I was in consequence, ordered immediately to repair to Grain to use my utmost endeavours towards getting possession not only of the packet but of the bearer also. I departed from Bussora the 1st at night on board your Honours Cruizer the Eagle; and finding the wind unfavourable and a great probability of being detained so long perhaps as to afford an opportunity to the bearer of the packet to escape to Muscat, I procured a boat in the river which i was convinced would convey me to Grain by some days sooner than I could expect to reach it in the Eagle whose presence too I judged might alarm the Prey I had in view and give him an opportunity, if not of avoiding me entirely, at least of destroying his packet. I therefore left the Eagle in the river, and in about twenty hours arrived at Grain at 10 O'clock at night; I immediately proceeded to the Sheik and having gained him to my interest so far not to interfere in the business I had in hand, I proceeded directly to the house where the messenger lodged, and informed him who I was, seized him together with his packet, and conveyed him instantly on board my boat - this was all effected without the least disturbance.

I arrived on board the Eagle in about twelve hours, where having examined the packet, I find it contains sundry advices in cypher from Monsieur de Sartine Minister to Monsieur for the marine Department in France

directed to Monsieur de Bellecombe, Commanderin-Chief at Pondicherry. and to Monsieur de Briancourt, the French Consul at Surat, together with a declaration of War between France and England, and a sundry private letters from all which I can only gather that the bearer of the packet is Captain Borel du Bourges, that the advices he bears are of the utmost consequence, and that he is directed to fix a Resident at Muscat in order to convey all French packets with the utmost expeditioin by way of Aloppo, and that, the king of France having acknowledged the Independency of the United States of America, all vessels belonging to them are to be received into the port belonging to the King of France and to be paid the same honors as are paid to the United States of Holland. From a Journal of Captain du Bourg, I find he left Marseilles the 14 of August, and arrived here from Aloppo in 21 days.

Before I left Busora, it was determined should I find the packet in question to be of any consequence immediately to despatch it to India by the Eagle. The Declaration of War alone therefore I have judged to be of sufficient consequence to warrant her despatch. I have in consequence ordered Captain Sheriff, the Commander, immediately to proceed to Bombay without touching at Bushire or Muscat and to deliver Monsieur du Bourges together with his packet to the Honorable the Governor and Council.

(١٠)

رسالة من وليم ديجس لاتوش (١)
إلى المستر مانستى (٢)

بشأن الأسلوب الأمثل لتعامل شركة الهند الشرقية البريطانية مع متسلمى البصرة ومشيخات جنوب العراق وقمة الخليج العربى

٦ نوفمبر ١٧٨٤

٢١ ذى الحجة ١١٨٩

١ـ W. G. Latouche المقيم الإنجليزى فى العراق.

٢ـ Manesty الوكيل الإنجليزى فى البصرة وكان يعمل بالتجارة.

مقدمة

فى القرن الثامن عشر نمت مكانة القناصل العامين والقناصل ووكلاء القناصل والوكلاء والمقيمين الأجانب فى مختلف عواصم الولايات العثمانية والمدن الكبرى خاصة الموانى.

فتذكر بعض المصادر أن سليمان باشا ـ المعروف بالكبير ـ حصل على منصبه (والى بغداد) بوساطة من المقيم البريطانى فى بغداد. وأن ما يسمى ـ الوكيل الانجليزى ـ فى البصرة كان له نفوذ فى مجالات التجارة التى كان نشيطاً فيها. وتقدم لنا هذه الرسالة نوعا من الأساليب التى كانت متبعة حينذاك من جانب شركة الهند الشرقية البريطانية لتجنب هجمات سفن المشايخ العرب المطلين على الخليج. وإذا كانت الهدايا فى منطقة الخليج تكاد أن تصبح أسلوبا ثابتا للتعامل الإنجليزى مع متسلمى البصرة والمشيخات العربية ـ مثل بندر رق وكعب ـ فان هذه الهدايا أصبحت (فرده) تقدمها الدول الأوربية صاحبة الأساطيل التجارية المتعاملة مع ولاية طرابلس الغرب القرمانلية ومع بايات تونس ومع دايات الجزائر. ومن هنا اتفقت أساليب التعامل بين مشيخات الخليج وولاة طرابلس الغرب وتونس والجزائر من حيث اعتبار ما تقوم به سفنهم من هجمات على السفن التجارية الأجنبية مجرد (جهاد) وأن اعتبره أصحاب السفن الغربية (قرصنة) حتى اجمعت الدول الأوربية فى مؤتمر ڤيينا ١٨١٥ على أن تلك العمليات العسكرية البحرية ضد السفن الأوربية (قرصنة) يجب أن تقوم الدول بالقضاء عليها، فكانت فرصة الانجليز فى فرض حمايتهم على معظم مشيخات الخليج العربى بالقوة ١٨١٩/ ١٨٢٠ وفرصة فرنسا فى أن تبدأ الخطوات الأولى لإقامة إمبراطوريتها الاستعمارية فى شمال افريقيا باحتلال الجزائر ١٨٣٠.

وقد نقل الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة فى كتابه «تاريخ شرقى الجزيرة العربية، نشأة وتطور الكويت والبحرين» نص رسالة لاتوش إلى ما نستى التى نشرها بلغتها الإنجليزية ثم ترجمت إلى العربية فى الترجمة العربية لهذا الكتاب ص ٢٣٥. وقد نقل النص عن الأرشيف الإنجليزي

Factory Recods, Persia and Persian Gulf

وقد أشار إليها د. أبو حاكمة بحروفها الأولى F.R.P. P. G.

وتعتبر هذه المجموعة من أهم المصادر الأصلية الوثائقية عن تاريخ العراق والخليج والجزيرة العربية بما تتضمنه من تفاصيل غير متوفرة فى مختلف الارشيفات المحلية والأجنبية.

نص الوثيقة

أنه من أجل سلامة الطرود البريدية للشركة [١] والتجارة الإنجليزية والمسافرين الإنجليز بين البصرة وبغداد وحلب، فانه لمن مصلحة الشركة أن تستمر على علاقات ودية إلى جانب ما هو مع بنى كعب[٢] ـ مع مراكز القوى هناك : بندر رق .[٣]. وأهل القرين[٤]. ومع قبائل عربية أخرى على الساحلين العربى والفارسى ـ الذين فى متناولهم التضبيق على التجارة وكذلك مع مشايخ المنتفق[٥].

١ـ شركة الهند الشرقية البريطانية East India Company

٢ـ بنو كعب / آل كعب : من أقوى التركيبات القبلية فى رأس الخليج العربى شرقى البصرة خاصة فى المنطقة التى عرفت باسم عربستان لدى العرب وحكام العراق أو خورستان لدى السلطات الحاكمة الفارسية وقد هاجرت هذه العشائر من العراق إلى منطقة دورق ونهر قارون، وكانت صاحبة اسطول كثيرا ما روع البصرة والسفن التجارية فى الخليج حتى لقد شن الأسطول الإنجليزى هناك عدة حملات ضدها.

٣ـ بندر رق : واحد من أهم معاقل القوى العربية البحرية فى الخليج العربى ومنها كانت تنطلق عمليات عسكرية بحرية ضد السفن الأجنبية [سفن شركة الهند الشرقية البريطانية بصفة خاصة] وسفن دولة البوسعيد [مسقط]. وهذه العمليات البحرية اعتبرت فى نظر الإنجليز والأوربيين بصفة عامة [قرصنة] بينما هى فى نظر العرب حينذاك وفى نظر المفكرين والمؤرخين فى النصف الثانى من القرن العشرين مجرد عمليات [جهاد] ضد المعتدين على المياه الإسلامية الجوبية .

٤ـ القرين : الكويت مشيخة ظهرت فى مطلع القرن الثامن عشر نتيجة هجرة العتب من نجد وتأسيس آل الصباح لها. وتمتعت بموقع وبحكمة من مشايخهاإزاء ما دار من صراعات بين مراكز القوة العديدة . وأخذت مكانتها الدولية تتصاعد منذ حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣) إذ فضلها الإنجليز كطريق لنقل البريد السريع بين الهند البريطانية وأوربا و(إنجلترا). ونمت بسبب تفضيل التجار لها لضآلة التكاليف على البضائع المصدرة والواردة من الكويت على حساب العراق وشبه الجزيرة العربية (نجد). الأمر الذى أدى لأن تعتبرها السلطات الحاكمة فى العراق (الدولة العثمانية) أخطر مركز للتهريب على حساب البصرة فى مختلف أنواع المتاجر وفى تجارة / تهريب السلاح. وكان للكويت اسطول ولكنه لم يتورط فى أعمال القرصنة التى كانت تغطى معظم مياه الخليج العربى بل وكذلك ما بين ساحل ملبار وشرق أفريقية.

٥ـ المنتق: من أقوى التركيبات العشائرية فى جنوب العراق ومركزها (سوق الشيوخ). ويبلغ عن قوتها أن سيطرت على البصرة لفترة محدودة، وأن أصبحت إحدى قوتين فى العراق قادرة على رفع هذا الزعيم إلى منصب الوالى أو اسقاطه. وكثيرا ما تكتب (المنتفك) وهذا خطأ. أما القوة الثانية فى العراق فكانت آل بابا زعماء الأكراد فى شمال العراق .

وبنى خالد [١] وعنزة [٢] والخزاعل [٣] والتوقيت المناسب [لتقديم] الهدايا لهو غالباً ما يكون على فائدة عظيمة من أجل الحفاظ على هذا التفاهم الطيب. حقيقة أن الهدايا التى تقدم عند وقوع تبديل بين المتسلمين تكون محدودة. وأنه يجب ألا تزيد رغم ما بذل وما يبذل من محاولات بذرائع مختلفة لتحقيق هذا الهدف [٤]. أما غيرها فيجب أن تحددها بكل حذر. وأن تنظمها بمقتضى الظروف وبما لديكم من حكمة فإن هذه الهدايا إذا ما أصبحت كبيرة ومتتالية أكثر من اللازم ، فانه لمن المحتمل أن تتصاعد التطلعات نحو هدايا أخرى فى المستقبل. ومن ناحية أخرى وفى حالة عدم تغطية هذه الهدايا لتطلعات الشخصيات المهدى إليها ، فان تقديمها يكون أكثر سوءاً من عدمها .

ففى هذه البلاد كانوا يعتبرونها ـ فى الغالب الاعم ـ نوعا من الزكاة ومن ثم فهى حق لهم. وعندما وجدت الحال على هذا النحو، ارجأت تقديمها حتى تبدو وكأنها من محض رغبتى وأنها بمثابة أجر لهم فى مقابل خدمات قدمت لهم بالفعل وليس من أجل خدمات منتظرة فى المستقبل.

التوقيع

(لاتوش)

البصرة فى ٦ نوفمبر ١٧٨٤

١ـ بنو خالد : حكام الاحساء منذ أواخر ق ١٧. وفى كنفهم أسس آل الصباح مشيختهم فى الكويت، وعندما نمت ديرة آل سعود فى نجد تحت الدعوة الإسلامية السلفية حاول بنو خالد بالتعاون مع اشراف مكة وحكومة المماليك فى بغداد والتركيبات القبلية القوية فى جنوب العراق (المنتفق) القضاء على آل سعود وعلى دعوتهم دون جدوى حتى استولى آل سعود على الاحساء.

٢ـ عنزة : تعتبر عشائر عنزة بمثابة العشائر الأعلى مكانة فى الجزيرة العربية ، ومنها خرجت العديد من الأسرات الحاكمة هناك. وكانت تشكل أقوى تشكيل قبلى هناك. وكانت ضخامتها سبباً فى نزوع بعض أجزاء منها إلى الهجرة أو اتخاذ سياسات متناقضة. وكانت بصفة عامة تعتبر بأنها بعيدة عن متناول التسلط التركى/ العثمانى السائد فى العراق والاحساء والشام والحجاز. وعندما تفوق آل سعود ، وأنضوت عنزة تحت مظلة آل سعود والدعوة الإصلاحية على الطريقة السلفية (الوهابية) احتدم الصراع بينها وبين آل شمر سواء شمر الجربا أو شمر الجبل (شمر حائل آل رشيد).

٣ـ الخزاعل: تشكيل عشائرى قوى فى وسط العراق الجنوبى اعتز بقوته فكان فى حالة تمرد شبه مستمر ضد نظم الحكم فى العراق.

٤ـ أى زيادة قيمة الهدايا.

A Letter from William Digges Latouche
to Mr. Manesty (Basra Factory.) (1)

There are several other Powrs (besides the Bani Ka'b) with whom it is the Company's interest to continue on friendly Terms with the Bunderich, the Grain People, and other Tribes of Arabs on the Persian and Arabian Coasts, who have it in their Power to annoy our Trade - with the shaiks of the Montificks, of the Company's Dispatches, of the English Trade, and of English Travellers passing between Bussora, Aleppo and Bagdat.

Timely Presents are often of great Use in preserving this good Understanding. Those on the changes of the Mussalems here are fixed, and should not be increased though Attempts under various Pretences have been, and will be probably made for that Purpose. The Others must be regulated by your own Prudence and according to Circumstances - they should be made with Caution. If they are too frequent and too large they will increase Expectations of future Onces. If on the other hand they do not in some Measure answer the Expectation of the Person to whom they are given, the giving them will be worse than not giving any. They are too often in this country considered as a kind of Tribute and therefore as a Right. When I have found this to be the Case, I have deferred them until they appeared as made from my own Inclination, and rather as a Return for Favours received, than as given through for or in Expectation of future Services.

Basra 6th Nov. 1784. Signed Latouche

١ـ عن أبو حاكمه : 1- F R.P.P G, Vol. 18, dispatch No. 1299

(١١)
معاهدة بين فرنسا ومصر

٢٧ صفر ١١٩٩
٩ يناير ١٧٨٥

مقـدمة

تعتبر هذه المعاهدة صورة مصغرة من معاهدات الامتيازات التى عقدت بين فرنسا والدولة العثمانية منذ ١٥٣٥ والتى تعتبر معاهدة ١٧٤٠ من أهمها . ومن أهم المواد التى وردت فى الاتفاقية تروجيه ـ مراد ، حرية الفرنسيين فى المتاجرة فى مصر والرعاية الأكثر تفضيلا للسفن والأفراد التابعين لفرنسا عند وصولهم إلى أى من الموانئ المصرية وقيمة الضريبة المستحقة.

وقد تحفظ الجانب الفرنسى من حيث انتظار وصول موافقة الباب العالى على بنود هذه المعاهدة على اعتبار أن المسئول الأخير عن السياسة الخارجية لمصر هو السلطان العثمانى.

وهذه المعاهدة تعبر عن الاهتمام المتزايد من الجانب الفرنسى باستخدام الطريق العالمى للتجارة بين الشرق الأقصى والغرب الأوربى عبر مصر حيث أن طريق رأس الرجاء الصالح ـ وهو الطريق البحرى المباشر ـ أصبح تقريبا تحت رحمة بريطانيا التى لا تكاد تخرج من حرب ضد فرنسا حتى تدخل فى حرب جديدة طوال القرن الثامن عشر بصفة خاصة.

وحينذاك كانت نداءات الدبلوماسيين والمفكرين والرحالة والتجار الفرنسيين فى مختلف أجزاء أوربا وفى مصر يحثون السلطات الحاكمة فى باريس على أن الوقت قد ازف لأن تقتنص فرنسا مصر قبل أن تقع فى يد دولة استعمارية أخرى تتربص بها.

ومن ثم يمكن القول أن هذه المعاهدة المعقودة بين تروجيه ومراد بك ـ ثانى أثنين كانا يحكمان مصر من المماليك . تستهدف :

١ـ تحقيق جزء من سياسة فرنسية نحو خلق طريق عالمى بين الشرق والغرب يكون لفرنسا فيه اليد العليا.

٢ـ إقامة إمبراطورية استعمارية فرنسية جديدة تكون مصر مركزا لها ومنطلقا لتقويض الإمبراطورية الانجليزية.

ومعنى هذا أن خطط حكومة الإدارة ونابوليون بونابرت وتاليران فى ١٧٩٦ ـ ١٧٩٧ لاحتلال مصر كانت لا تختلف كثيرا عما كان يتردد فى الدوائر السياسية العليا الفرنسية خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر بهذا الصدد.

نص الوثيقة

معاهدة بين فرنسا ومصر
فى ٢٧ صفر ١١٩٩ (٩ يناير ١٧٨٥)

الحمد لله وحده

إن سبب هذه الكتابة هو أنه بين أمجد القادة والرؤساء مراد بك أمير قافلة الحج حفظه الله وعزّز إيمانه وقواه وأمجد اشباهه السيد المحترم بك زاده تروجيه الموجود حاليا فى مدينة القاهرة قادماً من القسطنطينية ومبعوثا من قبل أمجد وأشرف النصارى الكونت دى شوازول حفظه الله وأيده.

قد تمّ الاتفاق بملء الرضى على الامتيازات التى سيأتى ذكرها للسفن الفرنسية والتجار الفرنسيين الذين سيقدمون من الهند إلى السويس حاملين من الهند المذكورة البضائع المختلفة الأنواع، وهى امتيازات ستبقى محترمة تامة وينفذ مفعولها حال وصول الخط الشريف الخاص بها من لدن الباب العالى حرسه الله وحماه. وإذا قضت الظروف بأن تصل السفن الفرنسية إلى السويس قبل وصول الخط الشريف فانها ستقابل بكل ما يضمن سلامتها تبعا لروح هذه المعاهدة ونصها.

المادة الأولى: للسفن الفرنسية وللتجار الفرنسيين حق المجىء إلى كل المرافىء الخاضعة للسلطة المصرية وبدون ان يستوفى من هذه السفن إلا الرسوم التى تدفعها السفن العثمانية. ولا يحق لاحد أن يقترب من التجار والملاحين الفرنسيين بحجة تفتيش بضائعهم الموجودة على سفنهم ويحرم على أى كان أن يجبرهم على انزال بضائعهم فى المرفأ الذى يدخلون إليه. ويكون هؤلاء الفرنسيون احراراً بأن يتصرفوا ببضائعهم على الوجه الذى يختارونه. وكذلك حال وصولهم إلى السويس لا يدفعون من الرسوم إلا ما تدفعه السفن العثمانية.

وإذا وصلت إحدى هذه السفن، حربية أو تجارية ، إلى مرفأ السويس مصابة بعطب أو أى ضرر آخر مهما يكن نوعه فعلى المسئول فى السويس أن يقدم لها كل المساعدات اللازمة وكل ما تكون بحاجة إليه بالسعر الأكثر اعتدالاً بدون أدنى زيادة.

المادة الثانية : إذا ، لا سمح الله غرقت إحدى السفن الفرنسية فى إحدى الموانىء التابعة لحكومة القاهرة فعلى والى مدينة القاهرة أن يحميها بكل سرعة واخلاص ويساعد ركابها وملاحيها على جمع بضائعهم واستعادتهما ممن يكون قد استولى على بعضها. على أن يدفع التجار الفرنسيون أصحاب البضائع أجرة الرجال الذين يقومون بجمع البضائع وانقاذها. كما على هؤلاء الرجال أن يعيدوا لهم كل ما يعثرون عليه. وبعد أن يتم بيع هذه البضائع تستوفى الرسوم الجمركية على الوجه الذى سيذكر فيما بعد.

المادة الثالثة : للسفن الحربية الفرنسية التى ترافق وتحمى باسم ملكها السفن التجارية ان ترفأ إلى كل ميناء على السواحل المصرية بدون أن تدفع أى رسم وإذا شاء قادتها وضباطها أو ملاحوها أن ينزلوا إلى اليابسة فيحرم على أى كان أن يعترضهم أو يلقى عليهم أى سؤال أو يلحق بهم أى أذى. ويكون لهم حق شراء المواد الغذائية وتموين السفن بالماء وغير ذلك، سواء فى السويس أو فى غيرها من الموانئ والمدن. ويكونون كسفنهم موضع الاحترام والحماية. وإذا وقع عليهم أو على احدهم اعتداء ما توجب على المسئولين عن القاهرة أن ينزلوا العقاب بالمعتدى أو المعتدين.

وتقدم لقادة هذه السفن وضباطها التحية المناسبة لرتبهم ويحاطون بمظاهر الاحترام أكثر من زملائهم التابعين لدولة أخرى.

المادة الرابعة : إذا تعذر على السفن التجارية الفرنسية الوصول إلى السويس فاضطرت إلى القاء مراسيها فى مرفأ مصرى آخر أو فى غير المرافىء التابعة لمصر فان على المسئولين عن القاهرة واجب ارسال بعض رجالهم للقيام بحمايتها ووضع بضائعها فى أماكن أمينة ولمواكبة رجالها والسهر على سلامتهم حتى الوصول إلى القاهرة.

المادة الخامسة : إذا وقع خلاف بين المسلمين واحد الفرنسيين وأصيب هذ الأخير باذى فى جسمه أو فى كرامته تقدّم شكوى بالحادث إلى والى القاهرة. وعلى هذا الوالى أن ينزل بالشخص المعتدى العقاب الذى يستحقه عمله. أما إذا كان المعتدى فرنسياً فيرسل إلى قائد سفينته أو إلى القنصل الفرنسى ليحاسب على ما ارتكب .

المادة السادسة : للتجار الفرنسيين الذين يقدمون من بلادهم إلى الهند عن طريق الإسكندرية والذين يعودون من الهند إلى بلادهم عن هذه الطريق حق الانتقال فى مصر بدون

معوق أو صعوبة. وليس لأحد أن يحدّ من هذا الحق أو أن يقوم بتفتيش ملاحى السفن وثيابهم والرسائل التى يحملونها. بل يجب أن يقابلوا ويعاملوا بكل تقدير وأن تقدّم لهم كل التسهيلات. ولهم أن يبتاعوا المؤن ويأخذوا الماء كما يشاؤون ومن حيث يريدون بالكمية التى يحتاجون إليها.

المادة السابعة : إذا جاء إلى القاهرة قنصل مرسل من ملك فرنسا للإقامة فيها فعلى المسئولين عن القاهرة أن يستقبلوه وضباطه والرجال التابعين له بكل حفاوة، وأن يكلفوا العساكر بحماية داره وبابه ويؤمنوا سلامته ويسهروا على ألا يصاب بأقل أذى ويحيطوه بمظاهر التقدير والاحترام بأكثر مما يحاط به قناصل الدول الأخرى.

المادة الثامنة : عند وصول السفن الفرنسية إلى ميناء السويس يقوم «راعى» الفرنسيين المقيم فى السويس بزيارتها ليتفقد بنفسه حمولتها ويرسل كشفاً بكمياتها إلى القنصل أو إلى نائبه. ويكون للفرنسيين وحدهم حق توجيه هذه السفن وارسائها حيث يريدون. وليس لأحد أن يصعد إلى هذه السفن بدون أذن من قادتها. ولهؤلاء القادة أن يفرغوا حمولة سفنهم فلا يسمح لأى بحار غريب عنهم بالاشتراك فى عملية التفريغ. ولهم أن يختاروا مرشديهم وينتقوا الأشخاص الذين يجوز لهم الاقتراب من قواربهم وبضائعهم.

المادة التاسعة : ليس للمسئول عن السويس أو لأى موظف آخر حق تفتيش البضائع. فحق التفتيش محصور بالموظفين الذين يرسلهم باشا القاهرة أو المسئولون عن القاهرة لهذا الغرض. ولهؤلاء أن يحصوا الطرود ويختموها بخاتمهم الخاص ويضعوا كشفاً بها يرسلونه إلى القاهرة. وحال وصول الطرود إلى القاهرة ودخولها إلى مخازن التجار الفرنسيين تفض اختامها بحضور من يمثلنا ويمثل الباشا وتفتح وتستوفى عنها الرسوم الجمركية المحددة فيما بعد.

المادة العاشرة : يدفع التجار عن كل البضائع الآتية من الهند أو من أى بلد سواها ٤٪ للباشا و ٢٪ لأمير اللواء قائد القطر المصرى. أما رسوم المنسوجات فتدفع عيناً . وأما رسوم العقاقير والفلفل وغيرها فتدفع نقداً. وحال استيفاء هذه الرسوم يصبح التجار الفرنسيون أحراراً بأن يبيعوا البضائع فى القطر المصرى أو أن يرسلوها إلى حيث يشاؤون فى الخارج بدون أى مانع أو دفع أى رسم.

المادة الحادية عشر : فى ما يُتعلق بالعقاقير والفلفل يتم تحديد الرسم الجمركى على أساس

العينة (المسطرة) المقدمة عنها. وإذا ظهر أن البضاعة من صنف يفوق صنف العينة قام الدليل على أن التجار يحاولون الغش وإذ ذاك يجبرون على بيع البضاعة بالسعر الذى كان محدداً للعينة، ويعطى لهم من قبل التعويض من النفقات التى تكبدوها والرسوم التى دفعوها للجمرك وتأميناً للربح المعقول ٥٠٪ زيادة عن سعر العينة.

المادة الثانية عشر : إذا كانت السفن تحمل من البن كمية معقولة لاستهلاك التجار الخاص ولتقديم الهدايا لاصدقائهم فلا تدفع إلا الرسوم الجمركية العادية.

المادة الثالثة عشر : إذا كانت السفن تحمل بضائع للاستهلاك الفرنسى فى فرنسا فيستوفى رسم الجمرك على البيان الخاص بها أى ٣٪ ، ولكن يعطى لاصحاب البضائع تسهيلات لتشجعهم على استعمال الطريق المصرية لنقلها. وإذا وقع شك فى صحة البيان من حيث النوع والصنف فان السلطة تفض بعض الطرود لتتأكد من صحة البيان أو عدمها. فان ظهرت الصحة فيكتفى بالطرود التى فضت ولا يفض سواها. إما إذا ظهر العكس فتفض الطرود كلها ويستوفى عنها ٦٪ كرسم جمركى.

المادة الرابعة عشر : ليس على التجار وقادة السفن الفرنسية أن يقدموا هدايا إلى أى كان، سواء أكان واليا أو غير والى. وإذا قدّم احدهم هدية بملء اختياره وارادته فلا يعنى هذا أن على غيره أن يحذو حذوه. ولا تعتبر هذه الهدية كواجب يجب أن يؤدى. ويكون التجار وقادة السفن الفرنسيين احراراً فى أن يعطوا أو لا يعطوا هدايا.

المادة الخامسة عشر: حال وصول السفن التجارية إلى السويس ترسل الحكومة من يلزم من رجالها لمرافقة البضائع إلى القاهرة بكل دقة وانتباه وحرص. وعلى هؤلاء الرجال أن يحتاطوا لمفاجآت البدو. وبمعونة الله يتعهد الفريق المصرى بالا يقع شىء ضد سلامة البضائع من جانب البدو والحؤول دون أى ضر يمكن أن يصيب هذه التجارة.

المادة السادسة عشر: إذا شاء قادة القاهرة أن يطردوا التجار الفرنسيين المتعاملين مع الهند أو أن يرفضوا دخولهم إلى القطر المصرى فيجب أن يعطوهم مهلة سنة يكونون خلالها متمتعين بالسلامة فى بيوتهم وبحرية تصفية أعمالهم وبيع بضائعهم كما يريدون بدون أن يتعرضوا لأى خسارة أو أذى أو أهانة . وعند انقضاء المهلة يغادرون القطر المصرى مع شركائهم بكل سلامة وأمان.

المادة السابعة عشر: إذا طلبت دولة أوربية أخرى امتيازات لتجارتها مع الهند أوسع مما هو معترف به فى هذه المعاهدة للتجارة الفرنسية، فان الأمة الفرنسية تكون دائماً أكثر رعاية واوسع امتيازات من كل دولة.

وقد تم وضع هذه الكتابة بشروطها وتم الاتفاق عليها بين الفريقين المتعاقدين بملء الرضى والارتياح ولتبقى نافذة المفعول فى المستقبل عند الدولتين سواء من جانب السفراء والقناصل الفرنسيين فى الحاضر أو الذين سيخلفونهم فى المستقبل.

شروط صريحة ، ومواقف ثابتة أبدية

مقبولة فى كل أمر وكل مكان كما هى بنصها.

فى ٢٧ صفر ١١٩٩ و ٩ يناير ١٧٨٥

الامضاء : دى تروجيه

الامضاء : مراد بك

أمير اللواء

أمير الحج سابقاً

(١٢)

اتفاق بين الشفاليه دى تروجه
ورئيس جمارك مصر يوسف كسّاب

٢٣ يناير ١٧٨٥
١٢ ربيع الأول ١١٩٩

مقـدمة

تعتبر هذه الاتفاقية بين مفوض فرنسى (دى تروجيه) ويوسف كسُاب ـ المسئول الأول عن الضرائب الجمركية التى تحصل من الموانئ المصرية ـ واحدة من أندر أنواع الاتفاقيات التى تعقد بين حكومة أوربية (فرنسا) وموظف كبير فى الادارة المملوكية فى مصر، بطريقة تفتقر إلى الشرعية ، ولكن فى نفس الوقت تدل هذه الاتفاقية عن مدى الانهيار الذى أصاب النظام الإدارى المملوكى.

وقد تحددت ضرائب لجيب يوسف كسّاب وأخرى لخزينة الدولة. فقد تقرر أن يحصل يوسف كسّاب على ٣٪ من ثمن البضائع الفرنسية المصدرة من الهند إلى مختلف أجزاء الدولة العثمانية عن طريق مصر، على أن يكون هذا الاتفاق سرياً مكتوما عن حكام القاهرة.

أما الضرائب التى تجمع لحساب (الدولة) فهى على النحو التالى :

١ ـ ١,٥ ٪ على جميع بضائع التجار الفرنسيين.

٢ ـ ٠,٥ على جميع بضائع التجار الفرنسيين المصدرة من مصر ـ عن طريق الإسكندرية أو دمياط ـ إلى فرنسا وهو أمر وقع فيه الاتفاق ليس فقط بين دى تروجيه وكسّاب وإنما أيضا وافق عليه المسئولون عن مينائى الإسكندرية ودمياط .

نص الوثيقة

اتفاق بين الشفاليه دى تروجيه ورئيس جمارك مصر يوسف كسّاب

بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١١٩٩ (٢٣ كانون الثانى / يناير ١٧٨٥)

هذا الاتفاق معقود بضمان الله بين سعادة الكونت دى شوازول سفير ملك فرنسا فى القسطنطينية وبيننا نحن يوسف كسّاب المتعهد العام، بعد الاتفاقات الموضوعة والموقع عليها من الشفاليه دى تروجيه والأمير مراد بك أمير الحج بحضور ورضى وتوقيع الأمير سليمان مصطفى خان والأمير عثمان كيخيا.

المادة الأولى : إن السيد يوسف كسّاب يقسم بالله وضميره وإيمانه أنه سيرعى ويساعد ويحمى الأمة الفرنسية والتجار الذين سيأتون من الهند إلى السويس بكل ما فى طاقته وصلاحياته لجعل اتصالاتهم بقادة القاهرة سهلة ومثمرة مقابل الامتيازات التى ستعطى له والوارد ذكرها فيما بعد.

المادة الثانية : إذا وقع حدث ما ونتج عنه ضرر للتجار الفرنسيين أو إجحاف بحقهم أياً كان نوع الضرر أو الإجحاف ، فان السيد يوسف يكون ملزماً بضميره أن يخبر قنصل فرنسا والتجار الفرنسيين الذين يهمهم الأمر وأن يعطيهم النصائح التى يراها اضمن لمصلحتهم وأن لا يفضل مصالح دولة أخرى على مصالح الأمة الفرنسية.

المادة الثالثة : يقوم السيد يوسف باستمرار بدور الوسيط بين التجار الفرنسيين وحكام القطر المصرى ويبعد عنهم بكل ما فى استطاعته كل محاولات الارهاق والتآمر وأن يجعلهم معتبرين محترمين لدى الحكام.

المادة الرابعة : إذا اكتشف السيد يوسف أن أحد التجار الفرنسيين قد قام بشىء من الغش فى تجارته فعليه أن يطلع على الأمر القنصل الذى له حق تأديب التاجر وأن يمتنع عن أى شكوى لحكام القاهرة ضد هذا التاجر. وعلى القنصل أن ينفذ العدالة ويحكم على المخالف.

المادة الخامسة : يستوفى السيد يوسف رسماً قدره ١,٥ ٪ عن جميع بضائع التجار

ثالثا

الحملة الفرنسية على مصر والشام والشرق

(١٣)

منشور بونابرت لرجال الحملة الفرنسية
عقب الاقلاع عن طولون
يونيو ١٧٩٨

كان ناپوليون بونابرت قائدا فذا بلا جدال رغم نهايته العسكرية المأساوية فى معركة واترلو ١٨١٥. وكان قائدا محبوبا جدا من جنده وضباطه، إذا كان يمتلك القدرة على جذب النفوس إليه وإعدادها نفسيا وفكريا للتضحية من أجل الوطن فرنسا تحت قيادته. ولذا أثرنا أن ننشر هنا وثيقتين معبرتين عن أسلوب بونابرت فى مخاطبة المقاتلين فى الحملة الفرنسية عقب إقلاع الحملة من طولون وعقب إقلاعها من مالطه فى اتجاهها إلى الإسكندرية.

كان الهدف من الخطابين الموجهين منه إلى المقاتلين ـ فيما تضمنها من أهداف ـ تهيئتهم للرسالة التى يحملونها إلى عالم البحر المتوسط وما وراء البحار.

وتضمن هذان الخطابان موضوعين رئيسين :

١ـ أهداف الحملة السياسية والحضارية.

٢ـ كيفية التعايش بين مجتمع الحملة الفرنسية والمجتمع الإسلامى.

وكان ناپوليون بونابرت على بينة بما قد يحدث بين حضارتين مختلفتين (الحضارة الفرنسية/ الغربية، والحضارة المصرية / الإسلامية) عندما تتواجهان فى مناخ التفوق الذى كان يسود المعسكر الفرنسى. ولذلك شرع ناپوليون بونابرت فى طرح الأسس التى يجب أن تقوم عليها العلاقات بين الطرفين عند المواجهة وفى أعقاب ذلك أى بعد أن يصبح الفرنسيون أصحاب اليد العليا فى مصر.

ركز بونابرت على أن هناك اختلافات جوهرية بين المجتمعين المصرى والفرنسى، وأنه على الجانب الفرنسى أن يبدى ضبط النفس إزاء القواعد الإسلامية والتقاليد الإجتماعية التى تتحكم فى مسيرة المجتمع المصرى وذلك من منطلق مبادئ الجمهورية الفرنسية (الثورة

الفرنسية) وكذلك من منطلق المبادئ السامية التى كانت قد تبنتها الحضارة الاغريقية القديمة الهللينية والهللينستية، وأخذت بها خليفتها الحضارة الرومانية ومن بعدهما الحضارة الغربية الأوربية على الطريقة الفرنسية .

والمبدأ الأساسى الذى دعا بونابرت إلى تطبيقه هو مبدأ حرية العقيدة، وبالتالى حرية العبادة وما يتطلب ذلك من حماية المساجد والأديرة والسيناجوج ورجال الدين الإسلامى والمسيحى واليهودى على نحو ما كان مطبقا فى الإمبراطورية الرومانية عندما كانت تتبنى مبدأ الحرية الدينية نظريا وعمليا. وذكر بونابرت رجاله بما كانوا يتعاملون به مع الأديرة والمعابد اليهودية فى أوربا من حيث حرية العقيدة والعبادة ومن ثم عليهم أن يسلكوا نفس هذا السلوك مع المجتمع الإسلامى فى مصر.

ومن ابرز مجالات الخلاف بين المجتمعين الفرنسى والمصرى رؤية كل من الطرفين للمرأة (الانثى). فالمجتمع الإسلامى فى مصر يبيح ـ بمقتضى تفسير شائع لتعاليم القرآن الكريم ـ تعدد الزوجات ، وهو أمر مرفوض تماما لدى المجتمع الفرنسى / الغربى الذى هو متسامح تسامحا واسعا جدا فى العلاقات الجنسية شبه المعلنه ـ وحتى عندما أصبحت هذه العلاقات فى القرن العشرين معلنه فإنه لا يمكن أن يتقبلها مجتمع إسلامى وكان نابوليون بونابرت نفسه من أنصار هذا المفهوم الغربى لمثل تلك العلاقات بين رجل وامرأة دون اخفاء أو مواريه على نحو ما كانت عليه علاقته بزوجة إحدى ضباطه المصاحبة له مع الحملة الفرنسية وبغيرها .

وبينما كان الفرنسى يستهجن أن تسير المرأة خلف الرجل. كان المصرى يستهجن انحناء الأوربى للمرأة حتى يقبل يدها احتراما لأنوثتها ودعما لمعنوياتها.

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان نظام الجوارى والخصيان والاسترقاق من عناصر المجتمع المصرى والإسلامى حينذاك ، وهى ممارسات لا إنسانية لم يعد المجتمع الفرنسى/ الأوربى يتقبلها ومن ثم كانت إيحاءات بونابرت إلى جنده بأن يتعاملوا ـ وإن كان على مضض ـ مع تلك الممارسات المرفوضة.

وفى هذا الصدد دعا بونابرت رجاله بأن لا يتعرضوا أو يعاملوا المرأة المصرية بأى نوع من الاستهجان والحط من قدرها ، ليس فقط من منطلق احترام تقاليدها الإسلامية المصرية، ولكن كذلك من منطلق المبدأ الإنسانى الداعى إلى احترام المرأة.

ومن الناحية السياسية ، كشف نابوليون بونابرت بالتدريج عن أهداف الحملة الفرنسية حتى أفصح تماما عنها بعد اقلاع الحملة من مالطه فى طريقها إلى الإسكندرية. فقد وضع على

كاهل رجاله رسالة فرنسية أوربية عالمية حضارية، فهم ليسوا مجرد غزاة وإنما بناء إمبراطورية تكون محصلة حضارة أوربية جريكورومانية بمبادئ فرنسا الثورة القائمة على الحرية والمساواه، ولكن لا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف العالمية إلا بتوجيه ضربة قاضية إلى الإمبراطورية الاستعمارية الإنجليزية وإلا بأن تصبح طرق التجارة العالمية تحت يد الفرنسيين حتى يتمكنوا من إحداث انقلاب جذرى فى خطوط المواصلات العالمية بين الشرق والغرب بكسر احتكار الإنجليز للطريق البحرى ـ المحيطى المباشر بينهما بشق قناة تصل بين البحر الأحمر والبحر المتوسط اختصارا للمسافة والوقت وتكثيفا للحمولة والارباح وسرعة فى نشر الحضارة الفرنسية عالميا.

والملاحظ أن بونابرت فى خطابيه لم يشر إلى الحضارة الفرعونية المندثرة، ولم يشر إلى مسيحى مصر (الأقباط) وفى اعتقادنا أن ذلك لم يكن من قبيل السهو ، وإنما كان ذلك نتيجة لما كان يعتمل فى ذهن ناپوليون بونابرت من أفكار.

وبادئ ذى ، فإن ناپوليون بونابرت كان على بينة جيدة بحضارة مصر الفرعونية التى ترددت فيما رواه الرحالة الفرنسيون عن مصر فى مؤلفاتهم. إلا أنه لم يكن يسعى لأن يكون فرعونا ولا سلطانا على مصر وما حولها، وإنما كان يتطلع إلى ما هو أعظم من المكانة التى بلغها الإسكندرى الأكبر الذى غزت حضارته بقوة المنطقة حتى السند فى الهند. ومع ما يحيط هذه المقولة من جدل وأخذ ورفض لها فإننا نرى أن ناپوليون بونابرت تجمعت فيه عناصر الشرق والغرب الحضارية حتى جعلته هو محصلتها فى التاريخ الحديث.

فلا غرابة إذن إذا ما نهجنا فى تحليل اتجاهات ناپوليون بونابرت منهجا يفيد من هذه العناصر المختلفة الشرقية والغربية؛ مثل الإسكندر الأكبر، والمثل الإسلامية، وإن كانت الأخيرة أقل بكثير جداً فى تأثيرها على ناپوليون من تلك المثل.

نص الوثيقة

بيان بونابرت لجنده عشية الابحار من طولون إلى مالطه ومنها إلى الإسكندرية

أيها الجند:

لقد كنتم أحد أجنحة جيش إنجلترا[١]، ولقد خضتم حروبا عبر الجبال، والسهول ، وضربتم الحصار، ثم ها هنا تخوضون الحرب البحرية..

إن الفرق الرومانية ـ التى كنتم من وقت لآخر تقلدونها دون أن تبلغوا مستواها بعد ـ قد انزلت الهزيمة المرة بقرطاجة على التوالى فى البحر وفى سهول زاما [٢]. دون أن يجانبهم النصر لأنهم كانوا على الدوام شجعانا وعلى المكاره صابرين وملتزمين تماما ومتحدين مع بعضهم البعض. أما وقد شخصت إليكم أبصار أوربا، فلتحققوا مقاصدكم العظمى، ولتخوضوا المعارك، ولتتجاوزوا العقبات والأخطار وأن يفوق عطاؤكم ما سبق وأن قدمتموه، من أجل رفاهية وطنكم ورفاهية الجنس البشرى، ومن أجل مجدكم الشخصى.

أيها الجند، ويا رجال البحر ، ويا أيها المشاه ورجال المدفعية والفرسان، كونوا متحدين، وليكن نصب أعينكم يوم المعركة إن كل واحد منكم يشد ازر الآخر. وأن عبقرية الحرية ـ التى جعلت من الجمهورية منذ مولدها الحكم الفصل فى أوربا ـ قد فرضت عليها[٣] أن تكون على هذا النحو فيما وراء البحار ولدى الشعوب النائية.

١ـ أى الجيش الكبير الذى اعدته حكومة الإدارة التنفيذية الفرنسية لغزو إنجلترا بعد أن نجحت جيوش فرنسا من اخراج دول التحالف الأول الواحدة بعد الأخرى من الحرب لتبقى انجلترا فقط فى مواجهة فرنسا. واسندت قيادة هذا الجيش الكبير إلى نابوليون بونابرت الذى ادرك أنه مشروع فاشل. وأن حملة يقودها إلى مصر هى الأجدى.

٢ـ أحد الدول التى ناصبت روما العداء لتدور رحى سلسلة من الحروب (اليونانية) انتهت بهزيمة ساحقة لقرطاجة فى معركة زما ٢١٢ ق.م.

٣ـ أى على الجمهورية.

Bonapart's adresses to
his Soldiers

on the eve of emkarking from Toulon
To Malta then to
Alexandria
Without mensioning the destination
of the Expedition

Soldiers:

you are one of the wings of the army of England; you have waged war in mountains, in plains, at sieges, you have to wage maritime war.

The Roman Legions, which you have sometimes emitated, but not yet equalled, combated Carthage by turns on the sea and on the plains of Zama. Victory never forsook them, beause they were constantly brave, patient in enduring fatique, well disciplined and united together.

Soldiers

The eyes of Europe are upon you have great destinies to fulfil, battles to fight, dangers and hardships to surmount; you will do more than you have yet done for the prosperity of your country, the happiness of mankind and your own glory.

Soldiers, seamen, infantry, artillery, Cavalry, be united : recollect that on the day of battle you have need of one another.

Soldiers, seamen you have heatherts neglected now the greatest solicitude of the Republic is for you. You will be worthy of the Army of which you form a part.

The Genius of Liberty which had made the Republic from her birth the Arbitress of Europe, decrees that she shall be so to the most remote seas and Nations.

(١٤)
منشورا بونابرت إلى الجيش البرى
قبيل الوصول إلى الشواطئ المصرية
يونيو ١٧٩٨

من بونابرت عضو الأكاديمية الفرنسية والقائد العام لجيش مصر.

أيها الجنود،

إنكم ستخوضون غمار حرب سيكون لها تأثير عظيم على المدنية وتجارة العالم أجمع، وستضربون إنجلترا فى الصميم لتستطيعوا فيما بعد القضاء عليها.

إننا سنضطر إلى قطع مسافات مرهقة على الأقدام، وإلى القتال فى العديد من المواقع إلا أننا سنفوز فى جميع المعارك لأن العناية الإلهية معنا.

وبعد أن نثبت أقدامنا فى أرض مصر ببضعة أيام سنبيد أولئك البكوات المماليك الذين يدعمون التجارة الإنجليزية دون سواها والذين امتهنوا تجارنا وعاملوا سكان وادى النيل بالظلم والاستبداد.

واعلموا أن الشعب الذى سنعيش معه يدين بالإسلام وأول مبادئه (إن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله) فلا تعارضوه فى معتقداته وعاملوه كما عاملنا اليهود والإيطاليين واحترموا شيوخه وعلماءه كما احترمنا الرهبان والقسس.

وليكن فى نفوسكم من التسامح لتقاليد الشرع وللمساجد على نحو ما كان عليه تسامحكم مع الكنائس والصوامع والبيع ومع المعتنقين لدين عيسى وموسى. ولقد كانت الجيوش الرومانية تحمى الأديان من قبلكم وترعاها. وستجدون فى هذه الديار عادات تختلف عن عادات أوربا فلا بد من أن تألفوها . واعلموا أن الناس الذين ستعيشون بين ظهرانيهم يعاملون النساء على غير ما اعتدنا عليه ثم إن الامم اجمعت على أن من يعتدى على المرأة حيوان بهيم.

وأما النهب والسلب فلا يغنى إلا فئة قليلة من الأفراد، ولكنه يحط من قدرنا وينتقص من شرفنا ويملأ بغضا لنا قلوب الناس الذين تقضى مصلحتنا أن نكون معهم على صفاء ووداد.

بونابرت

(١٥)

«منشور نابوليون بونابرت إلى قواته قبيل الوصول إلى الشواطئ المصرية» ٢٢ يونيو ١٧٩٨ ـ ٤ مسيدور السنة ٦ »

إنكم لقدمون على فتح لا يمكن حصر مآثره على الحضارة والتجارة العالمية. وستوجهون إلى إنجلترا اعنف ضربة واوقعها، حتى تمتلكون المقدرة على توجيه الضربة القاضية لها .

إن أفراد الشعب الذى سنتعايش معه «محمديون» [١] والمبدأ الأول فى عقيدتهم هو لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فلا تجادلونهم فيه. ولتسلكوا معهم نفس مسلككم تجاه اليهود وتجاه الإيطاليين. وقدموا الاحترام للمفتين وللأئمة على نحو ما قدمتموه للربابنة والأساقفة.

ولتبدو نفس القدر من الصبر على الطقوس التى أوصى بها القرآن وكذلك للمساجد على نحو ما فعلتموه نحو كل من الأديرة ومعابد اليهود لديانتى موسى والمسيح عيسى وهناك ستجدون تقاليد مختلفة عما هو فى أوربا، فلتتعايشوا معها فالشعب الذى سنتواصل معه يعامل المرأة على اختلاف ما هو لدينا.

وليكن فى قرار اذهانكم أن من ينكث العهد يعتبر فى كل البلاد جبانا.

إن أول مدينة نصلها هى تلك التى كان الإسكندرية قد بناها ، وفى كل خطوة نخطوها ستصادفنا ذكريات ماض تليد مجيد جدير بأن يلهب غيرة الفرنسى.

١ــ Louis Adolphe Thiers: The History of the French Revolution 1780 - 1800. Translated with Notes and Illustrations from the most Authentic sources by Fredrick Shoberl. New Edition with upwards of Footy Illustrations on Steel Encraved by Wrlliam Greatbatck in Five Ma Voluams. London. Richard Bentley and Sons Publishers in Ordinary any to her rejesty the Queen 1895. Vol. v. p. 254.

(١٦)
منشور بونابرت إلى المصريين

١٧ محرم ١٢١٣
أول يوليو ١٧٩٨
١٣ ميدور السنة السادسة

مقدمة

كان الشرق الإسلامى متفوقًا حضاريًا على الغرب المسيحى حتى أخذ ميزان التطور الحضارى يميل لصالح الغرب ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى، فقد استنفدت الحروب الصليبية التى شنتها أوربا المسيحية والاجتياحات المغولية الوثنية والتترية الإسلامية نسبة عالية جداً من قدرات البلاد وفقدت الشعوب الإسلامية قدراتها الابتكارية. بينما أفاد الأوربيون من عناصر التفوق فى البلاد الإسلامية وانطلقوا منها مبدعين حتى إذا ما جاء القرن الخامس عشر والسادس عشر أخذت أوربا فى انطلاق متواصل ابتداء من عصر النهضة الأوربية نحو بناء الدول القومية والكشوف الجغرافية لبناء الإمبراطوريات الاستعمارية فيما وراء المحيطات، فكان ان قامت الإمبراطورية الأسبانية فى العالم الجديد (الأمريكيتين) والبرتغالية على طول السواحل حول افريقية إلى المياه الإسلامية الجنوبية إلى الهند فالصين، ثم الإمبراطورية البريطانية والفرنسية والهولندية فى العالمين القديم والجديد، فتدفقت الثروات على الدول والشعوب الأوربية، وتجمعت عناصر نهضة أكبر فى آواخر القرن الثامن عشر عبرت عنها ثورة وحرب الاستقلال الأمريكى وظهور الجمهورية الدستورية للولايات المتحدة الأمريكية التى هى من مظاهر الابداع الحضارى الغربى فى مطلع الربع الأخير من القرن الثامن عشر الذى شهد تطورات عظمى أخرى: ـ

١ـ الثورة الصناعية الاقتصادية التى انطلقت على يد الإنجليز أولاً. ثم انتشرت فى العالم الغربى أولاً.

٢ـ الثورة الفرنسية بما تضمنته من مبادئ سياسية وإنسانية واجتماعية أوربية وعالمية.

كان قيام الثورة الفرنسية والدعوة إلى نشر مبادئها إلى ما هو وراء فرنسا أن تكتلت بعض الدول الأوربية الرئيسية ضدها إلا أن تفوق الفكر والقدرات العسكرية الفرنسية وسرعة الحركة ونقل المعركة إلى أرض الخصم أدى إلى نجاح فرنسا فى انزال الهزيمة بالإمبراطورية الرومانية المقدسة وبروسيا ولكن حال بحر المانش وتفوق الأسطول البريطانى دون نقل المعركة إلى قلب الجزر البريطانية، ودعا نابليون بونابرت ـ وكان حينذاك أحد كبار القواد المنتصرين والمكلف بهزيمة إنجلترا فى عقر دارها ـ إلى توجيه حملة إلى مصر لتصبح مستعمرة قاعدة لإمبراطورية فرنسية على حساب شعوب الشرق والدولة العثمانية وعلى حساب الإمبراطورية البريطانية وغيرها. فلقيت الفكرة قبولاً لدى حكومة الادارة الفرنسية وأعطت لبونابرت حق تشكيل هذه الحملة من قوات برية وبحرية، ولكن الجديد هنا هو اختياره لعدد من العلماء فى مختلف التخصصات للعمل مع الحملة للافادة إلى أقصى حد من حضارة مصر فى تحقيق مشروعه الاستعمارى الإمبراطورى.

وصدرت تعليمات حكومة الإدارة إلى قائد عام الحملة الفرنسية إلى مصر على النحو التالى:ـ

١ـ أن يحافظ على مفهوم العلاقات الودية بين فرنسا والسلطان .

٢ـ أن يعمل على ترقية الشعب المصرى.

٣ـ أن يجتث الوجود الإنجليزى فى الشرق.

وعند وصول الحملة الفرنسية إلى مصر، طبع نابليون بونابرت منشوراً قام العديد من المسلمين ـ ممن أطلق بونابرت سراحهم من أيدى فرسان القديس يوحنا فى مالطة ـ بتوزيع نسخ منه على صفوة رجال مصر مبينًا فيه أسباب توجيه هذه الحملة الفرنسية إلى مصر وأهدافها ومستقبل العلاقات بين السلطات الاستعمارية الفرنسية والسلطان صاحب السيادة العليا على البلاد والشعب المصرى والمماليك حكام البلاد. فقد أكد بونابرت أن السلطان صديق تقليدى للفرنسيين، ولكن فى نفس الوقت لم يشر إلى حق السيادة العثمانية على مصر. وهذا الاتجاه كان بونابرت يعتقد أنه كفيل بأن يؤدى إلى أن يتقبل المصريون المنشور على أعتبار أن

تحركات الفرنسيين تحتفظ بحق السيادة العثمانية على البلاد وهو أمر بالغ الأهمية نظراً لما كان عليه الشعب المصرى من ولاء دينى وسياسى للسلطان العثمانى. فقد كان من المعروف أن الصراعات بين الولاة العثمانيين ضد جيوش السلطان العثمانى كثيرة الوقوع إلا أن الوالى الثائر كان يقول بأنه يقاتل أحد رجال الحكم (الصدر الأعظم مثلاً أو والى عثمانى) ولا يقول أنه ثائر ضد السلطان.

وفى نفس الوقت خاطب بونابرت المشاعر (الوطنية المصرية الدينية) لعلها تتحرك من منطلق (قومى) يرفض الحكمين الذى كان يعانى منهما: الحكم الفعلى للمماليك والحكم النظرى للسيادة الإسلامية على مصر. وكل من هذين الاتجاهين يفيد الفرنسيين.

وهذا النداء لم يكن قاصراً على مصر، فلقد أصدر بونابرت دعوة إلى الإيطاليين للتحرر من تحكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومن ثم يعتبر نداء بونابرت إلى المصريين جزء من سياسة عامة لدى بونابرت لايقاظ المشاعر (الوطنية) على أمل إقامة دولة قومية تسير فى فلك فرنسا.

وكانت هذه الدعوة أكثر الدعوات فشلا، إذ لم تجد الصدى المناسب لها بين مفكرى ومثقفى مصر حينذاك. وتمسكوا بالولاء للسلطان العثمانى على اعتبار أن هذه الدعوة صادرة عمن يحتل مصر مع أنها ولاية من ولايات السلطان العثمانى، ولذلك كان المصريون يرون فى قول بونابرت أنه وأن دولته صديقة للسلطان وللدولة العثمانية مجرد خديعة.

وعلى هذا النحو أيضًا فشلت دعوة بونابرت أن فرنسا حاملة راية «المساواة» و«الحرية»، فالمساواة لا يمكن أن يكون لها موقعًا فى حالة وقوع الشعب تحت الاحتلال وكذلك لا «حرية» تحت نير الاستعمار. والادهى من ذلك أن الفكر الطبقى كان هو المسيطر على الشرائح المثقفة المصرية وكانوا يعتبرون المساواة بين الناس دعوة إلى الفوضى وضياع الهيبة والمكانة.

وأغرى بونابرت المشايخ والأعيان بأنهم سيقومون بتدبير أمور البلاد، وكان المماليك والأتراك العثمانيين لا يعطون فرصة للشعب المصرى لممارسة أى دور قيادى، وهو أمر دأب عليه حكام مصر بعد تدهور حضارة مصر الفرعونية. ولا شك أن هذا الوعد كان ـ لدى المصريين ـ مجرد وعد صادر من عدو البلاد يجب أن لا يؤخذ محمل الجد وكان بونابرت يعتقد أن مجرد طرح هذه الفكرة كفيل بأن يشحذ الفكر العربى فى إعادة النظر فى العلاقة بين الحكام المماليك والمحكومين المصريين. ومن ثم كان على المصريين ـ من وجهة نظر بونابرت ـ أن يتقبلوا السيطرة الفرنسية على البلاد، وأن يعلنوا الطاعة للغزاة وأن يرفعوا العلمين

الفرنسى والعثمانى جنبًا إلى جنب وأن يقبعوا فى دورهم بعيداً عن الطرفين المتقاتلين (الفرنسى والمملوكى).

أما القرية التى تقف إلى جانب المماليك فعقابها أن تحرق. ولاشك أن هذا العقاب الجماعى ـ حرق القرية ـ هو من أحط أنواع العقاب الذى يصدر من دولة (متحضرة) ضد شعب أعزل يرفض سيادة الغير عليه.

ومن وجهة النظر الفرنسية إنهم يفوقون المماليك ـ المحتكرين للسلطة والثروة ـ من حيث أن الفرنسيين سيعملون على تحضير البلاد، وأنهم ـ أى الفرنسين ـ ليسوا صليبيين بل هم أقرب إلى الإسلام والمسلمين من المماليك . ولكن مهما أوتى الفرنسى أو غيره من قدرة على تبرير سياسية استعمارية لن تجد لها سبيلاً إلى عقل مسلم أو شرقى.

لم يدع المنشور إلى تحييد الشعب المصرى فقط وإنما دعا المشايخ والأعيان والمسئولين أن يقوموا بضبط وجرد ممتلكات المماليك والتحفظ عليها. وهو إغراء للمصريين لم يلق صدى بينهم حتى نزلت الهزيمة الكارثة بالمماليك فى موقعة امبابة وأخذ المماليك يفرون من القاهرة وغيرها إلى الشرقية والصعيد. فما كان من الفلاحين والأعراب إلا أن نهبوا ما تصل إليه إيديهم من متاع الفارين إيًا كان موقعه الاحتماعى أو السياسى والادارى أو الاقتصادى. ومع أن المنشور تناول المماليك وأنهم (أغراب) طغاة يستبدون بمصر شعبًا وثروة، وأن لا سنداً شرعيًا معهم يعطيهم حق حكم البلاد، إلا أن المصرين لم يعتبروهم أغرابا وإنما سيطرت عليهم مقولة : إن المسلمين أخوة حتى لو كانوا أخوة سوء من المسلمين.

ولقد كان المنشور صادقًا حين وصف المماليك بالجهل وفقدان المقومات الرئيسية لأى حاكم على بلد مثل مصر. ولكن ذلك أيضًا لم يكن له الصدى الذى كان يتوقعه بونابرت بين المصريين. فقد كان لدى المصريين قناعة بأنهم ليسوا أهل حكم وسياسة وإنما هؤلاء هم الأجدر بتوجيه وتدبير أمور البلاد.

وركز المنشور فى أكثر من موقع على أن المماليك اجرموا فى حق السلطان بعصيانه ، واجرموا بحق فرنسا بالاساءة إلى الفرنسيين فى مصر، وأن فرنسا بذلك أصبح لها الحق فى أن تنزل بهم العقاب إينما وجدوا. وهى قضية سياسية مثارة حاليًا من حيث أن بعض الدول الكبرى تعمل على أن تفرض على بعض الدول الصغرى مطاردة وعقاب من تثبت عليه جريمة أو أن تقوم الدولة الكبرى بتلك المهمة رضيت الدولة الصغيرة أم كرهت، ويترتب عن سوء

استخدام الدول الكبرى لهذا المبدأ على نحو ما فعلته الحملة الفرنسية على مصر، وعلى نحو ما يمارس حاليًا من جانب بعض الدول القوية.

وحاول بونابرت أن يكسب المصرى إلى جانبه عن طريق الدين من حيث أنه يعبد الله ولكن دون أن يحدد كنهه، ومن حيث أنه يحترم النبى (صلى الله عليه وسلم) والقرآن الكريم ولكن المسلم كان يدرك بكل سهولة أن كل هذا مجرد تلاعب بالألفاظ وتمويه. ومع أننا ندرك أن بونابرت كان يقدر فعلاً الفكر الإسلامى فى كثير من جوانبه إلا أن صدور ذلك ضمن سياسة استعمارية لا يمكن أن يعطى أية فرصة للمصداقية.

إلا أن حرية العقيدة والعبادة كانت لدى بونابرت واحدة من الأسس التى قامت عليها سياسته إزاء الإسلام والمسلمين، فضلاً عن رفضه القاطع للنظرية الصليبية التى اعتبرها بونابرت سُبة فى جبين البابوية والمؤسسات الصليبية مثل فرسان القديس يوحنا فى مالطة.

أوغر بونابرت فى منشوره صدر المصريين ضد المماليك من حيث استئثارهم لكل ما هو مباح فى الحياة دون المصريين وتلك كانت حقيقة، ومثار نقد شديد من جانب مفكرى ذلك العصر.

ومع ذلك فان هذا المنشور له مكانة تاريخية عالية المستوى وقد كتبه بونابرت بالتعاون مع أحد المستشرقين المصاحبين للحملة، وهدف إلى أمور لم تلق صدى لدى المصريين، ولكن وضع مبادئ كانت بمثابة حجر الزاوية بين عصر ما قبيل الحملة الفرنسية وعصر ما بعدها. وقد قرأه كل شعب من زاويته هو ولذلك كانت الرؤى مختلفة بصدده ولذلك آثرنا أن ننشر النص بالعربية والفرنسية.

نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه

من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية، يعرف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد السناجق ـ الذين يتسلطنوا فى البلاد المصرية ـ يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلموا تجارها بأنواع البلص والتعدى، فحضر الآن ساعة عقوبتهم.

واحسرتا من مدة عصور، هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الابازا والكرجستان يفسدوا فى الأقاليم الأحسن، الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شىء قد حتم على انقضاء دولتهم.

يا أيها المصريين قد يقولوا أننى ما زالت فى هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا ليكما أخلص حقكم من يد الظالمين وأننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم.

وقولوا أيضا لهم أن جميع الناس متساوين عند الله وأن الشىء الذى يفرقهم من بعضهم بعضا فهو العقل والفضائل والعلوم فقط، وبين المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التى تميزهم عن الأخرين، وتستوجب أنهم يتملكوا وحدهم كلما يحلوا به حياة الدنيا. حيثما يوجد أرض مخصبة فهى مختصة للمماليك والجوارى الأجمل والخيل الأحسن والمساكن الأشهى فهذا كله لهم خاصة.

إن كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فليوورونا الحجة التى كتبها لهم الله ولكن رب العالمين هو رءوف وعادل على البشر. بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبروا الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها.

سابقا فى الأراضى المصرية كانت المدن العظيمة والخليجات الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله إلا الطمع وظلم المماليك.

أيها القضاة المشايخ والأئمة ويا أيها الشرباجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمين خالصين واثباتات لذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان يحث دائما النصارى على محاربة الإسلام. ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا

منها الكوالرية الذى كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه وبالمقلوب المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما طاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم.

طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعلى مراتبهم، طوبى أيضًا للذين يقعدوا فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المحاربين فاذا يعرفونا بالأكثر يتسارعوا إلينا بكل قلب.

لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى:

جميع القرى الواقعة فى دايرة قريبة بثلاثة ساعات عن المواضع التى يمر بها العسكر الفرنساوى فواجب عليها أنها ترسل للسر عسكر بعض وكلاء من عندها لكيما يعرفوا المشار إليه أنهم طاعوا وأنهم نصبوا السنجاق الفرنساوى الذى هو أبيض وكحلى وأحمر.

المادة الثانية :

كل قرية التى تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار.

المادة الثالثة:

كل قرية التى تطيع للعسكر الفرنساوى الواجب عليها نصب السنجاق الفرنساوى وأيضًا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه.

المادة الرابعة:

المشايخ فى كل بلد يختموا حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك بتاع المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكيلا يضيع أدنى شىء منها.

المادة الخامسة:

الواجب على المشايخ والقضاة والأيمة أنهم يلازموا وظايفهم وعلى كل واحد من أهالى البلد أن يبقى فى مسكنه وكذلك تكون الصلاة قايمة فى الجوامع على العادة. والمصريين بأجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال ادام الله اجلال السلطان العثمانى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية.

تحريرا بمعسكر إسكندرية فى ١٣ من شهر مسيدو

(سنة ٦) من إقامة الجمهور الفرنساوى يعنى فى أواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية.

"Au nom de Dieu, clément et miséricordieux. Il n'y a de divinité qu' Allah; il n'a point de fils et régne sans associé.

"Au nom de la République française fondée sur la liberté et l'égalité, le général en chef des armées françaises Bonaparte, fait savoir à toute la population de l'Égypte que depuis assez longtemps, les beys qui gouvernent l'Égypte insultent á la nation française et couvrent ses négociants d'avanies: l'heure de leur châtiment est arrivée.

"Depuis trop longtemps ce ramassis d'esclaves achetés dans le Cauease et la Géorgie tyrannise la plus belle partie du globe. Mais Dieu toutpuissant, maître de l'univers, a ordonné que le font les Manluks, et que je respects son prophéte Mahomet et l'admirable Coran.

"Dites-leur que tous les hommes sont égaur devant Dieu; l'intelligence, les vertus et la science mettent seules de la différence entre eux.

"Or quelle intelligence, quelles vertus, quelles connaissances distinguent les Mamluks, pour qu'ils aient exclusivement tout ce qui rend la vie douce?

"Partout où se trouve une terre fertile, elle appartient aux Mamlouks; les plus belles esclaves, les plus beaux chevaux, les plus belles maisons, tout cela appartient aux Mamluks.

"Si la terre d'Egypte est leure ferme, qu'ils montrent le bail que Dieu leur en a fait. Mais Dieu est juste et miséricordieux pourt le peuple. Avec son aide, aucun Égyptien ne sera désormais excludes grandes chargs et tous pourront parvenir aux dignités les plus élevées, les plus intelligents, les plus vertueux les plus savants dirigeront les affaires. Par ce moyen, le peuple sera heureux.

"Autrefois il y avait en Égypte de grandes villes, de grands canaux, un commerce considérable, qui n'ont cessé d'exister que par l'avarice et la tyrannie des Mamluks.

"Cadis, cheikhs, imams, tchorbadjis et notable du pays dites au peuple que les Français sont aussi de vrais musulmans. Ce qui le prouve, c'est qu'ils ont été à Rome la grande et ont détruit le trône du Pape, qui excitait sans cesse les chrétiens à faire la guerre aux musulmans; qu'ils sont allés à l'île de Malte et en ont chassé les chevaliers, qui s'imaginaient que Dieu voulait qu'ils fissent la guerre aux musulmans; qu'en outre les Français se sont montrés dans tous les temps les amis particuliers de Sa Majesté le Sultan Ottoman et les ennemis de ses ennemis, que Dieu fasse durer sa royauté! Les Mamlouks, au contraire, se sont toujours abstenus de lui obéir; ils ne se conforment jamais à ses orders et ne survent que leurs caprices.

"Heureux· oui heureux, les Égyptiens qui s'uniront promtement avec nous. Ils prospèreront dans leur fortune et leur rang. Heureux ceux qui resteront dans leurs demeures, sans pencher vers l'un des deux partis qui se font la guerre. Lorsqui'ils nous connaîtront davantage, ils se hàteront de venir à nous de tout leur coeur.

"Mais malheur à ceux qui se joindront aux Mamluks et les aideront à faire la guerre. II n'y aura pour eux aucune voie de salut et leurs traces seront effacèes.

ARTICLE PREMIER

"Tous les villages situès dans un rayon de trois heures des endroits où passera l'armèe française enverront des dèlèguès pour faire connaître au général commandant les troupes qu'ils sont dans l'obèissance et le prévenir qu'ils ont arboré le draqeau français qui est blance, bleu et rouge.

ARTICLE 2

"Tout village qui prendra les armes contre l'armée française sera brülé.

ARTICLE 3

"Tout village qui se sera soumis à l'armée française mettra avec le pavillon français celui du sultan ottoman, notre ami, que Dieu protége sa durée!

ARTICLE 4

"Dans chaque localité, les cheikhs feront mettre les scellés sur les biens, maisons et propriétés, qui a ppartiennent aux Mamluks, et approteront le plus grand soin à ce que rien ne soit détourné.

ARTICLE 5

"Les cheikhs, les cadis, les continueront les fonctions de leurs places. Chaque habitant restera chez lui tranquille. Les prières auront lieu dans les mosquées comme à l'ordinaire. Tous les Égyptiens remercieront Dieu conserve la gloire du sultan ottoman! Que Dieu conserve la gloire de l'armée française! Que Dieu maudisse les Mamluks et rende heureux le sort de la nation "égyptienne!"

"Écrit au quartier général d'Alexandrie le 13 messidor de l'an VI de la République française au fin moharram 1213 de l'hégire".

(١٧)
وثيقة امان وتعايش بين الفرنسيين
و الإسكندرية
٤ يوليو ١٧٩٨
٢٠ محرم ١٢١٣

نجحت خطة نابوليون بونابرت فى تنفيذ خطته (السرية) لمسيرة الحملة الفرنسية من الموانئ الفرنسية والإيطالية إلى مالطه فالإسكندرية حتى إذا ما علم نلسون - قائد الأسطول الإنجليزى فى البحر المتوسط - بأن حملة فرنسية تعبر البحر المتوسط فى الاتجاه جنوبا بشرق انطلق بسفنه إلى الموانئ المحتمل أن تصلها الحملة، وكانت الإسكندرية من الموانئ المرشحة كهدف أولى لتلك الحملة.

وعندما وصل إلى مياه الإسكندرية بعث بضابطين إلى الميناء التقيا بمحمد كريم الذى كان مسئولا عن جمارك الإسكندرية من قبل مراد بك ثانى اثنين من المماليك كانا يحكمان مصر حينذاك. وانتفضت فى محمد كريم نخوته الوطنية الإسلامية التى حجبت عنه المفاهيم العديدة التى أراد الإنجليز توصيلها إليه وهى:

١- إن الدولتين الإنجليزية والفرنسية فى حالة عداء شديد وحرب.

٢- إنه من مصلحة مصر - وبالطبع إنجلترا - أن تتعاونا معا لمواجهة هذه الحملة الفرنسية التى لا قبل لمصر بمثلها.

٣- إن يقوم المسئولون فى الإسكندرية بتزويد قطع الأسطول الإنجليزى الراسية أمام هذا الميناء بالمياه والمواد الغذائية حتى إذا ما بدت سفن الحملة الفرنسية فى الأفق التحمت بها القطع البحرية الإنجليزية لاغراقها وانقاذ مصر من غزو محقق.

لم يكن محمد كريم على مستوى الأزمة، ولم يكن على يقين من أن الإنجليز والفرنسيين على عداء مستحكم وإنما كان على يقين من أن الفرنجة (الفرنج/ الأوربيون) مسيحيون صليبيون قلوبهم متآلفه ضد المسلمين، ومن هنا كان محمد كريم يشك فى أن ما قاله

الضابطين الإنجليزيين له ليس سوى خديعة استهدفت التمهيد لحملة صليبية وشيكة الوقوع.

رفض محمد كريم اليد التى امتدت له للدفاع عن الإسكندرية وحذر الإنجليز من مغبة البقاء فى المياه المصرية الإسلامية، وتهكم على استعدادهم للدفاع عن مصر ضد نصارى آخرين، وهددكم بغضبة السلطان العثمانى المسئول الأوحد عن الدفاع عن الديار الإسلامية وخاصة مصر المحروسة.

حقيقة بعث محمد كريم إلى مراد بك وإبراهيم بك محذرا من أخطار جسيمة تتعرض لها الإسكندرية على نحو ما تحدث به الإنجليز معه، ولكنه لم يتخذ إجراءات احترازية لمواجهة مثل هذا الخطر المحدق، وذلك على اعتبار أن المماليك والوالى العثمانى فى القاهرة هم المسئولون عن الدفاع عن البلاد واتخاذ ما يتراءى لهم من إجراءات وقائية.

ولكن مختلف السلطات المسئولة العثمانية والمملوكية فى الإسكندرية وفى القاهرة قابلت هذه التحذيرات أما بنوع من الاستخفاف على نحو ما عبر به مرد بك عندما وصلته تلك التحذيرات إذ قال أنه سيدوس الفرنسيين بسنابك الخيل وأن قصر ابن لقمان لا يزال بالمنصورة قائما ينتظر قائد الحملة (الصليبية) الجديدة على نحو ما حدث لحملة لويس التاسع على مصر فى منتصف القرن الثالث عشر.

وتكشف لنا هذه التقييمات ـ من جانب المسئولين لاحتمالية وصول حملة فرنسية إلى مصر ـ عن غياب الوعى السياسى بما كان يجرى فى أوربا من تطورات وأحداث مدوية خاصة منذ نشوب الثورة الفرنسية وما ترتب عنها من حروب الثورة ونابوليون بونابرت.

ويرجع ذلك إلى استبداد المماليك بحكم مصر منذ حوالى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ، فمن بعد على بك الكبير استشرت الصراعات المملوكية ـ المملوكية ، وتقطعت العلاقات بين مصر والدول الأوربية بحيث لم يعد هناك من وسيلة اتصال تجعل مصر على بينة مما يجرى هناك.

وبينما كانت الدولة العثمانية فى نظر الدول الكبرى الأوربية مجرد رجل مريض من الأجدى تقسيم تركته قبل أن يتقاتل عليها الأوربيون فيما بينهم، كان السلطان العثمانى فى نظر المسئولين فى مختلف الولايات العثمانية قوى الشكيمة قادرا على ردع المعتدى، فالله لا يخذل المسلمين ولا خليفته على الأرض.

ومن ثم توقفت المجهودات عند هذه العنتريات حتى اقبلت سفن الحملة الفرنسة ورست عند

(العجمى) غربى الإسكندرية دون ما مقاومة لا فى البحر ولا عند النزول إلى البر، الأمر الذى اصاب الأهالى بنوع من الصدمة سرعان من افاقوا منه على نداء الجهاد وقفزت إلى اذهانهم امجاد الاتصالات الإسلامية على الصليبيين.

لم يكن فى الإسكندرية قوة دفاعية تذكر، ولذلك اعتمد محمد كريم على الإمكانيات المحلية فى تكوين قوة للدفاع عن المدينة كان قوامها العربان الأكثر تمرسا على الكر والفر وعلى رجال الإسكندرية الذين هبوا للذود عن الحياض والعقيدة وعلى من يمكن أن يصل من رجال من جانب (كاشف) البحيرة. وهى قوات فى مجموعها اعجز من أن تخوض معركة مكشوفة مع الجيش الفرنسى، فتركزت عمليات القتال من داخل قلعة قايتباى وداخل الإسكندرية نفسها. ويمكن القول أن المصريين هناك خاضوا أول معركة لهم بأنفسهم ضد المعتدين منذ أواخر الحروب الصليبية. فكانت بذلك أولى المواجهات بين أخلاقيات الإنسان المصرى المسالم الذى يفرض عليه فرضا حمل السلاح للدفاع عن نفسه ضد معتد أثيم خطط لاستعبادة تحقيقا لرفاهيته .

ومع أنه نابوليون بونابرت شن هجومه على الإسكندرية بقوة محدودة من جيشه. فقد اضطرت القوات المدافعة إلى وقف اطلاق النيران وطلب (الأمان) من الفرنسيين، فكان أن توصل الطرفان إلى وثيقة تعهد فيها كل طرف بعدم تعريض الطرف الآخر لأية مخاطر، وأن تعود الحياة اليومية إلى ما كانت عليه من قبل، والتزم الفرنسيون باحترام حرية العقيدة الدينية وحرية العبادة.

اشارت هذه الوثيقة إلى أنه على الأعيان والمشايخ أن يتشاوروا فيما بينهم عند اعطاء قرار أو حكم. ولعل نابوليون بونابرت كان يمهد أذهان المصريين (السكندريين) بهذه الاشارة إلى الأخذ بنظام «المجالس»، ويبدو أن المؤرخ عبد الرحمن الرافعى تأثر بهذا الاتجاه البونابرتى فقال فى ترجمته للوثيقة ما معناه أنه لن يصدر حكم إلا بعد الرجوع إلى «مجلس» العلماء.

ومع أن عبد الرحمن الجبرتى كان معنيا بتضمين كتابه نصوص القرارات والمناشير التى كانت تصدر من أى من الجانبين الفرنسى والمصرى وغيرهما إلا أنه لم يشر إلى هذه الوثيقة التى وقع عليها بعض أعيان ومشايخ الإسكندرية.

١- حكومة الإدارة الفرنسية فى باريس.

واعتقد أن الجبرتي يمكن أن نصفه بأنه مؤرخ (قاهري) كتب أحداث مصر من زاوية قاهرية ولعله لم تصله أنباء أحداث الإسكندرية ومنها هذه الوثيقة الهامة.

وقد نشر أصل هذه الوثيقة :

د. محمد عبد الحميد الحناوي في رسالته لدرجة الماجستير عن الإسكندرية في عهد الحملة الفرنسية .

أما المؤرخ عبد الرحمن الرفاعي فقد نشر ترجمه للنص الفرنسي للوثيقة [١].

وواضح أن ترجمة الرافعي اعطت مفاهيم كثيرة لا يمكن أن تعكسها الوثيقة الأصلية التي نشرها الدكتور محمد عبد الحميد الحناوي في رسالته لدرجة الماجستير ومن ذلك إضفاء الرافعي على بونابرت لقب «رئيس الأمة الفرنسية»[٢] وهي صفة لم يتصف بها بونابرت إلا بعد أن تولى منصب «القنصل الأول» ثم منصب الإمبراطور.

ونحن نتعجب من سوء خط أعيان الإسكندرية وعلمائها ، بالمقارنة إلى جمال الخط الذي كتبت به رسائل مراد بك حاكم جنوب الصعيد في الفترة بين (١٨٠٠ ـ ١٨٠١)، ولعل سوء خط تلك الوثيقة يرجع إلى الظروف الصعبة التي كتبت فيها (استسلام الإسكندرية).

١ـ عن جونكيير.

٢ـ انظر عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ط ١ ، القاهرة: ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، جـ١ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

نص الوثيقة

الحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

هذا ما حصل التوافق والتراضى عليه بين أعيان الثغر المذكور واسماؤهم فى أسفله وبين رئيس الطائفة الفرنساوية وأمير الجيوش القادمة للثغر السكندرى، وهو أنهم يمشون على قوانينهم الصحيحة، ويحكمون بصميم الحق، ويعدلون عن الطريقة المرجوحة، والقاضى منهم يكون حسن السيرة، نير السريرة، ولا يبت حكما ولا يبرم امرا حتى يستفتى فيه العلما ويشاورهم ويتحقق الحكم، ويحرره بعد أن يناظرهم.

وأنهم يكونون متعاضدين على الحق غير حايفين عن طريقه، ويكونون فيه رجلا واحدا ، وأن لا يبرموا أمرا حتى يتروا فيه ويرتضيه جميعهم. وأن يسعوا فى صلاح البلاد ، وقمع أهل الفجور والفساد. وأنهم لا يخونون العسكر الفرنساوى، ولا يتعرضون له بأذية ولا يمكرون، ولا يسعون له بأمر من أمور المخاوف، وحلفوا على ذلك الإيمان الأكيدة، واعطوا المواثيق السديدة.

وقد التزم لهم أمير الجيوش الفرنساوية بكف عساكره عن التعرض لأحد من أهل البلد بأذية أو ضرر أو نهب أو تخويف، وأن كل من تعرض من عسكره لأحد من أهل البلد ينتقم منه الانتقام الشديد، وينكل به النكال الأكيد، وأن الأمير الكبير لا يتعرض لأحد فى تغيير دينه، ولا فتنه عنه، بل الناس مقرون على دينهم، مؤتمنون على نفوسهم وأموالهم، ما داموا لم يتعرضوا له أو لعسكره بما (يشرتن) عليه.

وقد وقع الكتاب بيوم الأربعاء الموافق .... عشرين من محرم المبارك سنة ١٢١٣ ثلاث عشر ومائتين وألف .

١ـ محمد عبد الحميد الحناوى: الإسكندرية فى عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨ ـ ١٨٠١. ماجستير كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٨٥ ص ٢١٣.

الفقير إليه مصطفى محمد عباس القويصى عفى عنه

الفقير له الحكم العدل عنده

الفقير له به حسن قنيد الشافعى عفى عنه

الفقير به سليمان الكلاف

الفقير محمد المسيرى

الفقير أحمد عبد الله المؤذن الادكاوى الشافعى

الفقير سليمان قنيد المفتى المالكى

الفقير إبراهيم البرجى الحنفى عفى عنه

(١٨)
بداية العلاقات بين الجنرال بونابرت فى مصر ويوسف باشا القرمانلى والى طرابلس.
يوليه ١٧٩٨ - ٢٨ مسيدور سنة ٦.

مقدمة

الأسرة القرمانلية التى حكمت ولاية طرابلس (الغرب) العثمانية منذ ١٧١١ حتى ١٨٣٥ واحدة من العصبيات المحلية التى انتشر حكمها فى الغالبية العظمى من ولايات الدولة العثمانية خاصة فى القرن الثامن عشر. وكانت ولايات شمال أفريقية العثمانية (طرابلس - تونس - الجزائر) ترتكز فى دخلها على أعمال الجهاد/ القرصنة، وكانت تصرفاتها السياسية تتم عن أولوية للمصالح القطرية على مصالح الدولة العامة العثمانية وهذا يفسر العلاقات الودية التى قامت بين يوسف باشا القرمانلى - والى طرابلس - وبونابرت و الحملة الفرنسية رغم حث السلطان العثمانى رعيته للجهاد ضد العدوان الفرنسى على البلاد الإسلامية (مصر).

نص الوثيقة

طرابلس فى ٢٨ مسيدور سنة ٦

على باشا طرابلس [١]، لحظة تسلمه طلب القائد العام ، أن يطلق سرح المسترقين المالطين، وأن يرسلهم إلى مالطة فى سفينة مع كمية كبيرة من الحبوب أو الفواكه وأربعة جياد عربية أصيلة كهدية للقائد العام لمالطة.

١- يقصد يوسف باشا القرمانى.

(١٩)
كتاب بونابرت إلى الصدر الأعظم

١٠ ربيع أول ١٢١٣
٢٢ أغسطس ١٧٩٨

مقـــدمة

كانت تعليمات حكومة الإدارة إلى نابليون بونابرت ـ قائد الحملة الفرنسية إلى مصر ـ تقضى بأن يبذل أقصى ما فى وسعه للإبقاء على العلاقات الودية التى كانت بين الدولتين العثمانية والفرنسية. تلك العلاقات التى نقضتها الحملة الفرنسية نقضا كاملاً.

ويبدو أن الثقة الزائدة ـ التى كانت لدى بونابرت خلال شهر يوليو منذ استيلائه على الدلتا والقاهرة وانطلاق قواته شرقًا وجنوبًا ـ اجلت تنفيذه لذلك البند الهام من تعليمات حكومة الإدارة، أما بعد نكبة القائد البحرى نلسون لأسطول الحملة الفرنسية فى معركة أبى قير البحرية، فقد سعى بونابرت إلى محاولة تهدئة ثائرة السلطان العثمانى الذى لم يكن قد أعلن الحرب على فرنسا إلا بعد تلك المعركة. ويبدو أن بونابرت بعد تلك المعركة قد أدرك تعذر وصول وزير الخارجية الفرنسية ـ تاليران ـ إلى استنبول حسب ما كان متفقًا عليه داخل حكومة الإدارة.

ولهذا رأى بونابرت أن يبعث إلى السلطان العثمانى برسالة يدعوه فيها إلى التباحث فى الوضع الذى نجم عن احتلال الفرنسيين لمعظم مصر، وفيما ستكون عليه العلاقات الفرنسية العثمانية، ورغم نكبة الفرنسيين فى معركة أبى قير البحرية إلا أن رسالة بونابرت هذه إلى السلطان العثمانى لا تشير إلى أى نوع من التخاذل أو محاولة إيجاد حل مقبول للأزمة وذلك لأن الحملة الفرنسية فى نظر بونابرت كانت قادرة ـ على الأقل ـ على تحقيق بعض الأهداف الكبرى التى سبق وأن وردت فى تعليمات حكومة الإدارة لقائد الحملة (بونابرت). وإن كنا

نعتقد أن شخصية بونابرت تتميز بالقدرة الهائلة على (التحدى) مع أنه كان يدرك تماما أن الأوضاع بعد نكبة الأسطول الفرنسى فى معركة أبى قير البحرية لا تبشر كثيراً بالخير.

ومما يثبت أن بونابرت كان قائداً عسكريًا صلب العود صعب المراس ما ذكره هو فى متن رسالته هذه الموجهة إلى الصدر الأعظم من حيث أن هدفا ثابتا لديه وهو إستمرارية الاحتلال الفرنسى لمصر قد ظل متمسكا به وفى نفس الوقت حث بونابرت الصدر الأعظم عل القيام بدعم فرنسا للاجهاز على المماليك ـ على اعتبار أنهم هم العدو المشترك، ولتوجيه ضربة قاضية إلى الإمبراطورية البريطانية.

إن هذا هو المنطق الاستعمارى الذى تعامل به الإنجليز مع الهنود فى القارة الهندية، هو نفس المنطق الذى تعامل به كولن باول [١] ـ وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ـ مع البلاد العربية خلال جولته فى الشرق الأوسط فى مطلع ٢٠٠١ مطالبا بدعم البلاد العربية للولايات المتحدة فى عملياته العسكرية للإجهاز على العراق دون أن يولى اهتماما يذكر بآمال العرب فى أن يتفهم حقيقة العدوان الإسرائيلى على فلسطين العربية . وهو عدوان يعتمد أساسًا كهدف نهائى على ابادة ما هو غير يهودى فى فلسطين.

نص الوثيقة

الحرية   المساواه

القيادة العامة الفرنسية بالقاهرة فى ٥ فريكتدور ، العام الرابع للثورة

إلى الصدر الأعظم

يا دولة السيد العظيم. إن الجيش الفرنسى الذى اتشرف بقيادته قد دخل مصر ليعاقب البكوات المماليك على الاهانات التى لم يكفوا عن توجيهها للتجار الفرنسيين.

وقد عين المواطن (تاليران بيريجور) وزير الشئون الخارجية فى باريس سفيراً لفرنسا فى الأستانة بدلا من المواطن (ادبرت دوبايت) وزود بالسلطات والتعليمات اللازمة من قبل الديركتوار [١] للتفاوض وعقد المعاهدة اللازمة وتذليل الصعوبات فى سبيل احتلال الجيش الفرنسى لمصر وتوطيد دعائم الصداقة الخالصة التى لا بد من بقائها بين الدولتين.

ولما كان من المحتمل ألا يكون السفير قد وصل حتى الآن إلى الأستانة فقد بادرت باطلاع دولتكم على ما انتوته الجمهورية الفرنسية، من حيث أنها لا تريد فقط إعادة العلاقات الطيبة القديمة بل تبغى أيضا الحصول على دعم الباب العالى، وهى فى حاجة شديدة إليه للقضاء على اعدائها الطبيعيين الذين يعملون ضدها.

ولا بد أن السفير (تاليران بريجور) قد وصل الآن، ولكنه إذا تأخر بسبب بعض العوائق فارجو أن ترسلوا إلى القاهرة مبعوثا يكون موضع ثقتكم بعد تزويده بالتعليمات والسلطة اللازمة أو أن ترسلوا إلى فرمانا كى ارسل لكم وكيلا عنى يحدد معكم مصير هذه البلاد ويدبر الأمور التى تكون فى مصلحة عظمة السلطان والجمهورية الفرنسية حليفته الأمينة وتوقع فى الارتبارك والحيرة البكوات والمماليك العدو الشترك.

وارجو دولتكم قبول الاحترامات.

بونابرت

١ـ حكومة الإدارة الفرنسية فى باريس.

(٢٠)

واقعة المنصورة
وأوامر بونابرت بتوقيع الغرامات
١٩ ربيع أول ١٢١٣
٣١ أغسطس ١٧٩٨

مقدمة

تعتبر حركة المقاومة فى المنصورة ضد الاحتلال الفرنسى صورة من صور المقاومة المتكررة فى غالبية مديريات مصر سواء فى الشمال أو الجنوب.

إن المنصورة كانت تضم تركيبات مصرية فلاحية وبدوية عربية قوية مثل (الوقورة) واسرات متنفذة ذات قدرة على المشاركة فى المقاومة ضد المستعمرين.

إن حركات المقاومة فى المنصورة ودمياط كانت ذات أثر كبير فى تحريك ثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين بل يمكن القول إن هذه الثورة ما هى إلا جزء من حركة عامة مصرية ضد الفرنسيين حولت أرض مصر إلى أرض محروقة تحت أقدام الفرنسيين الأمر الذى أفقد بونابرت عنصرا آخر من عناصر خطته ونعنى به إمكانية استخدام مصر أرضًا وشعبًا فى مشروعه الاستعمارى الكبير.

وقد آثرنا أن نعيد نشر ما ذكره عبد الرحمن الرافعى عن حركات المقاومة فى مديرية المنصورة (الدقهلية) ونص الأمر الذى أصدره بونابرت لعقاب المنصورة لثورتها على الفرنسيين نظراً لأنها واحدة من الموضوعات الهامة التى تنبه إليها المؤرخ الكبير وهو يتناول تاريخ مصر فى أيام الحملة الفرنسية عليها.

ونظراً للقيمة التاريخية العليا لمؤلفات المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى تصويره لتطورات المقاومة المصرية للاحتلال الفرنسى فاننا نورد هنا ما قاله عن أهم الثورات الوطنية التى اندلعت قبل ثورة القاهرة الأولى ، حيث أن هذه الثورة الوطنية فى المنصورة وشقيقتها الثورة

الوطنية فى دمياط تعتبر أن المقدمات المنطقية لثورة القاهرة الأولى وما أعقب ذلك من ثورات مصرية ضد الفرنسيين.

فعلى أثر تعيين الجنرال فيال Vial قومندانًا لمديريتى المنصورة ودمياط فى أوائل أغسطس سنة ١٧٩٨ مضى بفرقته إلى المديريتين لاخضاعهما، فقصد أولاً إلى المنصورة ومكث بها قليلا وترك بها حامية تحتلها، ثم تابع سيره إلى دمياط ليجعلها مقرًا لفرقته، فاحتلها واحتل عزبة البرج.

واقعة المنصورة

ائتمر أهالى المنصورة والبلاد المجاورة بجنود الحامية واتفقوا على الفتك بهم، فبينما كان الجنود فى معسكرهم يوم ١٠ أغسطس سنة ١٧٩٨ دخلت المدينة جموع كثيرة من أهالى البلاد المجاورة وكان اليوم يوم السوق العامة ، فاختلطوا بأهل المدينة، ووافقوهم على الفتك بجنود الحامية فهاجموا الجند، ونادت المدينة كلها بالثورة رجالا ونساء»، وكان النساء يحرضن أزواجهن على أن يثوروا بالفرنسيين، ولما شعر الجنود بالخطر امتنعوا فى معسكرهم فحاصره الثائرون وشرعوا فى دكّه وأشعلوا فيه النار، فاضطر الجنود إلى اخلائه هاربين وانحدروا إلى السفن قاصدين الفرار، وقصدوا إلى دمياط ولكن الثوار أخذوا عليهم الطريق ثم قتلوهم عن آخرهم وكان من الناجين امرأة أحد الضباط وابنتها فأبقى عليهما الثوار ولم يمسوهما بسوء، ويقول ريبو إن الفتاة قد اشتراها شيخ العرب (أبو قوره) وتزوج بها فلبثت عنده حتى مات عنها سنة ١٨٠٨ فى عهد محمد على باشا وبقيت حافظة عهده قائمة على تربية أولادها منه بعد وفاته، وقد أيد كلوت بك هذه الرواية فى كتابه مع اختلاف فى بعض وقائعها، وهو يقول إن هذه الواقعة حصلت عندما شرع الفرنسيون فى الجلاء عن مصر، على أنه لم تحصل وقائع فى المنصورة عند جلاء الفرنسيين، وكلوت بك يرجع إليه فيما حققه وشاهده بنفسه، ويقول أنه سمع بنبأ هذه الواقعة حينما كان كبير أطباء الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا فزار دار أبى قورة بميت العامل [1] سنة ١٨٣٤ أى بعد أكثر من خمس وثلاثين سنة من الواقعة ونزل بها «وكان قصرًا فسيحًا قائمًا بالقرب من مساكن العرب»، وقابل زوجة أبى قورة الفرنسية وابنها ، قال يصف هذه المقابلة «وقد أحسن ابنها لقائى وأكرم مثواى، ولما عرف إننى فرنسى الجنس ذكر لى والدته وقال إنها فرنسية، فكاشفته عن رغبتى فى لقائها، وكانت ذريعتى إلى ذلك مهنة الطب التى أقوم بها ، فلما بلغت خدرها تلقتنى محيية باللغة الفرنسية، وتبينت أنها إيطالية الجنس، وعلمت منها فعلا إنها ولدت بمدينة البندقية، وأن والدها كان تاجر قبعات

١ـ من بلاد مركز أجا الآن.

اسمه بارتولى، وأن والدتها كانت تسمى مرجريت، وأن اسمها هى جوليا، وأن العربان سبوها وهى خارجة من المنصورة، إذ أركبوها جوادا وانطلقوا يطوون بها الفداقد والسباسب حتى بلغوا بها فى المساء دارا كبيرة التقت فيها برجل يغطيه من الرأس إلى القدمين حرام أبيض، وأن هذا الرجل بذل لها من مظاهر العطف والميل ما لا يوصف، وأنه جردها من ثيابها الأوروبية ليلبسها بدلا منها ثوبا شرقيا فضفافا، ثم سلمها من الحلى والجواهر ما قيمته ستمائة كيس، أى ما يعدل مائة ألف فرانك تقريبا، وجعل فى خدمتها عددا كبيرا من العبيد والجوارى، وذلك الرجل هو الزعيم (أبو قورة) كان مشهوداً بالشوكة والجاه الطويل، ولكن هذا الالتفات وهذا العطف كانا يضجرانها، فكانت لا تكف عن البكاء وتعرب بالقول والاشارة والصياح عن رغبتها فى العودة إلى ذويها، ومع هذا فلم ينقض أحد عشر شهراً حتى رزقت غلاما، فهدأ شعور الأمومة نحو وليدها ثائرة التذمر والاستياء ولطف من أسرها فى هذا المكان فلم يسعها إلا احتماله والرضاء به، ولما مات زوجها، وكانت توليه الحب الصادق وتعيش معه فى بحبوحة الهناء والنعيم، أكرهت على التزويج بأخيه فلم تجد منه ما كانت تلقاه فى أخيه المرحوم من حسن الرعاية وجميل العطف».

وذكر كلوت بك ما كان عليه (أبو قوره) من الجاه والثراء فقال إنه كان يقاوم سلطة المماليك مدة حكمهم وكانت له السيادة فى إقليم المنصورة وقتئذ وكان يملك أربعا وأربعين قرية وبضعة آلاف من الجمال وقطعانا لا عداد لها من الأغنام وأكثر من خمسمائة عبد وجارية من الارقاء.

وعن واقعة المنصورة ونتائجها:

أشعلت هذه الواقعة نار الثورة والهياج فى البلاد المجاورة، وكادت الثورة تستفحل ويتسع مداها، لولا وصول الجنرال دوجا Dugua الذى عينه نابليون قومندانًا لمديرية المنصورة.

وصل دوجا وجنوده جنوب المنصورة يومى ١٧ و ١٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ ، فعلم عند وصوله بما حل بجنود الحامية، وكان أهل المدينة يتوقعون انتقامًا شديداً، فكتب الأعيان رسالة إلى ديوان القاهرة يبرؤن من الاعتداء على الجنود وينسبون ذلك إلى الفلاحين والعرب الذى اقتحموا المدينة يوم الواقعة، وذهب قاضى المنصورة خصيصًا إلى القاهرة ليدافع عن مسلك سكان المدينة، وقد علم نابليون بنبأ الحادثة وجاءته رسالة أعيان المنصورة التى كتبوها إلى الديوان، فبعث إلى الجنرال دوجا يطلب منع عقاب أهالى المنصورة عقابًا شديداً، ويأمره أن يقتل تسعة أو عشرة من أعيانها .

وكان الجنرال دوجا معروفًا بين قواد نابليون بالحكمة والأناة وحسن السياسة، فاستعمل

الحكمة فى توقيع العقاب وإعادة النظام فى المدينة، وأراد أن يتحقق من المعتدين حتى لا يأخذ بريئًا بمذنب ، وقد تبين له من الفحص عن أمرهم أن معظم المعتدين من البلاد المجاورة ، وأن زعماء المحرضين على قتل الحامية قد غادروا المنصورة ومنهم رجلان كانت لهما شهرة فى تلك الجهات بالسطوة والجاه وشدة البأس، وهما الأمير مصطفى وعلى العديسى، فاكتفى الجنرال دوجا بالحكم على اثنين من أهالى المنصورة بالاعدام، لثبوت اشتراكهما فى القتل، وأنفذ الحكم فيهما وطافوا برأسيهما فى شوارع المدينة عبرة وإرهابًا، وأخذ الجنرال دوجا يتأهب لتعقب المعتدين فى بلاد البحر الصغير والقبض على الأمير مصطفى، وعلى العديسى، وتجريد حملة عسكرية لمعاقبة القرى التى اشتركت فى الاعتداء على الجنود.

وكان الذعر قد استولى على المنصورة وهاجر كثير من أهلها فراراً بأنفسهم من اتهامهم فى واقعة قتل الحامية، وتعطلت التجارة، وركدت أسواق المدينة ، فطلب الجنرال دوجا من نابليون أن يأذن له إذا لم يظفر بالمعتدين فى اعلان العفو، ليعود الأهالى إلى أعمالهم، بشرط أن لا يتناول العفو أهل القرى المجاورة الذين اشتركوا فى الواقعة، وكان غرض الجنرال دوجا أن يؤخر معاقبة سكان هذه القرى إلى أن تصل القوة الكافية، وينحسر الفيضان الذى كان يتلف الطرق، ويعطل المواصلات.

أقر نابليون الجنرال دوجا على خطته وأرسل له فى ٣١ أغسطس سنة ١٧٩٨ يأذنه أن يمنح المدينة العفو، وطلب إليه أن يستخدم ما يراه لإقرار الطمأنينة وإعادة الأعمال سيرتها الأولى، وكلفه فى الوقت نفسه أن يكتب إلى أعيان البلاد المجاورة التى اشترك أهلها فى قتل الحامية الفرنسية يطلب أن يسلموا المعتدين منهم وإلا استهدفوا لإحراق قراهم بالنار.

وطلب إليه إخضاع بلاد مديرية المنصورة وأخذ رهائن من كل قرية اشترك أهلها فى الاعتداء على الجنود ثم إحراق القرى التى يرى أنها كانت أبلغ فى الاعتداء، وأمر نابليون بفرض غرامة ثلاثة آلاف ريال على أعيان المنصورة عقابا لهم على سوء صنيعهم، وفرض ألفى ريال خاصة على السيد على الشناوى أحد أعيان المدينة، ثم ألفى ريال على القرى التى اعتدت على الجنود ».

وقد لقى الفرنسيون عناءً كبيراً فى اخضاع مديرية المنصورة، فقد اشتدت فيها المقاومة وامتنع كثير من البلاد عن دفع الضرائب، ويقول ريبو أن محصلى الأموال الأميرية كانوا إذا ذهبوا إلى القرى لجباية الضرائب أو مصادرة أملاك المماليك يقابلون بالرصاص رميًا، أو

بالعصى ضربًا، وفى بعض الأحيان كانوا يصحبون بعض الخفراء لحراستهم فلا يعصمهم ذلك من أن يلقوا مثل هذه المقابلة، وعطل الفيضان حركات نقل الجنود فى البر فساعد هذا العامل على فيضان روح الثورة فى القرى، واضطر الجنرال دوجا إلى تأخير ما عهد إليه من إخضاع ذلك الاقليم ومعاقبة القرى التى ثارت فى وجه الجيش أو التى اشتركت فى قتل الحامية الفرنسية بالمنصورة.

نص الوثيقة

أمـر

المعسكر العام بالقاهرة فى فركتيدور من السنة السادسة (٣١ أغسطس سنة ١٧٩٨).

بونابارت القائد العام يأمر بما هو آت

المادة الأولى : توقف الغرامات التى ضربت على بلاد مديرية المنصورة.

المادة الثانية: تدفع مدينة المنصورة غرامة قدرها ثلاث آلاف ريال تفرض على الأغنياء من أهلها عقابا لهم على سوء صنيعهم نحو جنودنا.

المادة الثالثة: يدفع السيد على الشناوى أحد أهالى المنصورة غرامة قدرها ٢٠٠٠ ريال، وفى مقابل ذلك يُعطى أمانا على نفسه وعلى أملاكه وأمواله.

المادة الرابعة : تفرض غرامة قدرها ٢٠٠٠ ريال على أسوأ البلاد سلوكا فى مديرية المنصورة.

المادة الخامسة : تفرض غرامة ٤٠٠٠ ريال بشكل سلفة على أغنياء التجار والأعيان فى المحلة الكبرى.

المادة السادسة: تدفع هذه المبالغ إلى أمين خزانة فرقة الجنرال دوجا وتكن تحت تصرف مدير مهمات الجيش وعليه أن يخصصها لبناد أفران الجيش وادارتها واستئجار المراكب والنفقات المطلوبة للفرقة .

المادة السابعة : على كبير المباشرين تنفيذ هذا الأمر

بونابارت

(٢١)

«فرمان السلطان العثمانى للكافة
لجهاد الفرنسيين»
٨ جمادى الأولى ١٢١٣هـ ـ ٨ أكتوبر ١٧٩٨

مقدمة

سليم الثالث هو السلطان الثامن والعشرون، ولد فى ٢٦ جمادى الأولى ١١٧٥هـ / ٢٤ كانون الأول ـ ديسمبر ١٧٦١، وتولى العرش فى ١٣٠٣هـ/ ٧ نيسان ـ ابريل ١٧٨٩ حتى ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧ فهو بذلك يكون قد جاء إلى الحكم بعد أن ظهر ضعف الدولة العثمانية أمام جارتها النامية روسيا، ذلك الضعف الذى تجلى فى معاهدة كوجك قينارجى ١٧٧٤. ويلاحظ أنه تولى الحكم فى نفس السنة التى وقعت فيها الثورة الفرنسية، وواجه التيارات الدولية العاصفة التى وقعت بعد هذه الثورة وبوجه خاص الحملة الفرنسية على مصر وفلسطين بقيادة نابليون بونابرت (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩).

وخلال الفترة الأولى من حكمه كان مشغولاً أكثر بحروبه ضد روسيا والنمسا، حتى عقد الصلح مع النمسا فى ٤ آب ـ أغسطس ١٧٩١ ومع روسيا فى ياسى فى ٩ كانون الثانى ـ يناير ١٧٩٢، واقتنع سليم الثالث خلال هذه الحروب الخاسرة أنه لا بد من إعادة القوة إلى الجيش العثمانى عن طريق استخدام الأساليب العسكرية الحديثة الأوربية إلا أنه فوجئ بمجئ الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت إلى مصر، وكان بونابرت قد وزع منشوراً على أهل البلاد المصرية أنه ما جاء إلا لينقذ المصريين من استبداد وظلم المماليك الخارجين عن طاعة السلطان العثمانى. ولكن هذا الأسلوب من الدعاية الساذجة لم يلق قبولاً من جانب الأهالى ولم تنطو الحيلة على السلطان العثمانى نفسه. وكان المصريون وكذلك العثمانيون يعتقدون أنهم على أبواب حرب صليبية جديدة، ولكن كان يتضح بسرعة أمام السلطان سليم الثالث أنه

لا يستطيع وحده بالقوة العثمانية أن يطرد الفرنسيين من مصر أو يصدهم عن فلسطين، ولهذا، بعد أن جاءته أنباء تدمير الإنجليز للأسطول الفرنسي في أبي قير (١٧٩٨)، دخل في حلف مع أعداء فرنسا وبوجه خاص بريطانيا وروسيا. وبعث السلطان سليم الثالث بفرماناته إلى كافة الحكام في الدولة العثمانية يدعوهم إلى الجهاد ضد الغزو الفرنسي.

وهذا الفرمان يتضمن رداً على مبادئ الثورة الفرنسية متهمًا الفرنسيين بأنهم دهريون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ويكذبون الكتب السماوية الثلاث، وأنهم يثيرون صراعًا طبقيًا بين العامة والطبقات الأخرى، وأنهم ينوون تدمير الكعبة المكرمة والقُدس الشريف.

نص الوثيقة

فرمان موجه إلى الكافة للجهاد ضد الفرنسيين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعل آله وصحبه اجمعين.

أمّا بعدُ يا جماعة الموحّدين وملّة المسلمين، اعلموا أن الطايفة الفرنساوية، جعل الله ديارهم دارسة، وأعلامهم ناكسة، لأنهم الكفرة الطغاه، والفجرة البغاه، لا يؤمنون بوحدانية ربّ السما والأرض، ولا برسالة الشفيع يوم العرض، بل تركوا الأديان كلها ، ونكروا الآخرة وشدتها ، ولا يعتقدون بيوم الحشر والنشر، ويزعمون أن لا يهلكنا إلا الدهر، وما هى إلا أرحام تدفع وأراضى تبلع وليس وراء ذلك نكث ولا حساب، ولا بحث ولا عقاب، ولا سوال ولا جواب، حتى أنهم نهبوا أموال كنايسهم وجملة صلبانهم، وغاروا على قسوسهم ورهبانهم، وزعموا أن الكتب التى جاءت به الانبيا، هى كفرُ صريح، وليس القرآن والتوراة والانجيل إلا زور وأقاويل، وللمعتبرين الانبياء كموسى وعيسى، ومحمد ، وغيرهم ، وليس هو صحيح، وما جاء على الدنيا نبى ولا رسول، بل هم مفترون على الحق جهول، والناس كلهم متساوين بالإنسانية ، متشاركين فى البشرية، ليس لأحد على أحد فضل ولا مزية ، وكل منهم فى ذاته يدبر نفسه وامر معاشه فى حياته. وعلى يهذا الاعتقاد الباطل، والرأى الهازل، بنوا قواعد جديدة، وقوانين أكيده، وثبتوا على ما وسوس لهم الشيطان، وهدموا قواعد الأديان، وحللوا لأنفسهم ساير المحرمات، وباحوا لأنفسهم ما تميل إليه الشهوات، وضللوا فى شقاقهم العوام، الذين هم كالهوام. وقد فتنوا بين الملل، وألقوا الفساد بين الملوك والدول، وبالكتب المزورة، والاباطيل المزخرفة، يخاطبون كل طايفة بقولهم : إننا منكم وعلى دينكم وملّتكم. ويوعدوهم بالمواعيد الباطلة، ويحذروهم بالتحذيرات الهايله، وقد انهمكوا بالفسق والفجور، وركبوا مطية الغدر والغرور، وخاضوا فى بحر الضلال والطغيان، واتحدوا تحت راية الشيطان ، فلا دين يجمعهم، ولا حاكم يرعاهم، وقد قهروا من لم يطيعهم ويتبعهم، فبقيت ساير طوايف الافرنج من جورهم فى هرجٍ ومرجٍ وهوجٍ وموجٍ، وهولاء يهرون كهرير الكلاب، وينهشون نهش الذياب. وقد جمعوا على تلك الطوايف الجماهير، قاصدين تخريب قواعد ديانتهم، ونهب نساهم وأموالهم، فجرى الدما بينهم كالماء، وقد نالت منهم الفرنساويه المراد، وحكموا بهم بالجور والفساد. ثم اتصل فسادهم وشرور قصدهم إلى الأمة المحمدية، والملة الاحمدية. وقد وقع بيدنا

بواسطة بعض جواسيسنا الكتب التى كتبها لهم مدّبر جمهورهم، وريّس عساكرهم بونابارته، فأسمعوا خرافاته وما يقولهُ الفساد المبين.

ننهى إليكم إن ركن العالم قوىٌ متين، ذو الصلابة فى الدّين فاذا وصلتم إلى اقطارهم، وملكتم ديارهم، ينبغى عليكم أن تعاملوهم بمقتضى حالهم، فالضعيفُ منهم بادروه بالحرب والقتل والنهب، والقوىُّ انصبوا له شراك الحيل والمكر، ولا غنياهم وكبارهم بعدم التعرض لدينهم وعرضهم وأموالهم، والقوا الفتن بهم، وسلطوا [الدنى بهم] على الشريف، والقوا الفساد والنفاق بالحيل والاتفاق، وعلى الخصوص خاقانات العجم بينهم وبين بنى عثمان، بأى وجه كان، ليقع النزاع والجدال، والشرور والقتال، وتخرج الناس من طاعة السلطان، والرعايا من أوامر الحكام، فيخرب بذلك نظامهم، وينقطع انتظامهم، فيتشتت شملهم وتفقد خزاينهم وأموالهم، وحينئذ تملكون قيادهم. ولأجل أخلالهم ينبغى أن تعينوا الضعفا منهم على الأقويا، لأنه إذا تضمحل حال الأقويا باعانة الضعفا، هانت عليكم إبادتهم، لكون بين الفرنساويه والإسلام اختلاف تام، وبمقتضى صلابة دينهم لا يمكنهم موافقتنا قطعًا، وبغير رفع الأديان جميعًا لا يجوز لنا الأركان إليهم والاعتماد عليهم. وبعد أن نظفر بهم بسبب الحيل التى تقدمت، فنهدم كعبتهم، وبيت مقدسهم وجميع مجامعهم ومساجدهم، ونقتلهم تمام، سوى [النسا والفتيان والصبيان]، وهكذا تُمحى قواعد الإسلام وتندرس رسوم آثارهم من وجه الأرض قاطبة عربًا وعجمًا غربًا وشرقًا. انتهت عبارتهم

فعلى الله تعالى دايرة السو عليهم، فلا يستطيعون داراً ونصراً. فهذا قصد الفرنساويه من إلحادهم ومكرهم، وشرهم وكفرهم. فكيف لا يكون فرضًا على كل واحد من المسلمين ابداء المروة . فيا غزاة الموحدين، ويا أبطال الحرب والضرب، ورجال الغزو والنهب. ويا أركان الشريعة المحمدية، وقواعد الملة الحنفيّة، بل يا كل المسلمين المؤمنين بالله ورسوله، اقرنوا القوة مع الهمة المحمدية، لحرب هذه الملة الفرنساوية ، لأن فى زعمهم أن زمرة الموحدين، كالكفرة الذين حاربوهم ، وحولوهم إلى اعتقادهم، ولم يعلموا الملاعين أن دين الإسلام مغروسُ فى قلبنا، والإيمان ممزوجٌ بدمنا. أكفرانُ بعد إيمان ، وضلالٌ بعد هذيان. كلاً وربّ السما والأرض، ربنا لا يفتر فى قلوبنا بعد أن اهتدينا، وكما قال الله تعالى فى كتابه المبين: لا يخدم المؤمن الكافرين، أو ليامن دون المؤمنين. وكونوا على حذر من كيدهم وتزويراتهم، ولا تخافون تهديدهم لأن الأسد لا يبالى بجميع الثعالب، ولا الباز بساير الاغارب. وكونوا على قلب واحد

بعضكم مع بعض، كما قال الصادق المؤمن إلى المؤمن كالبنيان يشد بعضهُ بعضا. وتغايروا فى الحب والاشفاق، وارفعوا من بينكم الاشرار، وأهل النميمة والنفاق أين ما كنتم ونحو ما وُجدتم قريبا أو بعيداً. قفوا كلكم سوية بالإسلام، وحققوا أن الطايفة الفرنساوية بقوة المال، يفسدون من دينهُ ضعيف وعقلهُ خفيف والمجبول على النفاق، ويعلموا مثل هولاء الحِيَل والفساد، ليلقوها بين العباد. فعليكم أن تباشروا رفعهم وطردهم. وكونوا متفقين على تقوية الدين المبين، وعلى حَذَرٍ من الكافرين، لأن كل مفسد بين الانام هو من الكفرة الليام. ولتكن سيوفكم بارقه، وسهامكم راشقة، ونبالكم فى ابدانهم متسابقة، والفرسان فى حومة الميدان تجول، لأن عون الله معكم، وعينهُ ناظرة إليكم، وأنتم بنظر الله العلى محفوظين، وبروحه تهدمون الجميع مجندلين، ونحن فى طرق السنيَّة، أشهرنا الأوامر العليَّه، فى جميع العساكر والاجناد على ساير البلاد، بحول الله وقوته، وعظم قدرته، فعن قريب تجتمع عساكر وافره، وجنودُ متكاثره، وسفنُ كالجبال تمشى بقدرة الملك المتعال ذو الجلال، ومدافع كالرعد القاصف، والبرق الخاطف، وشجعان لا يبالون بالموت حبًّا فى دين الله. فلعلَّ تعالى يأمر فى ديارهم ويجعلها كالهبا، كأنها لم تكن بقدره الحى القيوم، وقد خاب من حَمَل ظلمًا، وقطع دابر القوم والسلام.

(٢٢)
قولنامة الإمام مسقط بشأن التعاهد
مع شركة الهند الشرقية البريطانية
ضد المخططات الفرنسية
البونابرتية
غرة جمادى الأولى ١٢١٣
١٢ أكتوبر ١٧٩٨

اتسع نطاق الصراعات الدولية فى اعقاب الثورة الفرنسية ١٧٩٨ من المجال الأوربى ومحاولة إجتياز المانش إلى إنجلترا بقيادة نابوليون بونابرت، إلى صراع فى حوض البحر المتوسط إى الليڤانت ثم إلى حوض البحر الأحمر والخليج العربى والمحيط الهندى بين سواحل افريقية الشرقية وسواحل الهند الغربية باستيلاء الإنجليز على الكاب ـ رأس الرجاء الصالح ـ ونزول الحملة الفرنسية إلى مصر.

وتحركت السلطات الحاكمة فى الهند البريطانية لاتخاذ التدابير اللازمة الدبلوماسية والسياسية والعسكرية لمواجهة مضاعفات الوجود الفرنسى فى مصر وتطلعات نابوليون بونابرت لإقامة إمبراطورية فرنسية فيما يمكن أن تصل إليه قدراته.

وكان التحرك الإنجليزى سريعا لاحتواء الخطر الفرنسى المهدد للهند ليس من حيث السرعة التى عاد بها أمير البحر المتوسط نلسون إلى أبو قير ليدمر الأسطول الفرنسى هناك، ولكن كذلك فى إرسال عيون لهم لمراقبة التطورات فى المنطقة على نحو ما فعلوه فى العراق من حيث تعيين هارفارد جونز مقيما فى بغداد. وفى منع المسئولين فى مختلف الدول والمشيخات العربية فى شبه الجزيرة العربية من التعامل مع الفرنسيين. و من هذا القبيل المحادثات التى دارت بين مندوب شركة الهند الشرقية البريطانية وإمام مسقط حتى أصدر الإمام «قولنامه» بمعنى تصريح رسمى يعطى للإمام حق الوقوف على الحياد بين الطرفين المتقاتلين الفرنسى والإنجليزى إلا إذا دار القتال بينهما فى داخل المياه الوطنية العمانية فيكون له حق مؤازرة الجانب الإنجليزى.

وهذه «القولنامه» فيها ميل إلى الجانب الإنجليزى. فقد منحت الإنجليز حق إقامة (مقر) ووكالة تجارية تصبح (قلعة) مزودة بالرجال والمدفعية ، دون الفرنسيين، طالما كانت الحرب قائمة بين الطرفين الإنجليزى والفرنسى. وإلى جانب ذلك التزم إمام مسقط / عمان بعدم السماح للسفن الفرنسية من الدخول إلى الموانئ العمانية إلا إذا كانت خالية من السفن الإنجليزية.

فكيف نفسر هذا الميل العمانى نحو الإنجليز؟ إننا نطرح الأسباب التالية لتفسير ذلك:

١ـ خلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر كانت الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية تتقلص بسرعة وتتدهور أمام غريمتها إنجلترا فى مياه المحيط الهندى وفى الهند نفسها. وبرزت هذه الحقيقة خلال حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣) وفى معاهدة باريس ١٧٦٣ حتى إذا ما جاء العقد الأخير من القرن الثامن عشر كانت فرنسا قد خسرت معظم مستعمراتها الشرقية ولم يتبق لها سوى بعض المعاقل المتناثرة فى الجزء الجنوبى من المحيط الهندى. ومن ثم كان التفاهم العمانى الإنجليزى أكثر فائدة للإمام من استمرارية التعاون مع الفرنسيين.

٢ـ كانت القوة الضاربة البحرية الإنجليزية ملموسة فى منطقة الخليج، فقد كانت قطع من أسطول شركة الهند الشرقية تبحر ذهابا وإيابا فى مياه الخليج، وتشارك فى الأحداث من وقت لآخر على نحو ما حدث من دور للسفن الحربية الإنجليزية فى الدفاع عن البصرة ضد الغزو الفارسى لها فى ١٧٧٥ ، وقيام قطع حربية إنجليزية بالاشتباك مع أساطيل عربية محلية على نحو ما حدث بين السفن الإنجليزية وسفن (كعب) فى الخليج.

٣ـ كانت هناك أرضية مشتركة تجمع بين الطرفين الإنجليزى والعمانى، فقد كان كل منهما يعانى من هجمات السفن التابعة لمشيخة رأس الخيمة وغيرها من المشيخات الساحلية ذات النشاط البحرى الذى عرف عند الإنجليز بأنه مجرد (قرصنه)، واصطلح الإسلاميون على أنه نوع من (الجهاد).

٤ـ كانت عمان حينذاك صاحبة أكبر أسطول شرقى فى المياه الإسلامية الجنوبية. وكانت الأساطيل العمانية تعمل بن ساحل الهند الغربى (ساحل مليار) وساحل شرق افريقية الذى كان قد أسس فيه العمانيون لأنفسهم إمبراطورية صغيرة ولكن ذات أهمية كبيرة من حيث المتاجرة فى صادرات ومنتجات افريقية وما كان أكثرها واغزرها. ومن ثم كان من مصلحة إمام عمان أن لا يصطدم مع الإنجليز على اعتبار أنهم أصبحوا فى الهند أصحاب اليد العليا وأنهم متفوقون تفوقا حاسما فى المحيط الهندى وخطوطه المحيطية .

ومن هذا كله يتبين لنا أن الإمام البوسعيدى مال إلى الجانب الإنجليزى. ولكن اثبتت الأيام التالية إن الإمام كان لا يرغب فى أن يكون لا للإنجليز، ولا للفرنسيين، ولا لغيرهم تفوقا عليه ما أمكنه ذلك. ولهذا نجد عمان لا تقطع صلاتها مع الفرنسيين وإنما ابقت على نوع من العلاقات مع فرنسا اثارت فيما بعد مخاوف الإنجليز.

وإذا ما قفزنا إلى النتائج، فاننا نجد أن الفرنسيين اثبتوا فعلا أنهم اعجز من أن يتخذوا سياسة قوية مقبولة نحو الشرق الإسلامى، ومن ناحية أخرى اثبت الإنجليز أنهم يتعاملون بقوة مع دول وشعوب المنطقة العربية خاصة من حيث ابعادها عن التعاون مع أعداء إنجلترا بغض النظر عما إذا كان ذلك لمصلحة ومستقبل العرب أو ضد مصلحتهم. فالهدف الأعلى هو تنمية الامبراطورية الاستعمارية البريطانية.

نص الوثيقة

معاهدة أبرمت بين شركة الهند الشرقية الموقرة وسمو إمام مسقط بتاريخ ١٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٧٩٨.

عقد اتفاق من دولة عمان (مسقط) ، موضع الأمان، برضى الإمام الرئيس السيد سلطان (دامت رفعته) إلى الشركة الإنجليزية السامية القوية (دامت عظمتها) كما هو مضمن فى المواد التالية:

المادة (١) : منذ توسط نواب ائتمان الدولة ميرزا مهدى على خان بهادر هوشمند جنك لن يكون أى انحراف عن هذه «القول نامه»

المادة (٢) منذ أن سمعت ألفاظ النواب المذكور مال قلبى إلى زيادة الصداقة مع تلك الدولة ومنذ هذا اليوم فصاعدا فان صديق ذلك السركار[١] هو صديق هذا وأن صديق هذا السركار هو صديق ذاك، وأيضا فإن عدو هذا هو عدو ذاك.

المادة (٣) : حيث أن عروضا متعددة تقدم بها ولم يزل يتقدم بها الفرنسون والهولنديون من أجل وكالة أو أى موقع ينزلون فيه، إما فى مسقط وإما فى فى بندر عباس أو فى موانئ أخرى من هذا السركار، فانه لذلك قد كتبنا أنه ما دامت الحرب مستمرة بين الشركة الإنجليزية وبينهم فلن يعطى لهم ـ احتراما لصداقة الشركة ـ فى جميع بلادى مكان ينزلون فيه، بل ولن يحصلوا على موطئ قدم يقفون عليه فى داخل هذه الدولة.

١ـ مصطلح فارسى بمعنى رئيس الدولة أحيانًا.

المادة (٤): وحيث أن هناك شخصا فرنسيا كان لعدة سنوات فى خدمتى وقد ذهب الآن فى قيادة احدى سفنى إلى موريشاس[1]، فاننى فور عودته سأطرده من خدمتى وأبعده من البلاد.

المادة (٥): وإذا حدث أن سفينة فرنسية دخلت ميناء مسقط فانه لن يسمح لها أن تدخل الخليج الذى يسمح للسفن الانجليزية بدخوله وإنما تبقى خارج الخليج. وإذا حدث أن ثارت المنازعات هنا بين السفن الفرنسية والانجليزية، فان جيش هذه الحكومة وأسطولها وشعبها سيشترك فى الحرب إلى جانب الانجليز، أما فى البحار البعيدة فلا أتدخل.

المادة (٦) : وإذا حدث أن أصيبت سفينة، أو سفن تابعة للإنجليز بعطب فمن المؤكد أن هذه الدولة ستقدم المساعدة والراحة، ولن تحجز شيئا من البضائع.

المادة (٧) :

وفى ميناء بندر عباس (جمبرون) حين يميل الإنجليز إلى إقامة وكالة تجارية ويتخذونها قلعة، فليس لى اعتراض على تحصينها ورفع المدافع عليها مهما شاءوا أن يكون عددها، وأن يكون عدد من يقطنها من ٤٠ ـ ٥٠ إنجليزيا ومعهم ٧٠٠ ـ ٨٠٠ سباهية[2]، ولسائرهم تكون نسبة الضرائب فى البيع والشراء على نفس الأسس المعمول بها فى البصرة وبوشهر.

التاريخ غرة جمادى الأولى ١٢١٣هـ

أو ١٢ أكتوبر (تشرين أول) ١٧٩٨م

(ختم سمو أمام مسقط).

---

١ ـ جزيرة تحت السيطرة الفرنسية فى المحيط الهندى غرب افريقية.

٢ ـ قوة محلية فى الهند تعمل فى خدمة المستعمرين الإنجليز.

(٢٣)

ثورة القاهرة الأولى وبيانا الديوان إلى الشعب المصرى للخلود إلى السكينة

١٤ جمادى الأولى ١٢١٣هـ ـ ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨
٨ جمادى الثانية ١٢١٣ ـ ١٧ نوفمبر ١٧٩٨

مقـدمة

غطت ثورة القاهرة الأولى كثيراً على المقاومة المصرية التى انتشرت فى الدلتا الشرقية وصحرائها والبحيرة وصحرائها الغربية والصعيد. وما ذلك إلا لأن العاصمة تستأثر بالمفكرين أكثر من غيرها. فضلاً عن استحواذها على المؤرخين وغيرهم ممن يتركون لنا المادة العلمية عن مثل هذه الأحداث، فالجبرتى مثلاً يكتب تاريخ الحملة الفرنسية من (القاهرة).

أسباب الثورة تكاد تكون معروفة الآن سواء من حيث العوامل الدينية (رفض المسلم لاستعمار أو سيطرة مسيحى عليه) أو عوامل اجتماعية (أختلاف تقاليد المجتمع الفرنسى عن المجتمع المصرى) أو عوامل سياسية (تعلق المصريين بنظرية الخلافة العثمانية) أو عوامل اقتصادية (وضع الفرنسيين قدرات مصر الاقتصادية فى خدمة المصالح الفرنسية)، وكان بونابرت يعتقد أنه يستطيع أن يقنع المصريين بإقامة علاقات وطيدة فرنسية مصرية تؤدى إلى تحقيق الأهداف الفرنسية الاستعمارية فى نفس الوقت الذى يرتفع فيه المستوى الحضارى للمصريين. ولكن شيوع أنباء نكبة الاسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية واستعدادات السلطان العثمانى لتحرير مصر من الفرنسيين وتقاعس مشايخ مصر عن الاستمرار فى المقاومة وتوالى وصول أنباء حركات المقاومة فى الدلتا (دمياط ـ المنصورة ... إلخ) وفى الصعيد هيأ الأذهان فى القاهرة للثورة.

قامت الثورة بشكل مفاجئ فسقط المتجولون والمتسكعون من الجنود الفرنسيين فى مختلف أجزاء القاهرة قتلى، وسرعان ما تشكلت مجموعات قيادية لتنظيم مقاومة على هيئة حرب المدن، وهى قيادات تشكلت بسرعة دون سابق خبرة مثلهم فى ذلك مثل رجال القاهرة الذين تسلحوا واقاموا المتاريس وكونوا مجموعات قتالية تجمعهم فقط الأهداف المشتركة: قتال العدو المغتصب بعد أن بعدت المراحل بين المسئولين عن الدفاع عن مصر (المماليك والعثمانيين) عن مصر القاهرة.

استمرت الثورة ثلاثة أيام وانهالت قذائف المدفعية على المدينة بغض النظر عن مراكزها الحضارية (الأزهر الشريف) أو مبانيها أو المتاريس حتى اضطر المصريون إلى (طلب الأمان).

وعندما أقتفى الفرنسيون أثر قادة الثورة وجدوه شيخًا ضريراً (العميان) واتهموه بأنه هو الذى حرك رجال الدين الصغار والرأى العام القاهرى والشباب. فاعدمه الفرنسيون مع العديد من القيادات.

وأشار الجبرتى إلى (الجعيدية) و(حرافيش) الحسينية و المقصود بهؤلاء (العامة) الذين هم الأقدر على اشعال ثورة كهذه على نحو ما حدث للثورة الفرنسية. إلا أن (العامة) فى مصر كانت تعوزهم الطبقة الوسطى التى تستطيع أن تنقل مثل هذه الثورة إلى مرحلة أقوى تفرض بها رأى (العامة - الشعب) على المغتصب.

وقد حمّل البيان الأول للديوان «الجعيدية» والأوباش المسئولية وإثارة الفتنة، وحمّل البيان الثانى المماليك مسئولية الثورة كما حاول هذا البيان تحريك مشاعر الشعب لصالح الفرنسيين عن طريق إبراز العداء بين فرنسا وروسيا على إعتبار أن روسيا هى العدو التقليدى للدولة العثمانية التى أبرزها هذا البيان على إعتبار أن هناك صداقة تقليدية بينها وبين فرنسا.

ومن ثم يمكن القول أن الديوان الذى انشأه بونابرت من كبار مشايخ مصر وأعيانها كان مفيداً إلى حد كبير للاستعمار الفرنسى فى مصر. وإن كان هناك وجهة نظر أخرى تقول أن كبار المشايخ كانوا يعملون على عدم ترك الساحة أمام المستعمر الفرنسى وإن وجودهم فى الديوان كان يخدم كذلك مصالح الشعب المصرى.

نص الوثيقة

البيان الأول للديوان

«نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة، نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ونبرأ إلى الله من الساعين فى الأرض بالفساد، نعرف أهل مصر المحروسة أن طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية، بعد ما كانوا أصحابًا وأحبابًا بالسوية، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته، وارتفعت هذه البلية، لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين، ومحبة إلى الفقراء والمساكين، ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميع الأموال وقتلوا كامل أهل مصر، فعليكم أن لا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين، ولا تسمعوا كلام المنافقين، ولا تتبعوا الأشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرؤن العواقب لأجل أن تحفظوا أوطانكم وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم، فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ويحكم ما يريد، ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم والعباد والبلاد، ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم، وادفعوا الخراج الذى عليكم، والدين النصيحة والسلام».

كتب هذا البيان بتاريخ ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢١٣، وهذا يوافق ٢٤ أكتوبر سنة ١٧٩٨.

البيان الثانى

٨ جمادى الثانية ١٢١٣ ـ ١٧ نوفمبر ١٧٩٨

«نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة، نخبركم يا أهل المدائن والامصار من المؤمنين، ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين، إن إبراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات، وادعوا

أنها من حضرة مولانا السلطان، ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان، وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظًا شديداً من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ويتركوا عيالهم وأوطانهم، فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية، لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية، ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين، بأنها من حضرة سلطان السلاطين، لارسلها جهاراً مع أغوات (رؤساء جند) معينين، ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الأفرنجية دائمًا يحبون المسلمين وملتهم، ويبغضون المشركين وطبيعتهم، أحباب لمولانا السلطان قائمين بنصرته، وأصدقاء له، ملازمون لمودته، وعشرته ومعونته، يحبون من والاه، ويبغضون من عاداه، ولذلك بين الفرنساوية والمسكوف غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة المسكوف[1] القبيحة الرديئة، والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله تعالى ولا يبقون منهم بقية، فننصحكم أيها الأقاليم المصرية، انكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية، ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية، بشىء من أنواع الأذية، فيحصل لكم الضرر والهلاك، ولا تسمعوا كلام المفسدين، ولا تطيعوا أمر المسرفين، الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين، لتكونوا بأوطانكم سالمين، وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين، لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحداً فى دين الإسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام، ويرفع عن الرعية سائر المظالم، ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم، فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد ، وارجعوا إلى مالك الملك وخالق العباد ، فقد قال نبيه ورسوله الاكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم، عليه أفضل الصلاة والسلام.

١ـ أى روسيا .

(٢٤)

الدواوين فى عهد الحملة الفرنسية
بين الإلغاء والإعادة والتطوير

٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ ـ ١٦ رجب ١٢١٣

مقـدمة

إعادة الديوان العمومى:

رغم وقوع الثورة فى القاهرة، ورغم تعدد الثورات فى مختلف أجزاء مصر وعبر صحاريها ، لم يكن أمام بونابرت من خيار آخر غير بذل جهد مضاعف من أجل كسب الشعب أو على الأقل تحييده لمواجهة التطورات الكبرى المتوقعة، وعلى رأسها المواجهات العسكرية التى أصبحت مؤكدة ضد الدولة العثمانية وضد بريطانيا ومن تستطيع بريطانيا أن تكسبه إلى جانبها ضد فرنسا.

ومما لا شك فيه ، فانه فى مثل هذه الظروف تصبح (الصفوة) هى أهم الشرائح الاجتماعية قدرة على خلق هيكلية فكرية أكثر قدرة على العمل كوسيط بين سلطات الحكم الفرنسية الإستعمارية والشعب على إعتبار أن الطرفين (المستعمِرون والمستعمَرون) فى حاجة إى دور لمثل هذه الشريحة بينهما.

وكان (الديوان) هو الأكثر ملائمة كمكان وفلسفة تجتمع تحت سقفها نخبة من هذه الشريحة، ونعنى بذلك أعضاء الديوان من المصريين ومعهم قلة من الفرنسيين لتبادل وجهات النظر فى بعض شئون البلاد الهامة.

كان بونابرت ـ وهو يعد الحملة الفرنسية على مصر ـ يجهز لإبتكار نظام حكم لمصر تحت حكمه (المطلق) وتحت التوجيه الفرنسى الحاسم تشارك فيه الشريحة العُليا (المصرية) فى

توجيه أمور البلاد بالنظر فيما يُعرض على الديوان من موضوعات. كما أقام فى كل مديرية ديوان. و كانت المسئوليات الرئيسية للديوان هى :ـ

(١) تعيين المسئولين عن الإدارة المحلية والأمن والتموين والإنضباط فى الأسواق والمدينة.

(٢) النظر فيما يتعلق بتظلمات الأهالى وشئونهم.

ولذلك شُكّل الديوان فى أعقاب فتح القاهرة من تسعة أعضاء وسكرتير كلهم من المصريين. وتوقف عن العمل بسبب ثورة القاهرة الأولى، ومن بعد اخمادها أعاد بونابرت نظام الديوان ولكن بشكل مغاير فشكّل الديوان العام للقاهرة وهو قريب الشبه جداً من الديوان السابق للقاهرة، والديوان المخصوص وكان مختلطًا به مصريون وأجانب ويضم الغالبية العظمى من الشرائح الفكرية والإدارية والمهنية. ويتبادل شئون الرعية المصرية.

ونلاحظ على منشور إعادة الديوان أن بونابرت أغرق فى القول بإضفاء «الإسلامية» على كيانه من حيث:

١ـ أن الله قدّر أن يكون هلاك أعداء المسلمين على يديه أى يدىّ بونابرت وكذلك فى تكسير الصلبان.

٢ـ أنه على فراسة فذة تجعله يعرف ما فى السرائر.

ولعل بونابرت أصغى إلى ما كان يتردد من أن المصريين ـ والشرقيين بصفة عامة ـ يميلون إلى الغيبيات والكرامات والقدرات الفذة لذوى السلطان.

لقد قامت الدواوين بأدوارٍ هامة أولها ما أنطوت عليه من مفهوم الإدارة المتطورة، وثانيهما المشاركة المصرية، وهى الأكبر أهمية على إعتبار أن هذا التطوير لمفهوم الديوان ـ الذى كان موجوداً فى العهد العثمانى ـ يُعتبر نقلة إدارية حضارية عالية المستوى لم تستطع القيادات التى تولت مصر بعد الحملة الفرنسية أن تنطلق ديمقراطيًا منها.

نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم. من أمير الجيوش الفرنساوية خطابًا إلى كافة أهالى مصر الخاص والعام، نعلمكم أن بعض الناس الضآلين العقول الخالين من المعرفة وادراك العواقب سابقا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة، والبارى سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد، فامتثلت أمره وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم، ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد وصلاح أحوالكم من مدة شهرين، والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب الديوان كما كان لا بد حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت سابقًا، أيها العلماء والأشراف اعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى ويخاصمنى إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره، فلا يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه منى فى هذا العالم، ولا ينجو من يدى الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وارادته وقضائه، ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة، واعلموا أيضا أمتكم أن الله قدر فى الأزل هلاك أعداء الإسلام وتكسير الصلبان على يدى، وقدر فى الأزل إنى أجئ من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها واجراء الأمر الذى أمرت به، ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه، واعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشار فى آيات أخرى إلى أمور تقع فى المستقبل، وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا يتخلف، إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات فى آذانكم فلترجع أمتكم جميعا إلى صفاء النية واخلاص الطوية. فان منهم من يمتنع عن الغى وإظهار عداوتى خوفا من سلاحى وشدة سطوتى، ولم يعلموا أن الله مطلع على السرائر يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، والذى يفعل ذلك يكون معارضا لأحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب، واعلموا أيضا أنى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منكم لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه وإن كنت لا اتكلم ولا انطق بالذى عنده ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهى لا يرد، وأن اجتهاد الإنسان غاية جهده ما يمنعه عن قضاء الله الذى قدره وأجراه على يدى، فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم مع صفاء النية واخلاص السريرة والسلام [١]».

١ـ نشر يوم ١٦ رجب سنة ١٢١٣.

نص الوثيقة

منشور الديوان الخصوصى إلى الشعب

لمناسبة إعادة الديوان

الحمد لله وحده، هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام، من محفل الديوان الخصوصى من عقلاء الانام علماء الإسلام والوجاقات والتجار الفخام، نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة سارى عسكر الكبير بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية، بسبب ما حصل من اراذل أهل البلد والجعيدية، من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية، وعفا عفوا شاملا، وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قائد اغا بالأزبكية، ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان، وذلك لأجل قضاء حوائج الرعايا وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام، وتنظيمها على أكمل نظام وأحكام، كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره، ومزيد حبه لمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره، رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم، وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهرى وقتل منهم اثنين بقراميدان، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام، لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس ، خصوصا مع النساء الارامل فإن ذلك قبيح عندهم لا يفعله إلا كل خسيس، ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس، لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على الناس، ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق، فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم، واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم، وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة، رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم، ومن كانت له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم إلا من كان له دعوى شرعية فليتوجه إلى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية، بخط السكرية، والسلام على أفضل الرسل على الدوام»

(٢٥)
وثيقة مالية مصرية
عن السنة المالية
ربيع أول ١٢١٣ إلى ربيع أول ١٢١٤
١٧٩٨/ ١٧٩٩

مقدمة

كان اعداد الأوراق المالية المتعلقة بالتجارة والجمارك وعائدات الإلتزامات والنفقات يتم على يد عدد محدود من الكتبة تدربوا أبنا عن أب على تسجيل مثل هذه الوثائق، مستخدمين كتابة لا يقرأها إلا متمرس على خط (القرمه) أو خط (سياقت) وبدار الوثائق القومية بالقاهرة كميات هائلة من الدفاتر والمحافظ التى جمعت بين دفتيها مثل هذه الوثائق، ولم يقبل الباحثون على دراستها بشكل واسع إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين، فاسهم ذلك فى أحداث تطوير فى الانتاج المصرى فى مجالات التاريخ، وأصبح علم التاريخ الاقتصادى والتاريخ الاجتماعى من المجالات التى اقبل عليها الباحثون حينذاك، فقدموا رؤية جديدة لتطور تاريخ مصر بصفة عامة.

ونقدم فيما يلى نموذجا من هذه الوثائق المالية التى كتبت فى السنة الأولى من الوجود الاستعمارى الفرنسى فى مصر.

دفتر

مبارك انشا الله ... ديوان ... سكندريه ... الديوان ... سنة ١٢١٣ ...

شهر

ربيع اول سنة ١٢١٣

ايراد المامات ...

١٢١٣

١٢١٥ ... ٦٠ ... ٣٦٠ ... ٤٢٠ ... ٦٠ ... ١٨٠ ... ٦٩٠ ...

٦٤٥ ... ١٢٠ ... ٩٩٠

١٦٣٥

يوم الثلاث المبارك ٩

... ١٢٠ ... ٦٠ ... ٣٦٠ ... ٣١٥ ... ٦٦٠ ... ٦٠ ... ٧٢٠

٥٧٠ ... ١٢

... ٢٠ ... ٦٠ ... ١٤٤٠

٢٧٥ ... ٦٠

... ٦٠ ... ٤٠ ... ٩٠ ... ٦٠ ... ٥٨٨

٦٧٥

... ٦٠ ... ٦٠ ... ٦٧ ... ٤٥٠

٥١٧

... ٩٠ ... ٢٥ ... ٢٠ ... ٦٠

١٠٤٢ ... ٢٧ ... ٥٥٦٢

يوم الجمع المبارك ١٢

... ٢٧٣١٥

٢٠٥

٣١٩٥ ... ٢٢١٢٠

١٥١٢٠

٢٠٩٩٣ ... ٤٩١ ... ٩

٦١٣٦ ... ١٩٨٥٧

١٥٥

١٣٥٥

٧٩٦٠٢ ... ٥

١١٧٣٠

٦٧٨٨٢

شهر

جمادى الاول سنة ١٢١٣

ايراد المامات ...

١٢١٣

... ٦٣٥ ... ٢٢٥ ... ١٥ ... ٦١٢ ... ٥٤٠

٥٨٠ ... ٩

٣٣ ... ٦٦٠

٦٧٧ ... ٦١ ... ١٢٥٧

يوم الثلاث المبارك ٥

... ٦٢٠ ... ٢٩ ... ٢٩٠ ... ٢٢٥

٥١٥ ... ٣٩ ... ١٦٢٥

(٢٦)

التحالف البريطانى العثمانى ضد فرنسا
لطرد الحملة الفرنسية من مصر وهزيمة فرنسا
٢٨ رجب ١٢١٣
٥ يناير ١٧٩٩

مقــدمة

كانت بريطانيا هى الدولة الكبرى الوحيدة التى ظلت فى حالة حرب ضد فرنسا الثورة ومن يتبعها، واقتفى نلسون ـ قائد الأسطو البريطانى فى البحر المتوسط ـ أثر أسطول الحملة الفرنسية حتى دمره ـ بعد شهر من نزولها أرض مصر ـ فى موقعة أبى قير البحرية الأمر الذى هيأ المناخ لتكوين تحالف دولى جديد ضد فرنسا ضم الدولة العثمانية ـ صاحبة السيادة على مصر ـ وروسيا. وتحركت شركة الهند الشرقية البريطانية ـ صاحبة اليد العليا فى أجزاء واسعة جدا من الهند ـ لحصار الحملة فى البحر الأحمر تمهيدا لطردها.

وتقدم لنا هذه الوثيقة نموذجا لكتابات القرن الثامن عشر التى كانت لا تزال تستخدم الحروف اللاتينية أحيانا بأشكال غير التى تعودنا عليها مثلا كان حرف S يكتب على هذا الشكل وفى ذلك القرن كان حرف V يكتب أحيانا U . فقد كتب لفظ ماجستى (الجلالة) Majesty فى المادة الأولى من هذه المعاهدة على هذا النحو Mayefty وأحيانا يكتب على هذا النحو Mayesty وقس على هذا لفظ Juft (Just) و Ruffia أى Russia.

DEFENSIVE ALLIANCE: GREAT BRITAIN AND THE OTTOMAN EMPIRE

5 January 1799

ART. I. His Britannic Majefty, connected already with his Majefty (Majesty) the Emperor of Ruffia (Russia) by the Ties of the ftricteht strictist Alliance, accedes, by the prefent Treaty, to the Defenfive (Defensive) Alliance which has juft been concluded between his Majefty the Ottoman Emperor and the Emperor of Ruffia, as far as the Supulations thereof are applicable to the local Circumftances of his Empire, and of that of the Sublime Porte: And his Majefty the Ottoman Emperor enters reciprocallty by this Treaty into the fame Engagements towards His Britannic Majefty, of that there fhall exift for ever between the three Empires, by virture of the prefent Defenfive.Treaty, and of the Alliances and Treaties which already fubfift Peace good Underftanding and perfect Friendfhip, as well by Sea as land, so that for the future the Friends of One of the Parties fhall be the Friends of the Two others; and the Enemies of One fhall, in like Manner be confidered as fuch by the others. On this Account the Two High Contracting Parties promife and engage to come to a frank and mutual Underftanding in all Affairs in which their reciprocal Safety and Tranquillity.

II. In order to give to this Alliance a full and entire Effect, the Two High Contracting Parties mutually guarantee to each other their Poffeffions; His Britannic Majefty guarantees all the Poffeffions of the Ottoman Empire, without Exception, fuch as they ftood immediately before the Invafion of the French in Egypt: And his Majefty the Ottoman Emperor guarantees all the Poffeffions of Great Britain, without any Exception whatever.

III. Notwithftanding the Two Contracting Parties referve to themfelves the full Right of entering into Negociation with other Powers, and to conclude with them whatever Treaties their Interefts may require, yet they mutually bind themfelves in the ftrongeft Manner, that fuch Treaties shall not contain any Condition which can ever produce the leaft Detriment, Injury, or

Prejudice, to either of them, or affect the Integrity of their Dominions; on the contrary, the promife to regard and preferve, to their utmnoft, their reciprocal Honour, Safety, and Advantage.

IV. In every Cafe (case) of an hoftile Attack upon the Dominions of One of the Contracting Parties, the Succours which the other is to furnifh fhall be regulated by the Principles of good Faith, and in Conformity with the clofe Friendfhip fubfifting (subsisting) between the Two Empires, according to the Nature of the Cafe.

V. Whenever the Two Contracting Parties make common Caufe either with all their Forces, or with the Succours furnifhed by virue of this Alliance, neither Party fhall make either Peace, or a durable Truce, without comprifing the other in it, and without ftipulating for its Safety; and in Cafe of an Attack againft One of the Two Parties in hatred of the Stipulations of this Treaty, or of thier faithful Execution, the other Party fhall come to its Affiftance (assistance) in the Manner the moft ufeful and the moft comformable to the common Intereft, according to the Exigency of the Cafe.

VI. The Two High Contracting Parties have agreed and refolved, that when their Fleets, Squadrons, Ships, and other Veffels (Vessels) of War, fhall meet, they fhall falute each other, Attention being paid on both Sides, in order to begin the Salute, to the Superiority of Rank of the Commanders, manifefted by the Flag of Command; and in cafe of an Equality of Rank, no Salute fhall be made. The Salute fhall be anfwered by the fame number of Guns as were fired by the Party firft faluting . Boats fhall be reciprocally fent upon thefe Occafions for the Purpofe of concerting the Mode of Salute, in order to avoid all Mifunderftanding.

VII. The Trophies, and all the Plunder taken from the Enemy, fhall be the property of the Troops making fuch Capture.

VIII. The Two High Contracting Parties being actually engaged in War with the common Enemy, have agreed to make common Caufe, and not to conclude any Peace or Truce but by common Confent as it has been ftipulated in the Fifth Article; fo (so) that on the one Side the Sublime Porte, not-

withftanding the Ceffation cessation of the Actual Attack directed againft her Dominions, fhall be bound to continue the War, and to remain attached to the Caufe of her Auguft Allies, until the Conclufion of a Peace juft and honourable, as well for them as for herfelf; and on the other Side, His Britannice Majefty fhall be equally bound not to make Peace with the common Enemy without providing for the interefts, the Honour, and the Safety of the Ottoman Empire.

IX . The Two Allies, making thus common Caufe, promife to communicate to each othe their Intentions relative to the Duration of the War, and to the Conditions of Peace, govering themfelves by juft and equitable Principles, and having an Underflanding with each other in this refpect.

X. In order to render more efficacious the Succour to be furnifhed on both Sides during the War, according to the Spirit of the prefent Treaty of Alliance, the Two High Contracting Parues will concert together upon the Operations moft fuitable to be made in order to render abortive the pernicious Defigns of the Enemy in general and efpecially in Egypt, and to deftroy their Commerce in the Seas of the Levant, and in the Mediterranean; and for this Purpofe his Majefty the Ottoman Emperor engages not only to fhut all his Ports, without Exception, againft the Commerce of the but Bleurse to employ against them in his Dominions (and in order to prevent the Execution of their ambitious Projects) an Army, confifting (consisting) at leaft of 100,000 Men, and even to augment it, in cafe of Need, to the Extent of his whole Forces: He fhall alfo put his Naval Forces in a State of Preparation to act in concert with thofe of His Britannic Majefty, on His Part, reciprocally engages Himfelf to employ in the fame Seas a Naval Force always equal to that of the Enemy, to annoy them; and to act in concert with the Flees of His Allies, in order to impede the Execution of their Plans, and efpecially to prevent any Attack upon the Dominions or Provinces of the Ottoman Empire.

XI. In as much as the prefence of the Britrifh Forces in the Seas of the Levant has for its principal Object the Defence of the Ottoman Coafts, and

that Defertion, by weakening the Means muft unavoidabley hurt the Caufe, the Two High Contracting powers promife not to tolerate it under any Pretext or Motive.

XII. Notwithftanding the Two High Contracting Parties defire to maintain thefe Engagements in Force as long as poffible, neverthelefs as Circumftances might in Time require fome Change, it is agreed to fix the Term of Eight Years for this Definitive Treaty of Defenfive Alliance, to be computed from the Day of the Ratifications being exchanged. At the Expiration of thish Term the Two Parties fhall enter into amicable Explanations for the Renewal of it, conforming themfelves to the then Situation of Affairs.

XIII. The prefent Treaty of Defenfive Alliance fhall be ratified by His Majefty the King of Great Britain, and his Majefty the Emperor of the Ottomans; and the Ratifications fhall be exchanged at Conftantinople in Three Months, or Sooner, if poffible.

(٣٧)

مخططات بونابرت

نحو مسقط والهند

رسالتا بونابرت إلى إمام مسقط وحاكم ميسور

٢٥ يناير ١٧٩٩

١٨ شعبان ١٢١٣

مقـدمة

كانت عمان فى عهد اليعاربة تموج بالمشكلات الداخلية على نحو ما كان يجرى فى أى بلد تسود فيه القبلية. فكل تركيب قبلى كان يجاوره أو يقابله تركيب قبلى مناهض له. ولن نخوض فى تفاصيل هذه الصراعات ولكن يجب الإشارة إلى ذلك على اعتبار أن ذلك جزء من الخريطة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التى ترتبط بأحداث وتطورات الصراع الإنجليزى ـ الفرنسى الذى كانت الهند ومصر والجزيرة العربية جزء هام جدا منه.

وقد غطى حكم سلطان البوسعيدى (ولد ١٧٥٥) الفترة الدقيقة التى نزلت فيها الحملة الفرنسية أرض مصر حتى خروجها منها. وكان سلطان حاكما طموحا. وهو طموح هيأ له التفوق الواضح العمانى فى الخليج العربى وفى شرق افريقية وفى سواحل وموانئ الهند. إذ كانت دائرة عمان/ مسقط تغطى هذه المنطقة الواسعة، سواء من حيث بناء إمبراطورية توسعية فى الخليج العربى وشرق افريقية أو من حيث نشاط تجارى متفوق مع موانئ الهند.

وحينئذاك كانت شركة الهند الشرقية البريطانية توسع من تسلطاتها فى الهند على حساب الحكام الهنود المحليين الهندوس والمسلمين وعلى حساب الاستعمار الفرنسى الذى كان ينقرض هنا خلال حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٤٣) وأصبحت هذه الشركة هى المسئولة ـ إلى حد كبير جدا ـ عن تجارة الهند مع ما هو وراءها. وخلال القرن الثامن عشر نمت بوضوح العلاقات الاقتصادية بين الهند البريطانية من جهة وفارس وشبه الجزيرة العربية وما هو وراء ذلك.

ومع أن سفنا تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية كانت تتعرض لهجمات المجهادين /

القراصنة فى الخليج العربى ـ على سبيل المثال ـ فان هذه الشركة كانت لا تعطى اهتماما كبيرا لمثل هذه الاحداث. كذلك لم تعن هذه الشركة بالنشاط العمانى واسع النطاق فى الخليج وفى شرق افريقية ولا على محاولات مسقط السيطرة على الساحل الشرقى للخليج بما فيه من موانئ هامة فارسية على رأسها بندر عباس.

ولم تعن الشركة بمحاولات مسقط السيطرة على عتوب البحرين الذين كانوا يقاومون ذلك بشدة حتى لو أدى ذلك ـ فى بعض الأحيان ـ إلى إعلان الولاء للشاه كذلك لم تعن الشركة كثيرا بفرض اليد العليا المسقطية حتى على البصرة التابعة لبغداد وكان العراق حينذاك تحت السيادة العثمانية.

حقيقة لم تستطع مسقط السيطرة على البحرين، وان تستأجر فقط بندر عباس فضلا عن وأنها كانت تتعرض لضغط عسكرى وايديولوجى رهيب من جانب آل سعود[١]. إلا أن مسقط كانت ذات ثقل كبير لاتساع نفوذها ولمجالات نشاطها، ولأنها كانت تملك أكبر أسطول إسلامى فى المياه الإسلامية الجنوبية وكانت صاحبة أول مفهوم لإمبراطورية عربية إسلامية تمتد من عمان حتى شرق أفريقية.

وفوق هذا وذاك كانت مسقط فى نظر بونابرت ـ وهو يعد للحملة الفرنسية على مصر ـ نقطة وسطا بين مصر الفرنسية والهند البريطانية وكانا معا (مصر والهند) أهدافا رئيسية بل جوهرية فى مشروع بونابرت نحو تقويض الإمبراطورية الإنجليزية وقيام إمبراطورية فرنسية.

وخلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر كانت العلاقات بين البوسعيد وفرنسا طيبة رغم أن تلك الفترة كانت تشهد تدهور الفرنسيين أمام الإنجليز فى الهند وما هو وراءها. وقد كان لدى سلطان مسقط فرنسيون يعملون على السفن العمانية وفى بلاط السلطان البوسعيدى. ويبدو أن ذلك كان مزعجا للمسئولين الإنجليز سواء فى الحكومة المركزية فى لندن أو فى فورت وليام عاصمة الهند البريطانية . وبعد نزول الحملة الفرنسية إلى أرض تأكد الإنجليز أن بونابرت يعمل على تنفيذ مخطط واسع النطاق ضد الإنجليز فى الشرق الأقصى، وأن مسقط واسطة العقد بين مصر الفرنسية والهند البريطانية وكانت الأخيرة تزخر بثروات فضلا عن عناصر وطنية مقاتلة للإنجليز ومتعاونة مع الفرنسيين وعلى رأسها تيبو على حاكم ميسور.

١ـ كان آل سعود يعملون على تقويض (الأباضية) فى عمان لصالح الحركة الإصلاحية على الطريقة السلفية .

نص الوثيقة

القاهرة فى ٢٥ يناير ١٧٩٩

أكتب إليكم هذا الخطاب لأحيطم علما بوصول الجيش الفرنسى إلى مصر، وحيث أنكم كنتم دائما أصدقاء، فيجب أن تكونوا على قناعة كاملة برغبتنا فى حماية كل السفن التجارية التى قد ترسلها إلى السويس.

ولإننى لأرجو منكم أن تتكرموا بإرسال الخطاب المرفق إلى تيبو صاحب فى أول فرصة تسنح.

بونابرت

نص الوثيقة

القاهرة فى ٢٥ يناير ١٧٩٩

إلى تيبو صاحب

لقد احطتم علمًا من قبل بأمر وصولى إلى شواطئ البحر الأحمر على رأس جيش كثيف وافر العدة لا يقهر، مدفوعا برغبتى فى تخليصكم من السيطرة الحديدية الإنجليزية.

وأننى ابادر باحاطتكم برغبتى فى أن أتلقى أنباء تتعلق بأحوالكم السياسية فى الوقت الراهن. كما أود أن تبعثوا إلىّ ببعض من رجالكم للتفاهم معهم.

بونابرت

(٢٨)

تعهـد

من يوسف باشا القرمانلى

إلى

فرنسا

١٩ رمضان ١٢١٣

٢٥ فبراير ١٧٩٩

تحت إلحاح متوالٍ من السلطان، العثمانى لشن حرب جهاد ضد الوجود الإستعمارى الفرنسى فى مصر، قام يوسف باشا باجراءات ضد القنصلية والقنصل الفرنسى فى طرابلس، ثم رجع عن تلك الإجراءات وأعتذر للقنصل الفرنسى ـ بعد سفر مبعوث السلطان ـ وكان ذلك فى رسالة ـ إلى القنصل ـ مفادها.

١ـ استمرار العلاقات الودية وأن موانئ طرابلس مفتوحة أمام السفن الفرنسية.

٢ـ أن هذا السلم لا يتأثر بالنزاع الدائر بين فرنسا والسلطان والوضع الدولى.

٣ـ تأكيد يوسف باشا على أن أوامر السلطان واجبة الطاعة دون تنفيذها إلا مظهريًا ..

ويرجع ظور يوسف باشا بمظهرين مختلفين (تجاه السلطان) و(تجاه القنصل الفرنسى) إلى:

أن يوسف القرمانلى على رأسٍ أسرة حاكمة لديها أولويات غير تلك التى لدى الحكومة المركزية العثمانية ، أى لها سياسة قطرية تقوم على أن مصالح الولاية فى المقدمة تليها مصلحة الدولة العامة، وكان موقف القرمانلى المزدوج ، هو للتوفيق بين مصالح الولاية القطرية وإرضاء السلطان، وهذا كله راجع إلى ضعف الحكم المباشر العثمانى لصالح حكم العصبيات.

نص الوثيقة

إننا نعلن بموجب كتابنا هذا ـ الذى سلمناه إلى صديقنا بوسيه [1] قنصل الجمهورية الفرنسية ـ أن السلم القائم منذ أمد طويل بيننا وبين فرنسا ، مازال سارى المفعول، ولا تشوبه منغصات النزاع، وإننا وإن كنا قد بدونا بمظهر هذا الذى خرق السلم عند مجئ مندوب الباب العالى إلى طرابلس، إلا أنه ما بدر منا ذلك إلا لأن هذا المبعوث كان يحمل إلينا أوامر من السلطان الأعظم الذى يلزمنا الواجب بطاعته، وإننا لنتعهد[2] فى الوقت الراهن بأن جميع السفن الفرنسية التى ستصل إلى مراسينا لن تكون عرضة للاحتجاز، وبأنه سيكون فى وسعها الدخول إلى هذا المرسى ومغادرته بكل أمان، وذلك لأننا لا نرغب فى تعكير صفو الصداقة الوطيدة التى تربطنا بالجمهورية الفرنسية.

حرر فى طرابلس المحروسة فى ١٩ رمضان سنة ١٢١٣

العبد الفقير إلى ربه تعالى

يوسف باشا القرمانلى حفظه الله[3]

١ـ Boussier

٢ ـ لفرنسا

٣ ـ نشر المؤرخ الفرنسى شارل رو هذه الوثيقة مترجما إياها من العربية إى الفرنسية فى كتابه Autour d'une Route ثم ترجمها موافى فى كتابه «يوسف القرمانلى والحملة الفرنسية على مصر ص ٢٦١.

(٢٩)
رسالة سيدنى سميث إلى الأمير بشير الشهابى الثانى محذراً من التعاون مع الفرنسيين حاثًا على التحالف مع حلفاء السلطان العثمانى
١٤ إبريل ١٧٩٩ ـ ١١ ذو القعدة ١٢١٤

مقـدمة

سير سيدنى سميث هو قائد قيادة أسطول بريطانيا فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط، ومن ثمَّ يكون قد تولى هذه المهمة بعد أن قضى نلسون على القوة الضاربة البحرية الفرنسية فى حوض البحر المتوسط (موقعة أبى قير البحرية أغسطس ١٧٩٨). وألقيت على كاهل سيدنى سميث مسئولية مواجهة مختلف أوجه النشاط الفرنسية المعادية للإنجليز، فكان أن تولى مسئولية الدفاع عن (عكا) ضد مخططات بونابرت للإستيلاء على الشام وما يمكن الوصول إليه إذا ما أحرز إنتصاراً هناك.

وكانت أسرة سيدنى سميث من بين الأسرات الإنجليزية العاملة فيما وراء البحار فى الشرق الأوسط وفى الشرق الأقصى. وكان على خبرة واسعة بأحوال المنطقة وعلى مقدرة فى توظيف ما يكون فى متناول يدها من أدوات لهزيمة الفرنسيين.

وقد إشتدت معنويات رجال الأسطول البريطانى تحت قيادة سيدنى سميث بعدأن وقعت السفن الفرنسية المحملة بالمدفعية لدعم الحصار على عكا فى يده.

وكانت هذه المعنويات الإنجليزية العالية جداً خلال ذلك الصراع نظراً لأن تفوقهم فى البحر المتوسط كان حاسمًا، فضلاً عن وجود مخزون مادى وبشرى برى وبحرى فى الهند يستطيع أن يقلب الموازين لصالح الإنجليز فى أى وقت.وفوق هذا كان لدى سيدنى سميث متطوعين فرنسيين ملكيين يخدمون فى الأسطول البريطانى ضد إخوانهم الجمهوريين.

وعند سيدنى سميث كان ما هو وراء خطوط القتال أمام عكا لا يقل أهمية عن الصراع حولها، فقد كان الجيش العثمانى فى مواجهات شبه مستمرة مع القوات الفرنسية فى فلسطين وكان من الضرورات الإستراتيجية كسب أكبر عدد ممكن من الحكام فى الشام قبل أن يكسبهم

بونابرت. ومن أهم من كان يراهن عليه الطرفان: بشير الشهابى الثانى أمير الجبل (لبنان). وكان بشير الشهابى يدرك حقيقة حاجة كل الأطراف إليه. وفضل سيدنى سميث أن يمالئ الجميع وأن يكسب إلى جانبه بشير الشهابى على أن يظل تحت حظيرة السلطان العثمانى حليف القيصرية الروسية والملكية البريطانية. والخطاب موجه كذلك إلى:

١ـ الشيخ بشير جنبلاط الذى كان حينذاك شيخ الدروز وأقوى زعامة عصبية فى الجبل.

٢ـ وإلى مشايخ الجبل. فقد كانت الأسرات الإقطاعية هناك عديدة ومتقاتلة ومنقسمة إلى حزبين متعارضين: الجنبلاطية واليزبكية.

٣ـ وإلى النصارى ، وغالبا ما كان يُقصد بالذات (الموارنة) الذين نمت أعدادهم وقدراتهم منذ القرن السادس عشر، على إعتبار أن الصراع بين الإنجليز والفرنسيون وإنما هو صراع بين المؤمنين بالمسيحية ضد من أهان البابا رأس الكاثوليك كلهم، وكانت البابوية على علاقة متنامية القوة بالموارنة وكنيستهم خاصة منذ القرن السادس عشر.

وقد أثار سيدنى سميث حفيظة أهل الشام ضد الثورة الفرنسية ولما أدت إليه من إسالة دماء غزيرة على كافة المستويات خاصة خلال ما عرف بعهد الإرهاب. وقد وجد سيدنى سميث فى الأمير بشير الشهابى الثانى زعامة يمكن أن تفيد المصالح الإنجليزية.

ويبدو أن سيدنى سميث كان ضعيفا فى تاريخ الشام/ لبنان حيث وجه نداءه التالى إلى أمراء جبل بيت معن وهو البيت الذى انتهى حكمه منذ السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر.

كما نلاحظ أن سيدنى سميث بالغ مبالغة ممجوجة حين وصف نفسه بأنه سارى عسكر (قائد عام) الجيوش الإسلامية البرية والبحرية.

نص الوثيقة

من الوزير الأعظم دستور مكرم جناب مهاب سميث بك الجى[1] عالى شان سلطان البحر عند ملك الإنجليز والدولة العلية شريف الأصل رافع أعلام الصليب العظيم فى رتبة الملوكية العسكرية بالسيف سارى عسكر الإنجليز قبطان باشى وسارى عسكر الإسلام براً وبحراً.

خطاب إلى جناب حضرة الأمير بشير الشهابى وإلى جميع الأمرا فى جبل بيت معن وإلى الشيخ بشير جنبلاط وجميع المشايخ والحكام الدروز والنصارى فى ذلك الجبل الأعزاز المكرمين.

بعد السلام التام والاعزاز والاكرام والسوال عن خاطركم العزيز نعلمكم بخصوص اوادمكم يوسف رزق ونيقولا بن الخياط الذين اتمسكوا فى بيروت كانوا آخذين حمل جمل عرق إلى الفرنساوية وجابوهم إلى عكا ونحن كنا عند الجزار وبلغوهم أنهم متعاملين مع الفرنساوية الذين هم أعداءنا فلما راينا أنهم قادمين على الجرم والقصاص العظيم خلصناهم من يد الجزار لأن المذكور فى هذا الوقت ما يخالف شورنا، واعتقهم اكرامًا لخاطرنا ونحن فعلنا هذا شفقة عليهم لوجه الرحمة الموجودة فى الشريعتين. فلا جل ذلك خلصنا هولاى المساكين من الشنق وهم واصلين إليكم ونعرفكم جميعًا لكى تأخذوا لكم نصيحة من خطابنا بطريقة المحبة. ويقتضى بأن تفهموا بأن ابونابارته (٢) لما نظر أنه متضايق فى مصر اعتمد يدخل بلاد سوريا حيث ظنه أن أهالى هذه الأماكن قابلين المكر والخداع ويسكن عندهم باوفر سهولة لأن مع العرب كان يدعى ذاته مسلم ويدعى أنه هدم الكنايس وكسر الصلبان وضرب كرسى البابا الحبر الأعظم، فليس هو عجب إذا تكلم بالخلاف مع أهالى الجبل. فاذا وجد شىء موافق معه يحصل عليه وعندما يحصل على تلك الدرجة الذى يرغبها تنتزع عنه الحنية. ودايما يوعد وما يفعل شىء، ونحن ـ الحمد لله تعالى ـ ما نغير كلامنا مع أحد لأننا شرفا الأصل ونصارى بالإيمان وسلوكنا مع الجميع موافق ونحن نعادى الظالم ونعين المظلوم ونغفر لمن يتنهض إلينا لأن ما أحد احتمل مثلنا لما كننا مسجونين سنتين فى حبس لويس السادس عشر ملك فرنسا، وهناك اختبرنا ضعفه والحمد لله حصلنا على غايتنا وبونابارته له خمسة وتلاتين يوم خارج عكا وهو

١ـ أى سفير وهى كلمة تركية.

٢ـ يقصد بونابرت.

فى حال العدم ونحن نحاربه مع عسكر الملك المتفق معنا، وأخذنا مراكبه الحاملة الذخيرة والاطواب[١] وبارود وقنابر [٢] ولا يخفاكم أيضًا أن المسكوب [٣] والعسملى [٤] متحدين معنا ونحن ننصحكم أن لا تقارشوا [٥] الفرنساوية أصلاً حتى لا تكونوا مذمومين عند الملوك ولا تركنوا إلى تلك الجماعة الذين افترسوا بعضهم بعضًا فى بلادهم [٦] وفى مصر أيضًا[٧] ولا تظنوا أنهم يغيروا سيرتهم عندكم أيها الأحبة. اذكروا حنيّة أبوكم السلطان سليم[٨] والتجئوا إلى شفاعة الإنجليز ونحن بمزيد حبنا وصداقتنا لكم نرغب نطول الشرح معكم فان شيتم ترسلوا لنا رسولا نعمل معه أكرامًا ونبلغه كل شيء بالصدق ويكون خيراً لجميعكم.

كتب فى مركب الباليك [٩] المنصور الكبير فى ١٤ نيسان ١٧٩٩

الموافق إلى سنة ١٢١٣

سندى سميث بك

١- أى المدافع .
٢- أى قنابل.
٣- أى الروس.
٤- أى العثملى أى العثمانيين.
٥- تتعاونوا مع الفرنسايين.
٦- يقصد حوادث الصراع الدموى الذى صاحب الثورة الفرنسية منذ نشوبها حتى قيام حكومة الإدارة فى باريس
٧- وقعت بعض الأزمات بين ضباط الحملة الفرنسية فى مصر بسبب النتائج السلبية غير المتوقعة التى واجهت آمال تلك الحملة الإستعمارية.
٨- يقصد السلطان سليم الثالث ١٧٨٩ - ١٨٠٧.
٩- السفينة الحربية.

(٣٠)
«منشور بونابرت بشأن إنتخاب قاضى قضاة مصر من بين المصريين »
٢٧ يونيو ١٧٩٩ ـ ٢١ شعبان ١٢١٣
٩ مسيدور السنة السابعة (سنة ٧)

مقـدمة

يتحدث الأوربيون بصفة عامة والفرنسيون بصفة خاصة عن سياسة بونابرت الإسلامية فى مصر، ونشير هنا قضية هذا المصطلح (السياسة الإسلامية للمستعمر) أيًا كان هذا المستعمر حيث أن هذا المصطلح كان يُعبر عن سياسات فرنسية وألمانية وإنجليزية وغيرها.

وبادئ ذى بدء. لا يمكن أن تكون هناك سياسة إسلامية لحكومة تتبنى نظرية إستعمارية حتى ولو كانت تعمل على تسهيل عمليات الحج للمسلمين على نحو ما كانت تفعله حكومة الهند البريطانية الإستعمارية نحو نقل ورعاية وراحة الحجاج المسلمين من الهند. فاقتران الإسلام مع سياسة إستعمارية أمر مرفوض.

والنقطة الثانية هى أن المسلمين حين يقبلون دوراً حضاريًا تقوم به دولة إستعمارية مسيحية أو غير إسلامية فذلك يولد لدى الطرفين نوعًا من المرض النفسى يمكن أن نُعبر عنه بالرفض السيكلوجى لمقومات الآخر الحضارية، بصفة مطلقة أو جزئية "Ambevilence" ، أى أنه راغب فى وعن شىء واحد.

لقد إتجه بونابرت إلى الإفادة من الفكر الإسلامى فى تطويع المصريين للأهداف الفرنسية، وجزء من هذه السياسة يتطلب رفع يد الدولة العثمانية عن مصر، بأى صورة حتى ولو أدى الأمر إلى القول أن مصر (مستقلة) عن الدولة العثمانية حتى ترفع عن مصر أى سيادة تمهيداً لتحويلها إلى (مستعمرة) على نحو ما حدث للجزائر بعد ذلك بحوالى ثلاثين عامًا، وعلى نحو ما فعله الإنجليز فى أكثر من بلد كانت تدعى الحكومة العثمانية سيادتها عليه.

ومن أجل رفع يد العثمانيين عن مصر، تبنى بونابرت سياسة (قُطرية) أى أن تكون إدارة

مصر مصرية (وطنية) وليست تحت (خلافة) أو (جامعة إسلامية). ومن ثمّ تكون دعوة بونابرت إلى مشاركة المصريين فى إدارة أمور البلاد، وإزالة مظاهر الوجود العثمانى فى مصر (مثل قاضى القضاة العثمانى) جزء من هذه السياسة .

وكان العلماء والمشايخ المصريون يُدركون حقيقة هذا الإتجاه. ويرون فيه مضيعة للإسلام والمسلمين وليس لمصر فقط. ومن ثمّ فان ما يُقدم عليه بونابرت فى هذا الصدد (مثل إحلال مصرى محل التركى العثمانى فى منصب قاضى قضاة مصر) هو من هذا القبيل. وبونابرت وهو يحاول أن يحقق هذا الهدف بإلغاء الوجود التركى العثمانى فى منصب قاضى القضاة وتمصيره يستند إلى مفاهيم إسلامية وإلى تراث إسلامى بينما هو فى قرارة نفسه (علمانى) يقوم بتلك الإجراءات من منطلقات سياسية إستعمارية لا شأن للفكر الدينى بها إلا من حيث أنه أداة لتحقيق الأهداف الإستعمارية الفرنسية.

ولذلك حاول بونابرت أن يثير مشاعر المصريين من زاوية حقهم (الوطنى) فى أن يشغل أحدهم هذا المنصب (قاضى قضاة مصر)، وهو منصب رفيع جداً قد لا يسبقه سوى (الوالى/الحاكم العثمانى فقط.

لقد كان ذلك ـ فى نظر بونابرت ـ إغراء كبير يمكن أن يلقى قبولاً من جانب علماء ومشايخ مصر. ولكن ما تصوره بونابرت كان بعيداً عن الحقيقة إذ أن العلماء والمشايخ كانوا يرون فى إحداث تغيير جوهرى على هذا النحو إستغلالاً لظروف غير مناسبة على الإطلاق من حيث أن مصر تحت إحتلال إستعمارى والأمل كان لايزال قائما فى إنقاذ الدولة العثمانية لمصر من الفرنسيين. ولكنهم ـ أى العلماء ـ لا يستطيعون الجهر بذلك وإلا وقع صدام بينهم وبين جيش بونابرت وهو ما كانوا يتجنبوه، فى نفس الوقت عملوا على إبقاء مظاهر التبعية المصرية للدولة العثمانية قائمة وعملوا على ألا يسهموا فى تغييرات قد تبدوا لصالح المصريين وهى فى مخبرها تسخير مصر للفرنسيين.

حقيقة هناك سوابق عن توريث المكانة العلمية ولكن فى هذه الحالة بالذات كان الهدف هو عدم إعطاء الفرصة لبونابرت لتمصير المنصب، ولذلك أسندوه إلى صبى هو ابن قاضى القضاة العثمانى السابق وهو بطبيعة عمره لا يفقه ما هو (القضاء) وليس لديه مقومات القاضى ناهيك عن قاضى القضاة.

ونرى أن العلماء والمشايخ كانوا يهدفون إلى إستمرارية المنصب (شاغراً) ولو بطريقة (جزئية) باسناد المنصب إلى مَنْ لا يستحقه (صبى) ويكونون فى نفس الوقت قد تجنبوا

الصدام مع السلطات الإستعمارية الفرنسية حتى إذا ما أقدم هو ـ أى بونابرت ـ على (فرض) التغيير فيصبح لهم عذرهم بأنهم ما قبلوا الوضع الجديد إلا تحت حد سيف المغتصب، وقبلوه مرغمين إلى حين.

ولقد كانت الفجوة متباعدة جداً بين الطرفين الفرنسى والمصرى، فالفرنسى متعجب كيف لا يتفهم المصرى العريق الإجراءات نحو (مصر للمصريين) ونحو (الوطنية/ القومية) المصرية ، والمصريون يتعجبون كيف لا يتفهم الفرنسيون نظرية الخلافة والسيادة الإسلامية والأخوة الإسلامية الرافضة رفضا باتا لأى شكل من أشكال التسلط والاستعمار.

وقبل المصريون، ما فرضه بونابرت، من حيث إجراء إنتخاب قاضى القضاة من بين المصريين وهو الشيخ العريشى.

أما لماذا إعتقل بونابرت (الصبى) الذى وضعه المصريون فى منصب قاضى القضاة بعد وفاته، فإننا نعتقد أن بونابرت كان يتوقع أزمة كبيرة ، الأمر الذى يجعلنا نعتقد أن المصريين لم يتقبلوا هذا التغيير إلا تحت تهديد بونابرت.

على أننا يجب أن نشير إلى أن إتجاهات بونابرت لإقامة دواوين ليشارك بها المصريون فى توجيه أمور البلاد، وإسناد منصب قاضى القضاة إلى مصرى هو جزء من سياسة (تمصير) المؤسسات ، وإعداد مصر لتكون ذات كيان مصرى (وطنى/ قومى) وهو إتجاه كانت تسير فيه مصر منذ على بك الكبير وأخذ يتحقق إبتداءً من حكم محمد على باشا وصولاً إلى مصر المستقلة إستقلالاً منقوصاً بعد ثورة ١٩١٩ وإستقلالاً كاملاً بعد ثورة ١٩٥٢.

نص الوثيقة

منشور نابليون إلى أعضاء الديوان

عن انتخاب قاضى قضاة مصر

«المعسكر العام بالقاهرة فى ٩ مسيدور من السنة السابعة (٢٧ يونيه سنة ١٧٩٩)

«تلقيت رسالتكم صباح اليوم، واخبركم إنى لم اعزل القاضى، بل القاضى نفسه هو الذى نقض عهده بعد أن أوليته المعروف والإحسان ونسى واجباته فانفصل عن شعبه وغادر مصر ذاهبا إلى الشام، وقد رضيت أن ينيب عنه ابنه ليقوم مقامه مؤقتًا أثناء مهمته التى كان عليه أن يقوم بها فى الشام، لكنى ما قبلت قط أن يتولى هذا الشاب منصب القاضى على الدوام لصغر سنه وعدم كفايته، وعلى ذلك صار منصب قاضى القضاة شاغرا، فماذا كان ينبغى على عمله اتباعا لتعاليم القرآن الصحيحة؟ رأيت من الواجب أن أعهد إلى جمعية العلماء اختيار القاضى، وهذا ما قمت به، والآن وقد نال الشيخ العريشى ثقتكم فان مقصدى أن تتم توليته، ويتقلد منصب القضاء، وليس ذلك بدعا فان الخلفاء الراشدين كانوا يتولون الخلافة بانتخاب جمعية المؤمنين عملا بتعاليم القرآن.

«واخبركم أننى عندما جاء ابن القاضى للقائى قد تلقيته بالرعاية والاكرام، ولا أبغى أن يناله أذى ما، وإذا كنت قد أمرت باعتقاله بالقلعة - حيث يلقى بها من حسن الوفادة والاكرام مثلما يجد فى بيته، فانى لم افعل ذلك إلا محافظة على الأمن ومنعا للفتنة، وفى عزمى بعد تنصيب القاضى الجديد وتوليه أعباء عمله أن اطلق سراح ابن القاضى السابق وأرد له أمواله واسهل له ولعائلته الذهاب أنى شاءوا لأنى قد جعلت هذا الشاب فى أمانى وحمايتى الخاصة وأنا على يقين أن اباه الذى عرفت صفاته وفضائله لم يفعل فعلته إلا مسوقا بعامل التضليل والغواية.

«وعليكم يا أعضاء الديوان أن تهدوا الناس الحسنى القصد إلى الصواب، وأن تعرفوا أهل

١- نص المنشور كما عربه عبد الرحمن الرافعى عن الأصل الفرنسى الوارد فى مراسلات نابليون الجزء الخامس وثيقة رقم ٤٢٢٤.

مصر كافة أن قد آن الوقت لانتهاء حكم العثمانيين، فان حكومتهم أشد قسوة من حكومة المماليك، وهل يوجد إنسان يعتقد أن علماء مصر المولودين بها ليس فيهم من تؤهله كفايته وفضائله إلى الاضطلاع بمنصب قاضى القضاة!

«أما الذين تسوء مقاصدهم وتحدثهم أهواؤهم بالخروج على إرادتى فعليكم أن تعرفونى عنهم لاتتص منهم فان الله قد وهبنى القوة على معاقبتهم ويجب أن يعرفوا أن يدى قوية ليس بها ضعف ولا وهن.

« ومرادى أن يجد الديوان ويجد الشعب المصرى فى خطتى هذه دليلا قايما على ما يكنه فؤادى من عواطف الخير وتمنيات السعادة والرخاء لهم ، وإذا كان النيل هو أكبر أنهار الشرق فجدير بالشعب المصرى أن يكون تحت حكمى أسعد الشعوب وأعظمها.

«بونابرت»

(٣١)
تعليمات بونابرت لخليفته كليبر
٢٨ يناير ١٨٠٠
١٨ رمضان ١٢١٤

مقدمة

راهن نابوليون برنابرت على مستقبل الحملة الفرنسية على ورقة واحدة : الورقة العثمانية. فاتجه إلى أن يكسب السلطان وبابه العالى إلى جانبه مع الاستمرارية فى احتلال مصر، أو أن يوجه ضربة اجهاض للجيش العثمانى فى سوريا قبل أن يدخل العثمانيون مصر، ثم يفرض من بعد شروطه على السلطان وأهمها اخراج الدولة العثمانية من التحالف الدولى الثانى المشكل ضد فرنسا مع الحفاظ بمصر مستعمرة فرنسية خالصة. ولكن طاشت كل توقعاته أمام عكا التى كان يعتقد أن فتحها سيؤدى به يوما ما إلى طرق أبواب الأستانة/ القسطنطينية بل والتمهيد لطرق أبواب الهند عبر العراق العثمانى ومسقط البوسعيد وميسور مملكة تيبو فى الهند.

حقيقة قد يتفوق عامل البسالة، التى ابدتها حامية عكا فى رد مختلف المحاولات الهجومية الشرسة التى نظمها بونابرت على مختلف العوامل الأخرى التى اسهمت فى أول هزيمة تنزل بواحد من أعظم قواد العصر. ولكن هناك عدة عوامل أخرى يمكن أن نطرحها على النحو التالى اسهمت فى رفعه الحصار عن عكا وعودته مكسورا إلى مصر :

١- طول خطوط المواصلات البرية بين مصر وفلسطين وعبورها مناطق قاحلة على طول الطريق الصحراوى والساحلى (السلطانى).

٢- سيطرة الأسطول الإنجليزى على شواطئ الليفانت حتى لقد استولى على المدفعية المرسله من مصر إلى الفرنسيين حول عكا.

٣- آثرت العصبيات المحلية الحاكمة، وعلى رأسها آل شهاب بأن تقف على الحياد من الصراع بين الجيش الفرنسى والجيش العثمانى فى الشام الجنوبى، الأمر الذى أعطى للقوات العثمانية مجالات أوسع للمناورة واعادة تشكيل القوات التى تتعرض للهزيمة على نحو ما

حدث بعد انزال نابليون بونابرت الهزيمة بالجيش العثمانى عند (تل طابور) . فضلا عن أن العصبيات المتنفذه التى اعلنت ميلها وتعاونها مع بونابرت ـ مثل عباس بن ظاهر العمر[١]، ومثل بعض مشايخ الشيعة (المتاولة) ـ كانت محدودة القدرات.

٤ـ يعتبر انتشار الطاعون عاملا رئيسيا من العوامل التى اقنعت بونابرت بالتخلى عن مشروعه الكبير والرحيل عن عكا إلى مصر التى تعرضت لحملة عثمانية كبيرة نزلت عند أبى قير إلا أن بونابرت انزل بها هزيمة حاسمة اعادت ما تبقى منها من حيث اتت. إلا أن هذا النصر ما كان ليغير من النتيجة التى توصل إليها بونابرت وهى أن مصير الحملة الفرنسية أصبح فى مهب الرياح العاتية المتوقعة من الجانبين العثمانى والإنجليزى ، الأمر الذى أدى إلى أن يقرر بونابرت الرحيل إلى فرنسا ليعيد النظر فى المسألة جذريا: أما رحيل الحملة عن مصر أو دعمها من أجل الحفاظ على مصر مستعمرة فرنسية إلى أقصى مدة ممكنة.

رتب نابوليون بونابرت أمر مغادرته مصر، ومعه عدد من خلصائه ـ سرا مسندا القيادة العامة من بعده للجنرال كليبير تاركا له رسالة عبر فيها بونابرت عن أسباب مغادرة مصر، وطرح فيها تصوراته لما يجب أن يقوم به خليفته كليبير خاصة من حيث بذل أقصى الجهود من أجل الحفاظ على مصر مستعمرة فرنسية . فقد كان بونابرت يعتقد أن بعودته إلى فرنسا يستطيع أن يمسك بزمام الأمور السياسية والعسكرية وأن يهزم أعداء فرنسا فى مختلف الجبهات الأمر الذى يمكنه من تجهيز قطع بحرية تعمل فى البحر المتوسط على دعم الوجود العسكرى للحملة الفرنسية فى مصر بتعويضها عما خسرته من عدة وعتاد وبشر.

ولقد كان اختيار بونابرت لكليبير اختيارا موفقا، لأنه كان من أكثر الجنرالات كفاءة لمواجهة مثل تلك الأزمة الطاحنة التى كانت تواجه الفرنسيين فى مصر.

وقد حدد بونابرت لكليبير الخطط والخطط البديلة لمواجهة المتغيرات التى قد تطرأ، ومن أهم ما أوصى به بونابرت هو أن الأمل لا ينقطع عن التوصل إلى التفاهم مع السلطان العثمانى وأن يكون الجلاء عن مصر هو آخر شيء يضطر إلى اتخاذه وذلك تجنبا لحلول دولة

١ـ هو ابن ظاهر العمر الذى سيطر فى الثلث الثانى من القرن الثامن عشر على فلسطين وعلى أجزاء من سوريا الجنوبية وشارك على بك الكبير فى رفع يد الدولة العثمانية على سوريا ومصر، ولكن قضى على بك اولا ثم من بعده على ظاهر العمر، ولعل تلك الأزمة كانت السبب الرئيسى فى أن ينحرف عباس نحو بونابرت ليتعاون معه.

أوربية معادية لفرنسا محلها فى مصر، وهو الأمر الذى كان بونابرت يعتبره نكبة ما بعدها نكبة بالنسبة لفرنسا.

أما بالنسبة للأوضاع الداخلية، فقد كشفت هذه الوثيقة عن عدم ارتياحه إلى احتكار الكتبة الاقباط للمسئوليات الادارية خاصة المالية منها، وحث بونابرت خليفته كليبير على أن يعمل ـ ولكن بحذر وبحكمة ـ على القضاء على احتكارية الأقباط للشئون المالية، وأن لا يفسح الطريق ـ وهو يحقق ذلك ـ أمام وقوع فتنة طائفية فى البلاد. والمعروف أن نابوليون بونابرت بعد ثورة القاهرة الأولى (خريف ١٧٩٨) شكل فيلقا قبطيا وضع على رأسه المعلم/ الجنرال يعقوب الذى كان من المتمردين على الكنيسة القبطية حنيذاك.

واوصى بونابرت خليفته كليبير على (خلق) حزب فى مصر يعمل مع الفرنسيين يكون نواته من المماليك ومن مشايخ البلد الذين ينقلون إلى فرنسا، ويعيشون فيها فترة كافية لاحداث «غسيل مخ» لهم بسبب الانبهار بالتفوق الحضارى الفرنسى حتى يأخذوا بأسبابه ويصبحون بعد عودتهم اداة الفرنسيين فى تشكيل هذا (الحزب الفرنسى) الذى كان بونابرت يعول عليه كثيرا لأنه سيتشكل من (المسلمين) الذى يشكلون الغالبة الكاسحة لسكان مصر حينذاك.

ولكن كليبير وجد أن لا جدوى من الوصول إلى نتيجة مرضية خلال مفاوضاته مع المسئولين العثمانيين فآثر أن يعقد معاهدة العريش (يناير ١٨٠٠) التى نصت على خروج الحملة الفرنسية من مصر خروجا نهائيا، إلا أن الجانب الإنجليزى رفض إلا أن يصبح الفرنسيون بعد خروجهم أسرى حرب فى وقت كان العثمانيون ـ تطبيقا لمعاهدة العريش ـ قد سيطروا على معظم (الشرقية) حتى أصبحوا على مشارف القاهرة الكبرى ورفضوا إلا أن يتمسكوا بما أصبح فى يد القوات العثمانية، الأمر الذى جعل لامناص أمام كليبير إلا أن يخوض المعركة التى انتهت بنصر حاسم عند عين شمس، فى نفس الوقت احتدم القتال بين الفيلق القبطى والثوار المسلمين فى القاهرة حتى قضى التفوق الفرنسى العسكرى على ثورة القاهرة الثانية.

ولا يكاد كليبير يتنفس الصعداء من جراء تلك الأزمة الدموية المستطيرة حتى انقض عليه سليمان الحلبى طعنا حتى الموت ليتولى مينو القيادة العامة فى ظروف كلها سارت ضد الوجود الفرنسى فى مصر بأى شكل كان.

وفيما يلى نص الرسالة التى تركها نابوليون بونابرت لخليفته كليبير، ونص اتفاقية العريش (يناير ١٨٠٠) التى لم تعمر طويلا لا هى ولا صاحبها كليبير.

نص الوثيقة

نص كتاب بونابرت إلى كليبير عند مغادرته مصر يشرح له فيها سياسته الداخلية والخارجية

من القائد العام بونابرت إلى الجنرال كليبير

القيادة العامة بالإسكندرية ، فى ٢٢ آب ـ أغسطس ١٧٩٩

تجد أيها القائد المواطن فى كتابى هذا أمرا باستلام القيادة العليا للجيش لأنى قد صممت على تقديم موعد رحيلى يومين أو ثلاثة أيام خوفا من عودة السفن الإنجليزية. وقد اصطحبت معى القواد برتيية وادريوس وموراً ولان ومارمون والمواطنين مونج وبرتولليه ـ وتجد مع كتابى هذا بعض الأوراق التى ترى منها أننا قد خسرنا إيطاليا وأن مدن مانتو وتورتون محاصرة إلا أن هناك مجالا للأمل بأن المدينة الأولى تحتمل الحصار حتى نهاية شهر تشرين الثانى نوفمبر المقبل، وأنا أرجو أن أصل إلى أوربا ـ إذا ساعدنى الحظ ـ قبل ابتداء شهر تشرين الأول ـ أكتوبر.

وتجد أيضا شفرة للاتصال بى أنا، وأرجو أن تعمل فى شهر تشرين الأول أكتوبر على سفر (جونو) ومعه خدمى وجميع امتعتى التى تركتها فى القاهرة. ولا أمانع فى أن تستبقى لديك من تريده منهم.

ترغب الحكومة فى عودة الجنرال ديزية إلى أوربا فى شهر تشرين الثانى نوفمبر ما لم تطرأ أحداث هامة، وستعود لجنة الفنون إلى فرنسا فى شهر تشرين الثانى نوفمبر أى فور انتهاء مهمتها واعضاؤها منهمكون الآن فى انجاز الأعمال الباقية التى تقتضى زيارة صعيد مصر. على أنه يجوز لك أن تستبقى منها من ترى فيه نفعا لك.

سافر الافندى الذى اسرناه فى أبى قير إلى دمياط وأرجو أن ترسله إلى قبرص لأنه يحمل إلى الصدر الأعظم كتابا تجد طيه نسخة منه.

إن وصول اسطولنا إلى برست وطولون ووصول الأسطول الأسبانى إلى قرطجنة مما لا يدع

مجالا للشك فى أننا نستطيع أن نرسل إلى مصر البنادق والسيوف والمسدسات وباقى الذخائر التى نحتاج إليها والتى سارسلها لك مع قسم من الجيش الاحتياطى لتعويض الخسائر التى اصابتنا فى الموقعتين، وستحيطك الحكومة حينئذ علما بنواياها ، وأنا شخصيا بصفتى العامة والخاصة سأتخذ الإجراءات اللازمة لازودك بما يهمك من الأخبار من آن لآخر.

وإذا لم تنجح الوسائل التى سنستعملها للاتصال بك إذا ما طرأت حوادث ليست فى الحسبان ولم يصلك من الآن إلى شهر إيار مايو أية نجدة وأى خبر من فرنسا وإذا تفشى الطاعون فى مصر على الرغم من كل الاحتياطات التى اتخذت هذه السنة وقضى على ١٥٠٠ جنديا من جيوشك مما يعد خسارة كبرى فعليك والحالة هذه أن لا تخاطر باثارة المعركة المقبلة بل نفوضك بعقد الصلح مع الباب العالى العثمانى حتى ولو كان الجلاء عن مصر من شروط الصلح الأساسية إنما يجب أن ترجئ تنفيذ هذا الشرط إلى عقد الصلح العام.

وأنك تقدر أكثر من أى شخص آخر أيها الجنرال المواطن أهمية امتلاك مصر وبقائها فى يد فرنسا. إن السلطة التركية المتداعية الاركان تتهدم شيئا فشيئا وسيكون اجلاء فرنسا عن مصر من المصائب التى تعظم نتائجها إذ قد نرى هذه البلاد تنتقل إلى يد أوربية أخرى، وعند ما تضع خططك يجب أن تراعى الأنباء التى ترد إليك عن انتصار الجمهورية فى أوربا أو انكسارها.

وإذا اجابك الباب العالى قبل أن تصلك اخبارى من فرنسا وقبل بدء مفاوضات الصلح التى اقترحتها عليه فيجب أن تصرح أنك حائز على كافة السلطات التى احوزها أنا وابتدئ بالمفاوضة وايد ما سبق وصرحت أنا به من أن فرنسا لا تنوى اقتطاع مصر من أملاك الباب العالى ثم اطلب انفصال الباب العالى عن التحالف ومنحه ايانا حق التجارة فى البحر الأسود واطلب هدنة ستة أشهر نتبادل أثناءها المصادقة على المعاهدة وإذا حدث وحملتك الظروف على أن تعقد المعاهدة انت بنفسك مع الباب العالى فيجب اشعاره بأنه لا يمكنك تنفيذها قبل التصديق عليها. وقد جرى العرف بين كافة الدول أن تكون المهلة بين توقيع المعاهدة والمصادقة عليها هدنة لا يشوبها أى عمل عدائى.

وأنت تعرف على كل حال أن المسيحيين دائما أصدقاؤنا. إلا أنه يجب منعهم من الاستخفاف بمواطنيهم تجنبا لتعصب الأتراك ضدنا كما هم متعصبون ضد النصارى فتصبح العلة لا شفاء لها ويجب أن تحذر روح التعصب وتخدرها إلى أن تتمكن من استئصالها. إذا حصلت على ثقة كبار شيوخ القاهرة فانك تجمع حولك أفكار مصر باجمعها وأفكار كل زعيم

من زعماء الشعب. ولا شيء أقل خطرا علينا من الشيوخ الذين يرهبون القتال ولا يعرفون طرقه ولكنهم مثل القسس يوحون بالتعصب دون أن يكونوا هم أنفسهم متعصبين.

أما التحصينات فان الإسكندرية والعريش مفتاحا مصر، وقد كان لدى مشروع لإقامة أسوار متاريس من أشجار النخيل فى الشتاء المقبل، منها سوران متراسان من الصالحية إلى قطية وسوران ومتراسان من قطية إلى العريش واحد السورين المتراسين الآخرين يقام إينما عثر الجنرال مينو على مياه صالحة للشرب.

يطلعك الجنرال سانسون قائد فرقة الهندسة والجنرال سونجى قائد مدفعية الجيش على كل ما يتعلق بأمور جيشهما.

وقد عهد للمواطن بوسيلج بالشئون المالية فقط وعهدى به رجل جد وعمل تجمعت لديه الآن بعض المعلومات عن الإدارة المصرية المرتبكة كنت أفكر فى أنشاء طريقة جديدة لجمع الأموال الاميرية فيما إذا لم يحدث أمر جديد، مما يمكننا من الاستغناء عن الأقباط تقريبا، وأوصيك بالتفكير مليا فى هذا الأمر قبل الاقدام عليه فالأفضل أن تبتدئ به متأخرا بعض الشيء على أن تبدأ به قبل أوانه.

ستظهر السفن الحربية الفرنسية بلا ريب هذا الشتاء أمام الإسكندرية أو البرلس أو دمياط. فيجب أن تبنى برجا فى البرلس. اجتهد فى جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخصا من المماليك حتى إذا لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم فى القاهرة أو الأرياف وتسفرهم إلى فرنسا وإذا لم تجد عددا كافيا من المماليك فاستعض عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان فاذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يحجزون فيها مدة سنة أو سنتين يشاهدون فى أثنائها عظمة الأمة ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا ويكون لنا منهم حزب ينضم إليه الكثيرون بعد عودتهم.

كنت قد طلبت مرارا فرقة تمثيلية وسأهتم اهتماما خاص بارسالها لك لأنها ضرورية للجيش وللبدء فى تغيير تقاليد البلاد.

إن المركز الرفيع الذى ستحتله كرئيس أعلى سيفسح المجال أمام المواهب التى حبتك بها الطبيعة واعلم أن لما يجرى هنا أهمية كبرى وستكون نتائجه عظيمة على التجارة فنحن فى حالة ثورة عظمى.

لقد اعتدت على أن أرى منح الحياة ومتاعبها فى حكم الأجيال المقبلة لذلك فانى اغادر مصر مع أسف كبير لأن مصلحة الوطن ومجده والطاعة الواجبة له والحوادث الاستثنائية التى

وقعت أخيرا هى وحدها التى تحملنى على المروق بين أساطيل الأعداء فى ذهابى إلى أوربا، ولكنى سأبقى بقلبى وافكارى بينكم وسأفخر بنجاحكم كفخرى بنجاح ما أقوم به بنفسى كما أنى أعتبر الأيام التى تمضى دون أن أقوم فيها بعمل نافع للجيش الذى اترك لكم قيادته تعد من الأيام التى اسأت فيها التصرف وقد عهدت إليكم بتشييد البناء العظيم الذى وضعنا احجاره الأساسية.

إن الجيش الذى أتركه فى عهدتكم مولف كله من أبنائى فقد شاهدت علامات الاخلاص والتعلق بى على وجوههم حتى فى أشد أيام محنتهم فدعهم يسيرون فى هذا السبيل وستقوم بهذه المهمة نظرا للاعتبار الخاص الذى اكنه لك ونظرا لتعلقى الحقيقى بهم والسلام.

(بونابارت)

* * *

(٣٢)
إتفاقية العريش
للجلاء عن مصر
٦ يناير ١٨٠٠ ـ ٢٨ شعبان ١٢١٤هـ

نص الوثيقة

اتفاق الجلاء عن القطر المصرى

بين الجنرال ديزيه والمواطن بوسيبلج مدير المالية، نائبيين عن القائد العام،

وصاحبى السعادة مصطفى رشدى افندى دفتردار ومصطفى راسيسه

افندى رئيس الكتاب، نائبين عن الصدر الأعظم.

إن الجيش الفرنسى فى مصر، رغبة منه فى إقامة الدليل على عزمه على حقن الدماء ووضع حد للخلاف المؤسف بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى، يوافق على الجلاء عن القطر المصرى وفقا للتدابير المنصوص عليها فى هذا الاتفاق راجيًا أن يكون الجلاء تمهيداً فعلاً للسلام العام فى أوربا.

المادة الأولى: ينسحب الجيش الفرنسى بسلاحه وعتاده ومنقولاته إلى الإسكندرية ورشيد وأبى قير من حيث يتم نقله إلى فرنسا على سفنه الخاصة والسفن التى تقضى الحاجة بأن يضعها الباب العالى تحت تصرفه. ولتأمين تجهيز هذه السفن بسرعة تم الاتفاق على أن يرسل الباب العالى إلى الإسكندرية بعد مضى شهر على إبرام هذا الاتفاق مفوضًا وخمسين شخصا للقيام بهذه المهمة.

المادة الثانية : تقوم هدنة فى مصر لمدة ثلاثة أشهر تبدأ يوم توقيع هذا الاتفاق. وإذا انقضت هذه المدة قبل أن يتم تجهيز السفن التى يتعهد الباب العالى بتقديمها فان الهدنة ستمدد إلى أن ينقل الجيش إلى السفن. ويقوم الفريقان بكل ما لديهما من وسائل بالسهر على سلامة الجيش وراحة الأهالى.

المادة الثالثة : يتم نقل الجيش الفرنسى وفقا للنظام الذى يضعه المفوضون المعينون لهذا الغرض من جانب الباب العالى ومن قبل القائد كليبير. وإذا وقع خلاف بين المفوّضين العثمانيين والفرنسيين أثناء نقل العساكر من اليابسة إلى السفن على شكليات تنفيذ النظام الموضوع، يعين الكومودور سدنى سميث مفوضًا من جانبه للفصل فى الخلاف طبقًا لأنظمة البحرية البريطانية.

المادة الرابعة : يتم الجلاء عن موقعى القطية والصالحية فى اليوم الثامن أو فى اليوم العاشر على الأكثر بعد ابرام هذا الاتفاق. وفى اليوم الخامس عشر يتم الجلاء عن مدينة المنصورة. وعن دمياط وبلبيس فى اليوم العشرين. أما السويس فيكون انسحاب الجيش منها قبل الجلاء عن القاهرة بستة أيام. وبعد خروج الجيش من القاهرة بعشرة أيام تخلى القوى الفرنسية جميع المواقع القائمة على ضفة النيل الغربية بيد الفرنسيين إلى أن يتم الجلاء عن القاهرة ، وتنتهى عمليات نزول العساكر الفرنسية من مصر العليا (الوجه القبلى) ويمكن أن يستمر احتلال هذه الضفة إلى نهاية مدة الهدنة إذا تعسر اخلاؤها قبل ذلك. وتسلم جميع المواقع للباب العالى على حالتها الحاضرة.

المادة الخامسة: يتم الجلاء عن مدينة القاهرة خلال أربعين يومًا أو خمسة وأربعين يوما على الأكثر بعد ابرام هذ الاتفاق.

المادة السادسة: يتعهد الباب العالى بالا يوفر وسيلة من وسائل تأمين انتقال الجيش الفرنسى من المواقع التى يحتلها على الضفة الغربية للنيل ونقل اسلحته واعتدته إلى المقر العام بهدوء وسلامة وبدون أن يتعرض له أو لاحد أفراده سواء باليد أو باللسان أحد من الأهالى أو من عساكر الجيش الإمبراطورى العثمانى.

المادة السابعة : تسهيلاً لتنفيذ المادة السابقة ومنعا لوقوع أى احتكاك أو اشتباك تؤخذ التدابير اللازمة لابقاء الجنود الترك بعيدة بعداً كافيًا عن العساكر الفرنسية.

المادة الثامنة : حال إبرام هذا الاتفاق تفرج الحكومة الفرنسية عن جميع العثمانيين المعتقلين فى فرنسا أو الذين مُنعوا من مغادرتها وعن جميع العثمانيين ورعايا الدول الأخرى بدون استثناء الذين وقعوا أسرى بيد الجيش الفرنسى فى مصر، كما يُفرج عن جميع الرعايا الفرنسيين المعتقلين فى مدن ومرافئ الدولة العثمانية وعن جميع الأشخاص الملحقين بالمفوضيات والقنصليات الفرنسية فى الدولة العثمانية أية كانت الأمة التى ينتمون إليها.

المادة التاسعة : تعاد إلى رعايا الفريقين أملاكهم على اختلاف أنواعها ودون ازعاج

شخصى بأى فرد من سكان القطر المصرى أيًا كان مذهبه بسبب ما يكون قد تم من صلات بينه وبين الفرنسيين أثناء احتلالهم لمصر.

المادة الحادية عشرة : يعطى الباب العالى وحلفاؤه، أى بريطانيا العظمى وروسيا، للجيش الفرنسى جوازات السفر والمرور والسفن المرفقة اللازمة لتأمين عودته إلى فرنسا.

المادة الثانية عشرة: يتعهد الباب العالى وحلفاؤه بالسهر على حرية الجيش الفرنسى وسلامته وعدم التعرّض له على أى وجه حتى وصوله إلى أرض فرنسا. ويتعهد الجنرال كليبر القائد العام الفرنسى بعدم القيام بأى عمل عدائى فى ذلك الوقت ضد أساطيل أو أراضى الباب العالى وحلفائه وبأن تواصل السفن التى تنقل الجيش سيرها إلى فرنسا بدون التوقف عند أى ساحل غير فرنسى إلا فى حالة الضرورة القصوى.

المادة الثالثة عشرة: نتيجة لهدنة الثلاثة شهور المنصوص عنها فيما تقدم لتأمين جلاء الجيش الفرنسى تم «الاتفاق بين الفريقين على أنه إذا قدم إلى مرفأ الإسكندرية خلال هذه الهدنة بعض السفن الفرنسية ، بدون أخذ حاجتها من المؤن والمواد الغذائية وتعود إلى فرنسا بجوازات تعطى لها من الحكومات المتحالفة. وإذا كانت إحدى هذه السفن بحاجة إلى إصلاح فيمكنها البقاء فى الإسكندرية حتى إذا تمت عمليات الإصلاح كان عليها أن تغادر الإسكندرية عائدة إلى فرنسا مع هبوب الريح الموافقة.

المادة الرابعة عشرة: للقائد العام الفرنسى الجنرال كليبر أن يرسل فى الحال إلى فرنسا سفينة تزوّد بالجواز اللازم ويحمّلها إلى الحكومة الفرنسية رسالة يخبرها فيها بالاتفاق على الجلاء عن مصر.

المادة الخامسة عشرة: لما كان الجيش الفرنسى باعتراف الفريقين بحاجة يومية إلى مواد غذائية طوال مدة الهدنة التى سيتم الجلاء فيها ولثلاثة أشهر أخرى ابتداء من انتقاله من اليابسة إلى السفن فقد تم الاتفاقُ على أن يقدَّم له القمح واللحم والارز بالهشيم بكميات توازى الكميات التى يستهلكها الآن وفقًا للبيان المقدم من الفوضين الفرنسيين، ويحسم من هذه الكميات ما يكون الجيش قد أخذه من المخازن بعد ابرام هذا الاتفاق.

المادة السادسة عشرة: ابتداء من اليوم الذى يتمّ فيه ابرام هذا الاتفاق يمتنع الجيش الفرنسى عن استيفاء أى ضريبة فى القطر المصرى ويترك للباب العالى حق استيفاء الضرائب التى ستستحق بين تاريخ الابرام وتاريخ جلائه. كما يترك له أيضًا جميع الاباعر والنوق والاعنزة والذخائر والمدافع التى هى ملكه ويقرر عدم نقلها إلى بلاده، وجميع مستودعات

الحبوب المجموعة كضرائب ومستودعات الاعاشة. وسيتم حصر هذا المخلفات وتحديد أثمانها بمعرفة مفوضين يرسلون إلى مصر لهذه الغاية من قبل الباب العالى وقائد القوى البريطانية وممثلين يعينهم القائد العام كليبر ويستلمها الفريق الأول لحساب الجلاء الذى قدر بثلاثة الاف كيس لتمكين الجيش الفرنسى من الأسراع فى عمليات الانسحاب والانتقال إلى السفن. وإذا لم يبلغ ثمن المخلفات الثلاثة آلاف كيس المذكورة يقوم الباب العالى بتقديم المبالغ الناقصة كقرض تدفعة الحكومة الفرنسية فيما بعد بناء على تحاويل يوقعها ممثلو القائد العام كليبر الذين يتسلمون المبالغ.

المادة السابعة عشرة: تسهيلاً للجانب الفرنسى فى دفع النفقات التى تقتضيها عمليات جلاء قواته عن الأراضى المصرية تقرر أن يُدفع لها حال ابرام هذا الاتفاق المبلغ المنصوص عنه فيما سبق على الوجه الآتى:

فى اليوم الخامس عشر	٥٠٠	كيس
فى اليوم الثلاثين	٥٠٠	«
فى اليوم الأربعين	٥٠٠	«
فى اليوم الخمسين	٥٠٠	«
فى اليوم الستين	٥٠٠	«
فى اليوم السبعين	٥٠٠	«
فى اليوم الثمانين	٥٠٠	«
وأخيراً فى اليوم التسعين	٥٠٠	«

وكل هذه الأكياس التى يحتوى كل منها على ٥٠٠ قرش تركى سيستلمها الفرنسيون من الأشخاص الذين يعينهم الباب العالى لهذا الغرض. وتسهيلاً لتنفيذ هذا الاتفاق يرسل الباب العالى حال ابرام الاتفاق مفوضين من قبله إلى مدينة القاهرة وغيرها من المدن التى يحتلها الجيش الفرنسى.

المادة الثامنة عشرة: تحسم الضرائب التى يكون الجيش الفرنسى قد استوفاها بعد توقيع هذا الاتفاق وقبل تعميمه على جميع أنحاء القطر المصرى، من مبلغ الثلاثة آلاف كيس المنصوص عنها.

المادة التاسعة عشرة: تسهيلاً لعمليات الجلاء وتأمينًا لسرعة اتمامها تعطى السفن الفرنسية الراسية فى المياه المصرية طوال مدة الهدنة حرية الانتقال بين دمياط ورشيد والإسكندرية ذهابًا وإيابًا.

المادة العشرون: لما كانت سلامة أوربا تقضى باتخاذ اوسع التدابير والاحتياطات لمنع تسرب داء الطاعون إليها فان كل شخص مصاب بهذا الداء أو تظن أنه مصاب به لا يسمح له بركوب السفن.

والمصابون بالطاعون أو بغيره من الأمراض التى تقعدهم عن السفر فى المدة المحددة للجلاء يبقون فى المستشفيات التى يعالجون فيها بحماية حضرة الصدر الأعظم ويشرف على معالجتهم ضباط صحيون فرنسيون إلى أن يتم شفاؤهم ويستطيعوا السفر، وتطبق عليهم المادتان ١١ , ١٢ من هذا الاتفاق. ويتعهد القائد العام الفرنسى بأن يصدر الأوامر المشددة لجميع الضباط وقادة الفرق بالا يسمحوا بانزال الأشخاص الذين يشتبه الضباط الصحيون بأحوالهم الصحية فى غير المرافئ التى يعينها هؤلاء الضباط الصحيون كالاماكن المستوفية شروط الحجر الصحى.

المادة الواحدة والعشرون: الخلافات التى يمكن أن تحدث والتى ينص عليها فى هذا الاتفاق تكون موضع مداولة وتحل وديا بين المفوضين المعينين من حضرة الصدر الأعظم ومن القائد العام كليبر على أساس تسهيل الجلاء والاسراع فيه.

المادة الثانية والعشرون: لا يكون هذا الاتفاق نافذًا إلا بعد ابرامه من جانب الحكومتين، ويتم تبادل وثائق الابرام خلال أسبوع وعندئذ يصبح الاتفاق نهائيًا ينفذه الفريقان بكل صدق وأمانة.

كُتب ووقع وختم باختام كل من الفريقين فى مركز الاجتماع بالعريش فى ٢ يناير ١٨٠٠ الموافق ٢٨ شعبان ١٢١٤.

عن القائد العام ، الأمضاء : الجنرال ديزيه الأمضاء : بوسييلج

عن الصدر الأعظم ، الأمضاء : مصطفى رشيد افندى دفتردار

الامضاء : مصطفى راسيسه رئيس الكتاب

صورة طبق الأصل الفرنسى الذى تسلمه الوزراء العثمانيون مقابل النص التركى.

الامضاء : ديزيه، بوسييلج

أنا الموقع أدناه القائد العام للجيش الفرنسى فى مصر اصدّق على ما جاء فى هذا الاتفاق واقبله وابرمه ليكون نافذاً بروحه ونصه. واعتبر المواد الاثنتين والعشرين التى يتكوّن منها الاتفاق هى مترجمة ترجمة صحيحة عن الأصل التركى الموقع من ممثلى الصدر الأعظم، وهى الترجمة التى سيرجع إليها كلما وقع خلاف بين الفريقين على مفاهيم الاتفاق.

فى المقر العام بالصالحية ٢٨ يناير ١٨٠٠

الامضاء : كليبر

صورة طبق الأصل

قائد الفرقة رئيس الأركان العامة

الامضاء : دوماس

(٣٣)
معاهدة مراد بك ـ كليبر
٥ أبريل ١٨٠٠ ـ ٢٠ ذو القعدة ١٢١٥

مقـدمة

تثير هذه المعاهدة قضية الحكم على ما يقدم عليه الساسة والمسئولين من عقد إتفاقيات مع قوة كُبرى مسيطرة على نحو ما فعله مراد بك فى هذه المعاهدة التى نحن بصددها، فقد كان الفرنسيون قد سيطروا على مصر بهزيمتهم العثمانيين فى ١٨٠٠ ووجد مراد بك أن لا قِبَل له بالفرنسيين وأن الأجدى ـ من وجهة نظره هوَّ ـ التفاهم معهم خاصةً وأن مراد بك كان قد فقد الثقة تمامًا فى العثمانيين وهو نهج لا يختلف عنه كثيراً ما فعله «بيتان» خلال الحرب العالمية الثانية مع هتلر عندما إجتاح فرنسا ١٩٤٠.

ولكن مراد بك ـ على نحو ما كشفت عنه وثائقه ـ وصل إلى حد التحالف مع كليبر (الفرنسيين) ومع ذلك فاننا لا نجد فرقًا كبيراً بينه وبين «بيتان» فى هذا الصدد.

وبالإضافة إلى هذا فان كليبر نفسه وجد من العسير على الفرنسيين فرض سيطرة فرنسية كاملة على الصعيد.

فكان ذلك سببًا فى إلتقاء الطرفين على الأسس التالية:

١ـ أن يقتصر حكم مراد بك على أقصى الصعيد «ولاية جرجا».

٢ـ أن يتمتع مراد بك بنوعٍ من الحكم الذاتى تحت مظلة الفرنسيين .

٣ـ أن يتعاون مع الفرنسيين فى الدفاع عن مفاتيح الصعيد الجنوبية (القصير).

وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى وفاة مراد بك وحتى تولى زمام الأمور فى الجنوب أحد مماليكه الذى وجد الإنجليز وقد نزلوا فى القصير فى ١٨٠١ كجزء من خطة عامة لطرد الفرنسيين من مصر فآثر أن يتعاون معهم.

نص الوثيقة

نص معاهدة الصلح بين كليبير ومراد بك

بسم الله القدير

نظراً لما أبداه الأمير السامى المقام الحائز لكمال الشرف والاعتبار مراد بك محمد من الرغبة فى أن يعيش فى سلام ووفاق مع الجيش الفرنسى بمصر ولما يرغبه القائد العام كليبير من الأعراب عما له فى نفوس الفرنسيين من الاحترام الذى استوجبته شجاعته واقتضاء مسلكه حيالهم، فقد تم الاتفاق على ما يأتى:

المادة ١ :

يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك محمد أميرا وحاكما للوجه القبلى ويخوله بهذا الوصف سلطة الحكم والانتفاع فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل ابتداء من ناحية بلصفورة بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر.

المادة ٢:

يحدد هذا الخراج السنوى بمبلغ ٣٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح، و٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى.

المادة ٣:

الخراج الذى يدفع نقدا على أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر قسط، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى ، أما الخراج الذى يؤدى نوعا فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتيدور، ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأرب أربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقدا .

المادة ٤:

يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك أسنا، وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا

تقل عن مائتى جندى وعلى مراد بك أن يؤدى نفقات هذه الحامية ويصرف لها ضعف ما يدفع عادة للجند. وعليه أن يخصص كتيبة من المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية، وما يدفعه لنفقات الحامية يخصم له من الخراج المذكور فى المادة الثانية.

المادة ٥:

بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلا الدخل الناتج من الضرائب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها وتمنع وقوع أى اعتداء عليها.

المادة ٦:

على كل طرف أن يرد إلى الطرف الآخر الجنود اللاجئين إليه من جيش الطرف الآخر، وليس لمزارعى القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرائب أو لأى سبب آخر من هذا النوع.

المادة ٧:

يجعل الأمير حاكم الصعيد مدينة (جرجا) مقرا له، وعليه أن يرسل للقائد العام حرسا من خمسة وعشرين مملوكا، وعليه أن يوفد أحد البكوات من اتباعه مندوبا مفوضا عنه يقيم باستمرار فى القاهرة.

المادة ٨:

يضمن قائد الجيش الفرنسى لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته.

وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أيا كان نوعه، فعلى مراد بك أن ينفذ عددا من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية، وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة ومؤونة الجنود التى ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية.

المادة ٩:

يعد القائد كليبير بالا يوافق على أي اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه، وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر.

المادة ١٠:

إن الشروط الواردة فى المعاهدة الحالية والتى تقررت بمعرفة الجنرال داماس قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والستويان [١] جلوتييه قومسير الحكومة [٢] ومدير الشئون المالية المفوضين عن القائد العام كليبير، وعثمان بك البرديسى المفوض عن مراد بك، يصير التوقيع عليها من القائد العام كليبير ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد.

١ـ Citoyen أي المواطن.

٢ـ مندوب الحكومة لدى الديوان.

(٣٤)
رسالة من مراد بك إلى دانزلوه
١٥ صفر ١٢١٥ / ٨ يوليو ١٨٠٠

المقـدمة

كان مراد بك والمسئولون الفرنسيون يتبادلون المعلومات حول مختلف النواحى السياسية والإستراتيجية الت تهم الطرفين. ونظرا لحساسية تبادل المعلومات بين الطرفين، وبصفة خاصة بالنسبة لماد بك فقد كان يتجنب أن يستخدم الفرنسيون أو غيرهم أية رسالة مكتوبة فى هذا الصدد. وما أكثر من يتصيد مثل هذه السقطة هذا فضلا عن أنه رغم ما بين الطرفين مراد بك والفرنسيين من معاهدة تجعله تابعا متحالفا مع الفرنسيين إلا أن كلا من الطرفين كان ينظر إلى الآخر بعين الحذر حيث أن الفترة التى انقضت منذ توقيع تلك المعاهدة كانت قصيرة جدا، ولم يقع حدث يكشف عمق النوايا كل إزاء الآخر.

وفى نفس الوقت كان مراد بك يشعر بأنه شبه معزول أو فعلا معزول حيث أن وجوده فى أقصى جنوب الوادى متحالفا مع الفرنسيين أفقده مكانته العليا التى كان قد حصل عليها كمقاتل للفرنسيين رغم هزيمته أمامهم أكثر من مرة . وهذه العزلة كانت بالتالى تدفعه أكثر فأكثر نحو تقوية أواصر العلاقات مع الفرنسيين. وقد عبر مراد بك عن ذلك بقوه إن راحة باله لن تكون إلا بفضل الجمهورية الفرنسية (الجمهور) حيث لم يعد له من حليف سواها.

نص الوثيقة

إلى جناب أعز المحبين الصادقين الدستور المكرم حضرة محبنا العزيز الجنرال دنزلوه صارى عسكر حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا

أعزه الله تعالى

بعد مزيد السلام عليه وكثرة الأشواق إليه، أسبغ الله تعالى جزيل نعمه وفضله عليه، إن خاطرنا عندكم كثير قوى وغير ذلك، أن حضر لنا جواب حضرة صارى عسكر أمير الجيوش

الفرنساوية وجوابكم صحبة الفسيال[1] والترجمان الذين حضروا من طرفكم وبلغونا سلامكم لسانا . وقرينا الجوابات وهذا جير خاطر من الله تعالى ومن حضرة صارى عسكر ومنكم. وهذا كله علامات المحبة ما بييننا وما بينكم وإن شاء الله تعالى يحصل لنا الراحة على يد الجمهور وبواسطة حضرتكم. والواصل لكم جواب إلى حضرة صارى عسكر أمير الجيوش ترسلوه له وتكتبوه له جواب من حضرتكم السعيدة بكامل راحتنا حكم ما عرفناكم.

وباقى الجواب يعرفكم عنه الترجمان والفسيال لسانا[2] لأن كامل الأخبار الذى وردت علينا من بر الشام عرفناهم عنهم، ولم يخبر عنكم أخبار مطلق، وكال ما يورد علينا من الأخبار نرسل نعرفكم عنه أول بأول، وإحنا لم بقى أحد محبين خلاف الجمهور، ولم بقى لنا أمن من طرف العثمانلى مطلق وأنتم تعرفوا ذلك لم تعوزوا من يعرفكم وأن كامل الأخبار الذى تورد على حضرتكم ترسلوا تعرفونا عنها أول بأول لأجل الطمان عليكم والله تعالى يديم بقاكم ويحفظكم.

وأن الواصل لكم سيف طيب على سبيل المحبة ولم هو مقامكم لكن المحبة تستر المراد منكم قبول ذلك.

١٥ صفر الخير ١٢١٥ هـ

أمير اللواء السلطانى

مراد بك

أعزه الله تعالى

١ـ أى الضابط.

٢ـ فهى رسالة شفهية.

الى جناب حضرة اغا الجيش [illegible] الشريف المكرم
من الامير الجنرال دونزليه صاري عسكر حاكم ولاية
اسيوط ومنفلوط والمنيا [illegible]

ابدينا السلام عليكم ولمن لديكم الاشواق [illegible]
[illegible] وقد اطلعنا على ما خاطبتمونا [illegible] وعد الكل
ان قصدنا من حضرة صاري عسكر العام [illegible] ادرنا
وجوابكم تحت نظرنا والترجمان [illegible]
من طرفكم ويلتمس سلامكم لنا ان [illegible]
وبعد [illegible] ومن مصر صاري عسكر
[illegible] على [illegible] ما [illegible]
وان شاء الله [illegible] لنا الراحة علينا [illegible]
دولة سلطنة مصر كم والامكان [illegible]
صاري عسكر الجنرال [illegible] الحرب
من طرفكم [illegible]
وباقي الحوادث [illegible] على الترجمان [illegible] لنا
ان كان ما اخبار البر وورد علينا [illegible] الشام
من تمام منهم والمخبر عنكم اخبار [illegible]

وكما لما يورد علينا من الاخبار ترسلون لكم [illegible] اول باول
واذا ما قبلتم لنا احد تحبونه [illegible] نرسل لنا
لنا امر من طرف [illegible] على [illegible]
[illegible] وان كان ما [illegible]
[illegible] منها [illegible]
الطاع عليكم والله [illegible]

(٣٥)
قصيدتا نقولا التُرك فى :
مدح بونابرت ١٢١٣ ـ ورثاء كليبر ١٢١٤
١٨٠٠ ـ ١٨٠١

مقدمة

أبدى نقولا الترك ـ عين الأمير بشير الشهابى على الحملة الفرنسية فى مصر ـ إفتخاره نظمًا ببونابرت وما حققه من إنتصارات ضد الدول الأوربية وضد الدولة العثمانية والمماليك، أما قصيدته فى رثاء كليبر فتدل على أن مشاعر نقولا الترك كانت مع الفرنسيين وأغلب الظن أن العامل الطائفى كان هو المسيطر على الفكر المارونى بصفة خاصة وفكر الطوائف (اللبنانية) الأخرى مثل الدرزية والشيعية.

وقد قدّم هذه القصيدة المعلم نقولا الترك إلى بونابارت يمدحه بها

لله عصرُ قد زها فلك السعادة فيه دار
وجمال كوكب دولة الـ ـجيش الفرنساوى انار
يا حسنها من دولةٍ فالافتخار لها اشتهار
مقدامهم ذو سطوةٍ تهدي الملوك لهُ الوقار
الشهم بونابارته ليث الوغا ذو الاقتدار
من فاق قدرا وارتقى اوج العلا وسما الفخار
ندبٌ [توجد] بالورى بشهامةٍ ذو اعتبار
قهر الممالك جمةً وغزا البلاد مع الديار
واتى لنا بجحافلٍ ومراكب غطى البحار
وتملك الإسكندريه بسرعةٍ دون اعتسار
وملى الأراضى عسكراً حول الكنانة استدار
من كل صنديدٍ فتى يوم الحروب لهُ [اصطبار]
صف الصفوف بحكمةٍ وفنون حربٍ واختبار

وسطا بشـــدة عـــزمـــه ... وعلى جـيـوش الغـز غـار
واذاقـــهم خطبًـا شـديدا الـ ... هـول فــيـــه العـقـل حـار
واثـار نـار الحـــرب فـى ... يوم تشـيب لهُ الصـغـار
يـومًـــا يقـــال بـهِ لـهُ ... لـلـه درك مـن نـهـار
فـهناك جـيش الغـز قـد ... صـاح الهـزيمـة والفـرار
ورأوا المنيــة فــوقــهم ... قـد امطرت جـمـرات نار
والبطش منهم والفـــتى ... طلب النجـا وبهِ استـخـار
وتبـــددت تلك الجـمـا ... هيـر العـديدة بالقـفـار
و[تشـتـت] [امـدادها] ... وغـدت بذلٍ وانكسـار
وفـتـوح مـصـر كـان فـى ... صـفـر وأمـر الله صـار
وبيـوم سـبت فـيـه قـد ... أرخت تم الانتـصـار

وحين قتل سليمان الحلبى الجنرال كليبير رثاه المعلم نقولا الترك فى هذه القصيدة:

وقت المنيه والحيوه قد انقضت ... وسطا الحمام على الكمى الظاهرِ
فابكوا الشجاع البطش والبطل الذى ... ظفـرت يداهُ بكل قـومٍ فـاجـرِ
كم فى أراضى الروم [ذكرى] نصرةٌ ... ولكم فـتكت بجـفلٍ وعـسـاكـرِ
لا تنكروا فـعلى بغـوطة جلقٍ ... حـيث العـداه بمرج ابن العـامـرِ
وسبيل اعلامى لبطشى مشـاهدُ ... ينبيكمُ عن فـعل سيـفى البـاترِ
إذ بادروا الاتراك فى اقـبـالهم ... يتـلاطمون كـمـوج بحـرٍ زاخـر
فـهناك بددت الجيـوش بصارمى ... وتركـتـهم اعـجـوبة للناظرِ
من باب مصـر للعريش استـهم ... سـوق الخـراف امـام وجـه الزاجـرِ
كم دست هام [مـقـاومٍ] غـادرتهُ ... اسـرى يد وقـهـرت كل مـشـاجـر
ونشـرت اعـلامى على روس الملا ... طرًا واخـضـعت الورى لاوامـرى
وإذ كـان فى الموت تدبيـرُ ولا ... حـيـلُ ولا حـدُ لحكم القـادرِ
فـغـدى اخس الخلق منهم قـاتلى ... والسـايل السـعلوك ارخ غـادرى

(٣٦)

«معاهدتا الجلاء الفرنسى عن مصر وقع الأولى بليار
قائد الجيش الفرنسى فى القاهرة ٢٧ يوليو ١٨٠١ ـ ١٦ صفر ١٢١٦
والثانية وقعها مينو قائد عام الجيش الفرنسى فى الإسكندرية
٣٠ أغسطس ١٨٠١ ـ ربيع أول ١٢١٦ »

مقـدمة

تعرضت الحملة الفرنسية بعد كليبير لهزة شديدة من داخلها بسبب عدم احترام جانب كبير من رجالها لقائدهم الجنرال عبدالله مينو الذى اشتهر اسلامه واصر على أن تصدد مكاتباته العامة بالشعار الإسلامى «بسم الله الرحمن الرحيم».

وكان مينو ـ عقب توليه القيادة العامة ـ يخطط للاستمرار فى مصر، وطرح مشروعا كبيراً يؤيد هذا الاتجاه، إلا أن التطورات الكبرى فى أوربا فرضت على الإنجليز سرعة اخراج الحملة الفرنسية من مصر حتى لا يصبح وجود الحملة فيها ورقة يلعب بها نابوليون بونابرت على مائدة المفاوضات بطريقة قد تؤدى إلى تثبييت وجودها فى مصر.

وكان خروج الحملة الفرنسيـة بأسرع وقت ممكن على هوى السلطان العثمانى، ولذلك تكاتفت الجهود العثمانية والإنجليزية فى البحر المتوسط والإنجليزية الهندية فى ارسال ثلاث حملات إلى مصر واحدة عثمانية من الشام والثانية إنجليزية نزلت على شواطئ مصر الشمالية وثالثه نزلت عند القصير ورابعة عند السويس فحلت الهزيمة بالفرنسيين ووقع القائد (بليار) اتفاقية استسلام فى القاهرة منفصله عن الاتفاقية التى عقدها (مينو) فى الإسكندرية إلا أن الاتفاقيتين تؤديان إلى نتيجة واحدة هى نقل الحملة الفرنسية على سفن إنجليزية وعثمانية إلى الوطن الأم فرنسا بقضها وقضيضها ودون أن يصبح فرنسى اسيرا فى قبضة العدو. وهذا هو الخلاف الجوهرى بين اتفاقية العريش ١٨٠٠ واتفاقيتى الجلاء النهائى (١٨٠١).

وهناك فارق آخر جوهرى بين الحالتين . ففى ١٨٠٠ أندلعت ثورة القاهرة الثانية مدوية مدمرة. أما فى ١٨٠١ فكأن المسألة أصبحت بين الأطراف المتصارعه الخارجية: العثمانيون والإنجليز والفرنسيون، بينما وقف المصريون فى حالة «انتظر وراقب» وكآن المصريون كانوا يعيدون تقييم الموقف، ذلك التقييم الذى أدى ـ فيما أدى إليه ـ إلى أن يفرض زعماء الشعب ـ لأول مرة ـ واليا عليهم (محمد على ١٨٠٥) دون ما انتظار لفرمان السلطان ورغبته، فكان أن فتحوا بذلك صفحة جديدة فى تاريخ مصر الحديث [١].

١ـ انظر عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية . الجزء الثانى .

نص الوثيقة

معاهدة الجلاء عن مصر

(أبرمها الجنرال بليار قائد الجيش الفرنسى فى القاهرة)

٢٧ يونيه سنة ١٨٠١

«معاهدة لجلاء الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال بليار عن مصر، أبرمت بين كل من البرجادييه جنرال هوب Hope بالنيابة عن القائد العام للجيش لإنجليزى فى مصر، وعثمان بك بالنيابه عن الصدر الأعظم ، واسحق بك بالنيابة عن قبطان باشا ، والجنرال دنزلو Donzelot والجنرال موران Morand والكولونل تارير Tarayre بالنيابة عن الجنرال بليار قائد فيلق الجنود الفرنسية ومن يتبعه ، اجتمع المندوبون المذكورين أعلاه فى مكان المفاوضات وبعد تبادل الصفات والسلطات المخولة لهم اتفقوا على الشروط الآتية:

المادة ١:

إن الجنود الفرنسية من كافة الأسلحة والملحقين بهم بقيادة الجنرال بليار يجلون عن القاهرة والقلعة وحصون بولاق والجيزة وعن كل الجهات التى يحتلونها الآن فى القطر المصرى.

المادة ٢:

ينتقل الجنود الفرنسيون والملحقون بهم بأسلحتهم وأمتعتهم ومدافعهم وذخائرهم إلى رشيد بطريق البر الغربى للنيل ومن هناك يبحرون إلى الثغور الفرنسية بالبحر الأبيض المتوسط ومعهم أسلحتهم ومدافعهم ومنقولاتهم على نفقة الدولتين المتحالفتين، ويتم اقلاعهم فى أقرب ما يمكن من الوقت بحيث لا يتأخر عن الخمسين يومًا التالية لتاريخ التصديق على هذه المعاهدة ومن المتفق عليه أن ينقل الجنود المذكورون إلى الثغور الفرنسية بأقرب وأسرع طريق.

المادة ٣:

تقف الأعمال العدائية من الجانبين بمجرد التوقيع والتصديق على هذه المعاهدة وتسلم قلعة سلسكوكى[1] وباب مدينة الجيزة المسى باب الأهرام إلى جيش الدولتين المتحالفتين، ويحدد خط المخافر لجيوش الطرفين بمعرفة مندوبين يعينون لهذا الغرض وتعطى الأوامر المشددة للجنود بأن لا يجتازوا هذا الخط وذلك منعا لأى اصطدام بين جنود الطرفين، وإذا وقع أى اصطدام فيحسم بالطرق الودية.

١ـ جامع الظاهر بيبرس.

المادة ٤ :

يخلى الجنود الفرنسيون والملحقون بهم مدن القاهرة والقلعة وبولاق وقلاعها فى اليوم الثانى عشر بعد التصديق على هذه المعاهدة ، وينسحبون إلى قصر العينى والروضة والجيزة ، ومن هناك يرحلون إلى الشغور المعدة لاقلاعهم ويكون هذا الرحيل فى أقرب وقت ممكن بحيث لا يزيد عن خمسة أيام، ويتكفل قواد الجيوش البريطانية والعثمانية بنفقات نقل الجنود الفرنسيين بطريق النيل من الجيزة.

المادة ٥:

تنظم طريقة رحيل الجنود الفرنسيين باشتراك قواد جيوش الطرفين أو ضباط أركان الحرب الذين ينتدبون لهذا الغرض من الجانبين، ولكن من المتفق عليه أنه طبقا لهذه المادة يقوم قواد جيوش الحلفاء بتحديد عدد الأيام التى يقتضيها احتشاد الجيش الفرنسى ورحيله وبناء على ذلك يصحب الجيش الفرنسى فى رحيله مندوبون من الإنجليز والترك يكلفون بتقديم المؤن اللازمة له أثناء الرحيل.

المادة ٦:

تعهد حراسة الأمتعة والذخائر وسائر المهمات التى ينقلها الجنود الفرنسيون بطريق النيل إلى فصائل من الجيش الفرنسى وإلى السفن المسلحة التابعة للدولتين المتحالفتين.

المادة ٧:

تقدم المؤن الكافية للجنود الفرنسيين والملحقين بهم من يوم رحيلهم من الجيزة إلى حين وصولهم إلى فرنسا وتتبع فى هذا الصدد لوائح الجيش الفرنسى فى المسافة بين الجيزة والثغر الذى يقلعون منه، واللوائح البحرية البريطانية فى طريقهم بحراً لغاية وصولهم إلى فرنسا.

المادة ٨:

يقدم قواد القوات البرية والبحرية الإنجليزية والعثمانية مراكب للنقل اللازمة لنقل الجنود الفرنسية إلى ثغور فرنسا الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وكذلك لجميع الفرنسيين والأشخاص الآخرين الملحقين بالجيش الفرنسى، ويعهد فى هذه المهمة وفى تدبير المؤن الكافية إلى مندوبين يعينهم لهذا الغرض الجنرال بليار وقواد الحليفتين البريين والبحريين بعد التصديق على هذه المعاهدة مباشرة، ويتوجه هؤلاء المندوبين إلى رشيد وأبو قير لتدبير الوسائل اللازمة للنقل.

المادة ٩ :

تقدم الدولتان المتحالفتان أربع سفن (أو أكثر من هذا العدد عند الأمكان) خاصة لنقل الجياد والمياه والعلف الكافى لمدة السفر.

المادة ١٠ :

يعود الجنود الفرنسيون والملحقون بهم إلى فرنسا فى حراسة سفن الحلفاء، وتضمن الدول المتحالفة للذين يركبون السفن منهم أن لا يصابوا بأذى ما إلى أن يبلغوا الشواطئ الفرنسية ويتعهد الجنرال بليار هو والجنود الذين تحت قيادته بأن لا يصدر عنهم أثناء رحلتهم أى عمل عدائى ضد السفن أو البلاد التابعة لصاحب الجلالة البريطانية أو الباب العالى وحلفائها.

ولا يجوز للسفن المقلة للجنود أو للرعايا الفرنسيين أن ترسو فى أى ثغر آخر غير الثغور الفرنسية ما لم تقض بذلك الضرورة القصوى.

ويتعهد قواد القوات البريطانية والعثمانية والفرنسية بالعهود المبينة أعلاه مدة إقامة الجيش الفرنسى فى مصر من يوم التصديق على المعاهدة إلى حين نزوله إلى السفن ويتكفل الجنرال بليار قائد القوات الفرنسية بالنيابة عن حكومته بأن السفن التى تقل الجنود الفرنسية أو تتولى حراستها فى البحر لا تحجز ولا تضبط فى موانئ فرنسا بعد نزول الجنود منها وأن يكفيهم للعودة ويتكفل الجنرال بليار أيضًا بالنيابة عن حكومته أن لا تضارُ هذه السفن فى عودتها إلى ثغور الحلفاء ما دامت لا تحاول القيام بحركات حربية عدائية أو المشاركة فيها بأى وسيلة ما.

المادة ١١:

جميع الرجال الإداريين وأعضاء لجنة العلوم والفنون وبالجملة كل الأشخاص الملحقين بالجيش الفرنسى يتمتعون بالمزايا المخولة فى هذه المعاهدة لأفراد الجيش ولرجال الإدارة. ولأعضاء لجنة العلوم والفنون أن يأخذوا معهم الأوراق المتعلقة بوظائفهم وأعمالهم وأوراقهم الخاصة والأشياء الأخرى التى تتعلق بهم.

المادة ١٢:

يحق لأى من سكان مصر على اختلاف أجناسهم إذا رغب اللحاق بالجيش الفرنسى فى رحيله أن يرحل معه ولا يجوز بعد رحيله أن تؤذى عائلته أو تصادر أملاكه.

المادة ١٣:

لا يضار أحد من سكان مصر من أى دين كان ولا يؤذى فى شخصه ولا فى ماله بسبب علاقته أثناء الاحتلال الفرنسى بالسلطات الفرنسية ما دام يخضع من الآن لقوانين البلاد[١].

المادة ١٤ :

المرضى الذين لا يستطيعون السفر يبقون فى مستشفى حيث يتولى علاجهم أطباء من الفرنسيين أو أشخاص من مواطنيهم إلى أن يتم شفاؤهم وعندئذ يرسلون إلى فرنسا طبقا للأحكام التى تسرى على الجنود، وعلى قواد الحليفين أن يقدموا لهم حاجاتهم فى ذلك المستشفى وعلى الحكومة الفرنسية أن ترد قيمة هذه المتطلبات.

المادة ١٥ :

عند تسليم المواقع والقلاع المقتضى تسليمها طبقا لهذه المعاهدة يعين مندوبون لتسلم المدافع والذخائر والمخازن والأوراق والمحفوظات والرسوم وغير ذلك من الأشياء والمنقولات التى يجب على الفرنسيين تركها للحليفين.

المادة ١٦ :

يرسل قائد القوات البحرية للحليفين سفينة تبحر فى أقرب وقت إلى طولون وعليها ضباط ومندوب من الجيش الفرنسى يعهد إليهما ابلاغ الحكومة الفرنسية نص هذه المعاهدة.

المادة ١٧ :

جميع ما ينشأ من خلاف فى شأن تنفيذ هذه المعاهدة يحسم بالطرق الودية على يد مندوبين يعينون لهذا الغرض من الجانبين.

المادة ١٨ :

بعد التصديق على هذه المعاهدة يصير الأفراج فوراً عن الأسرى الإنجليز والعثمانيين المحبوسين فى القاهرة وعلى قواد الحليفين أن يفرجوا من ناحيتهم عن الأسرى الفرنسيين الذين فى معسكراتهم.

١- فى النص المنشور فى مجموعة دى مارتان إن هذه المادة تنصرف إلى الأشخاص الذين يرحلون مع الجيش الفرنسى لكن هذه الإضافة لم ترد فى النص الوارد فى ريبو وقد اعتمد المؤرخ عبد الرحمن الرافعى على الصيغة التى فى ريبو لأن الاضافة لا تستقيم مع المعنى المستفاد من ختام المادة.

المادة ١٩ :

يتبادل الحليفان مع الفرنسيين الرهائن لضمان تنفيذ هذه المعاهدة من الجانبين وتكون الرهائن ثلاثة من ضباط كبار من كل من الطرفين متساوين فى الرتبة . ويطلق سراح الرهائن بمجرد وصول الجنود الفرنسية إلى موانى فرنسا.

المادة ٢٠ :

يبلغ أحد الضباط الفرنسيين هذه المعاهدة إلى الجنرال مينو بالإسكندرية ، ولهذا الأخير أن يقبلها بالنسبة للجنود الفرنسيين ومن يلحق بهم ممن تحت امرته برا وبحرا فى تلك المدينة ، وعليه ى حالة القبول أن يبلغ ذلك إلى قائد القوات البريطانية المرابطة أمام الإسكندرية فى مدة اليومين التاليين لتبليغه نص المعاهدة.

المادة ٢١ :

يصير تبادل التصديق على هذه المعاهدة من قواد الطرفين فى مدة أربع وعشرين ساعة بعد التوقيع عليها.

حرر من هذه المعاهدة أربع نسخ بالموقع الذى اجريت فيه المفاوضات بين مندوبى الطرفين ظهر يوم ٢٧ يونيه سنة ١٨٠١ الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦ هجرية أى ٨ مسيدور من السنة التاسعة للجمهورية الفرنسية.

امضاءات : هوب Hope بريجاديه جنرال. عثمان بك وكيل الصدر الأعظم. اسحق بك وكيل حسين قبطان باشا . دنزلو Donzelo قائد لواء موران قائد لواء . تارير Tarayre كولونل.

نوافق ونصدق على هذه المعاهدة ، ٩ مسيدور (٢٨ يونيه سنة ١٨٠١) بليار قائد فرقة ـ توافق : هلى هتشنسون القائد العام (للجيش الإنجليزى) ـ نوافق بالنيابة عن اللورد كيث: ستفنس قبطان بالبحرية الملكية ـ صدقنا على مواد هذه المعاهدة : الحاج يوسف ضيا. حسين قبطان.

ملحق إضافى وتفسيرى للمعاهدة

١ـ إن مدافع الميدان التى يسوغ للجيش الفرنسى تحت امرة الجنرال بلياو أن ينقلها معه فى انسحابه من القاهرة ويأخذها لفرنسا هى: مدفعان من مدافع الميدان عن كل طابور ومدفع عن كل سرية وما يتبعها من العربات والذخيرة.

٢ـ من المتفق عليه أيضا أن الجنود الفرنسيين الذين يركبون سفنا حربية من سفن الحلفاء يودعون أسلحتهم وذخيرتهم فى الأمكنة المخصصة لها على ظهر تلك السفن تحت رقابة قباطينها ثم تسلم للجنود الفرنسيين عند نزولهم من السفن فى الموانى الفرنسية، أما الجنود اذين يركبون سفنا غير حربية وغير مسلحة فيستبقون أسلحتهم وذخيرتهم مدة رحلتهم ويكونون تحت رقابة ضباطهم.

٣ـ تنتقل زوجة الجنرال مينو وابنه وياوره من القاهرة إلى الإسكندرية بطريق النيل على سفينة يعدها الحليفين لهذه الغاية وترسل معهم منقولات الجنرال مينو.

٤ـ بما أنه يوجد بالقاهرة الآن بعض زوجات الضباط والجنود وباقى الفرنسيين المرابطين فى الإسكندرية فلهن كامل الحرية فى الانتقال إلى تلك المدينة، وتعد لهن وسائل الانتقال اللازمة لهذا الغرض وفى حالة عدم قبولهن فى الإسكندرية ينتقلن إلى فرنسا عند اقلاع الجيش الفرنسى الذى تحت قيادة بليار أو فى أى وقت ممكن، ويخولن جميع المزايا المنصوص عنها فى هذه المعاهدة.

٥ـ الفرنسيات من نساء ضباط الجيش الفرنسى وجنوده أو نساء الموظفين الفرنسيين الملحقين بهذا الجيش ينتقلن مع أزواجهن إلى فرنسا ويعطين المؤونة الكافية ويخولن المزايا المبينة فى هذه المعاهدة وتتبع فى ذلك اللوائح البحرية البريطانية.

٦ـ إذا وجد بالقاهرة منقولات وأمتعة تابعة لأفراد الحامية الفرنسية المرابطة فى الإسكندرية تنقل وتودع رشيد أو ترسل إلى فرنسا إذا أمكن ذلك.

٧ـ يجوز لمدير الإيرادات العامة للجيش الفرنسى أن ينتقل إلى الإسكندرية أو يرسل إليها مندوبا عنه ويُعطى كل التسهيلات الممكنة لهذا الغرض.

٨ـ إذا كـان من بين الرهائن التى تعطى من الجانبـين ضـبـاط من الجـيش البـرى فلقـواد الجيـوش الثـلاثة أن يستبدلوا بهم عند نزول الجيش الفرنسى إلى السفن ضباطا بحريين من مرتبتهم.

٩ـ الخيـول والجمال التى يتركها جيش الجنرال بليار فى مصر تسلم عند الجلاء إلى مندوبين يعينهم قواد جيوش الحلفاء.

١٠ـ من المتفق عليه أن الحصون التى يصير تسليمها تسلم بحالتها دون أن يمسها أى هدم أو تخريب ويلفت نظر الضباط والمهندسين إلى الألغام التى بها .

حرر فى معسكر المفاوضات يوم ٨ مسيدور من السنة التاسعة (٢٧ يونيه سنة ١٨٠١ ـ ١٦ صفر سنة ١٢١٦)

معاهدة الجلاء عن الإسكندرية

«شروط التسليم المعروضة يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٨٠١[١] من عبد الله جاك فرنسوا مينو القائد العام للجيش الفرنسى بالإسكندرية على قواد القوات البرية والبحرية التابعة لصاحب الجلالة البريطانية وللباب العالى.

الشرط ١ :

ابتداء من اليوم لغاية ٣٠ فركتيدور (١٧ سبتمبر سنة ١٨٠١) تمتد الهدنة بين الجيش الفرنسى والجيوش الإنجليزية والعثمانية بالشروط المتبعة الآن وتحدد خطوط المخافر الأمامية بين الجيشين تحديداً جديداً بمقتضى اتفاق ودى بين قواد الجانبين منعا لوقوع أى تصادم بين الجنود.

(الجواب) ـ مرفوض

الشرط ٢ :

إذا لم يصل المدد الكافى للجيش الفرنسى قبل الميعاد المحدد فى المادة السابقة ينحسب من الإسكندرية وقلاعها واستحكاماتها بالشروط الآتية

(الجواب) ـ مرفوض

الشرط ٣ :

ترتد الجنود الفرنسية يوم ١٨ سبتمبر إلى داخل الإسكندرية والقلاع المجاورة لها ، وتسلم إلى الحلفاء المعاقل والاستحكامات الواقعة أمام سور المدينة وكذلك قلعتى لتورك ودفيفييه[٢] وما فيها من المدافع والذخائر.

(الجواب) ـ تسلم جميع الاستحكامات وقلعتا لتورك ودفيفييه إلى قوات الحلفاء بعد التوقيع على معاهدة التسليم بثمان وأربعين ساعة أى ظهر يوم ٢ سبتمبر وكذلك يسلم ما بها من المدافع والذخائر وينسحب الجنود الفرنسيون من الإسكندرية وباقى قلاعها وملحقاتها بعد التوقيع على

١ـ عرضت الشروط يوم ٣٠ أغسطس وتم الاتفاق يوم ٣١ أغسطس .

٢ـ هما قلعتا القمرية والركنة .

المعاهدة بعشرة أيام بحيث ينزل الجنود الفرنسيون فى هذا الموعد إلى السفن المعدة لرحيلهم.

الشرط ٤ :

كل فرد من أفراد الجيش الفرنسى أو الملحقين به من العسكريين والملكيين وكذلك أفراد الجنود على اختلاف أجناسهم وبلدانهم وأديانهم ممن كانوا بمصر قبل مجئ الحملة الفرنسية يستبقون ممتلكاتهم وأمتعتهم وأوراقهم بحيث لا يسوغ فحصها وتفتيشها

(الجواب) ـ مقبول ، بشرط أن لا يأخذوا شيئًا من أملاك حكومة الجمهورية الفرنسية عدا المنقولات والأمتعة والأشياء الأخرى ملك الفرنسيين والتابعين لهم ممن اشتغلوا فى خدمة الجيش الفرنسى مدة ستة أشهر وكذلك الأشخاص الملحقين بخدمة الجيش الفرنسى فى الوظائف الملكية أو العسكرية على اختلاف أجناسهم وبلدانهم وأديانهم.

الشرط ٥ :

تنزل القوات الفرنسية ومن يتبعها من الأشخاص المشار إليهم فى البند السابق إلى السفن فى ثغر الإسكندرية بين ٥ و ١٠ من شهر فاندميير من السنة العاشرة للجمهورية (من ٢٧ سبتمبر إلى ٢ أكتوبر سنة ١٨٠١) على الأكثر باسلحتهم وذخائرهم وأمتعتهم ومنقولاتهم وجميع ما يمتلكونه من الأوراق الرسمية والودائع ، ويلحق بكل طابور وسرية مدفع من مدافع الميدان وذخيرته، وتقلع السفن بكل ذلك إلى ميناء فرنسية بالبحر الأبيض المتوسط يعينها قائد الجيش الفرنسى.

(الجواب) ـ ينزل الجنود الفرنسيون ومن يتبعهم من الجنود والأشخاص المشار إليهم فى البند الرابع إلى السفن من ثغر الإسكندرية إلا إذا تم الاتفاق الودى على اقلاع جزء منهم من أبو قير، ويكون نزولهم إلى السفن عقب اعداد السفن لهم وتتعهد الدولتان الحليفتان بنقل الجنود فى عشرة أيام بعد التوقيع على معاهدة التسليم إذا أمكن ذلك، ويؤدى إلى الجيش الفرنسى الاحترام العسكرى، ويأخذ معه أسلحته وأمتعته ولا يعتبر أفراده أسرى حرب، ويأخذ معه كذلك عشرة مدافع من عيار ٤ بوصات ومن الذخيرة ثمانى طلقات أو عشر لكل مدفع ويقلع إلى أحد الثغور الفرنسية بالبحر الأبيض المتوسط.

الشرط ٦ :

تقلع السفن الحربية الفرنسية كاملة الاسلحة مع الجيش الفرنسى وكذلك السفن التجارية مهما اختلفت جنسية أصحابها ولو كانوا من رعايا الدول المعادية للحليفين أو كانوا من

التجار أو البحارة التابعين للحليفين قبل مجئ الحملة الفرنسية بحيث تعاد السفن الحربية إلى الحكومة الفرنسية وتعاد السفن التجارية لاصحابها.

(الجواب) ـ مرفوض وتسلم جميع السفن إلى الحلفاء بالحالة التى هى عليها.

الشرط ٧ :

كل سفينة فرنسية تصل إلإسكندرية ابتداء من اليوم لغاية ٣٠ فركتيدور (١٧ سبتمبر) قادمة من ثغور فرنسا أو حلفائها تسرى عليها أحكام هذه المعاهدة، والسفن الحربية أو التجارية التابعة لفرنسا أو حلفائها التى تصل فى مدة العشرين يوما التالية للجلاء عن المدينة لا تعتبر غنيمة حربية بل يطلق سراحها وركابها وحمولتها وتعطى جواز مرور من الحليفين.

(الجواب) ـ مرفوض

الشرط ٨ :

الجنود الفرنسيون والموظفون العسكريون والملكيون التابعون للجيش وجميع الأشخاص المنوه بهم فى البنود السابقة يبحرون على ظهر السفن الفرنسية الراسية فى ثغر الإسكندرية إذا كانت صالحة للسفر أو على ظهر السفن الإنجليزية أو العثمانية فى المواعيد المحددة بالبند الخامس.

(الجواب) ـ يختار الاميرال الإنجليزى ما يشاء من هذه السفن.

الشرط ٩ :

يعين مندوبون من الجانبين لوضع نظام النقل من جهة عدد السفن اللازمة ومقدار حمولتها من الرجال وبالجملة تسوية كل ما يمكن أن ينشأ من الصعوبات فى تنفيذ هذه المعاهدة ويعهد إلى هؤلاء المندوبين تحديد مواقع السفن الموجودة فى الميناء والسفن التى يقدمها الحليفين بحيث تكون الوسائل التى تتبع كافية لمنع وقوع أى نزاع بين البحارة المختلفة أجناسهم.

(الجواب) ـ كل هذه التفاصيل تعهد تسويتها إلى الاميرال الإنجليزى وإلى ضابط بحرى فرنسى يختاره القائد العام للجيش الفرنسى.

الشرط ١٠ :

التجار وأصحاب السفن على اختلاف أجناسهم وأديانهم وكل من يرغب من سكان مصر أو من رعايا البلاد الأخرى المقيمين الآن فى الإسكندرية كالسوريين والاقباط والاروام والعرب

واليهود الخ فى مصاحبة الجيش الفرنسى فى رحيله يركبون السفن مع الجنود الفرنسية وتسرى عليهم المزايا المقررة للجيش الفرنسى ولهم الحق فى أن يأخذوا معهم ما شاءوا من أموالهم من أى نوع كانت وأن يوكلوا من شاءوا فى التصرف فيما لا يستطيعون نقله وتحترم تصرفاتهم ومعاملاتهم والعقود الصادرة منهم بشأن ممتلكاتهم ويضمن قواد الحلفاء نفاذها، والذين يفضلون منهم البقاء فى مصر فترة من الزمن لتسوية معاملاتهم يسمح لهم بذلك ويكونون مشمولين بحماية الحلفاء، أما الذين يؤثرون الاقامة فى مصر إلى ما شاء الله فيتمتعون بكافة الحقوق والمزايا التى كانت لهم قبل الحملة الفرنسية.

(الجواب) ـ جميع المتاجر التى توجد فى الإسكندرية أو على ظهر السفن الراسية فى الميناء تسلم مؤقتا إلى الحلفاء إلى أن يبت فى شأنها طبقا للقواعد المرعية ولاحكام القوانين المتبعة بين الدول ولمن يشاء من الأفراد أن يصحبوا الجيش الفرنسى أو يبقوا فى مصر فى أمن وطمأنينة .

الشرط ١١ :

لا يضارّ أحد من سكان مصر أو من رعايا أمة أخرى مهما كان مذهبه بسبب مسلكه مدة الاحتلال الفرنسى وخاصة لمحاربته فى صفوفهم أو استخدامهم اياه.

(الجواب) ـ مقبول.

الشرط ١٢ :

مؤونة الجنود والملحقين بهم فى البحر لغاية الوصول إلى فرنسا تكون على نفقة الحليفين وطبقا للوائح البحرية الفرنسية وعلى الحليفين أن يقدموا كل ما يلزم لتسهيل النزول إلى السفن.

(الجواب) ـ مؤونة الجنود ومن يركب السفن معهم تكون على حساب الحليفين لغاية بلوغهم فرنسا وتتبع فى ذلك القواعد المرعية فى البحرية البريطانية .

الشرط ١٣ :

القناصل والمشلون للدول المتحالفة مع فرنسا وكذلك الموظفون القنصليون التابعون لتلك الدول يستمر تمتعهم بالمزايا والحقوق المخولة لموظفى السلك السياسى طبقا للقواعد المتبعة بين الدول المتمدنة وتكون أملاكهم ومنقولاتهم وأوراقهم موضع الرعاية والاحترام فى كفالة دول الحليفين ولهم الحرية فى أن يرحلوا أو يبقوا فى البلاد كما يشاءون.

(الجواب) ـ للقناصل ولباقى الموظفين القنصليين التابعين لحلفاء الجمهورية أن يرحلوا أو يبقوا فى البلاد حسبما يرغبون وتحفظ لهم أملاكهم ومنقولاتهم على اختلاف أنواعها وكذلك أوراقهم ما داموا يسيرون سيرة صادقة ويتبعون القواعد المقررة فى القانون الدولى.

الشرط ١٤ :

المرضى الذين تقرر اللجان الصحية للجيش أن فى استطاعتهم السفر يركبون السفن مع باقى الجنود، وتخصص لهم سفن مستشفيات تتوافر فيها الأدوية الكافية والأغذية وكل ما يلزم للمرضى ويتبعهم صيدليون فرنسيون ، أما المرضى الذين لا تسمح حالتهم بالسفر فيبقون فى رعاية الحليفين وعنايتهما ويبقى معهم بعض الأطباء الفرنسيين، وتخصص لهم وسائل العناية الكافية وتكون نفقاتهم على حساب الحليفين، وعلى هذه الدول أن تبعث بهم إلى فرنسا عندما تسمح لهم صحتهم بالسفر، ولهم أن يأخذوا معهم كل ما يملكون من المنقولات طبقا للقاعدة المتبعة بالنسبة لباقى الجنود.

(الجواب) ـ مقبول وتعد بعض السفن لتكون مستشفيات ينتقل إليها الجنود الذين يطرأ عليهم المرض فى مدة السفر وعلى اللجان الصحية لجيوش الطرفين أن تتفق على الوسائل الواجب اتخاذها بالنسبة للمرضى المصابين بأمراض معدية بحيث يمنع اتصالهم بباقى الجنود.

الشرط ١٥ :

تخصص بعض سفن النقل لحمل الخيول بحيث تسع كل سفينة ستين جوادا والعلف الكافى لهذه الجياد مدة السفر.

(الجواب) ـ مقبول

الشرط ١٦ :

يحق لأعضاء المجمع العلمى المصرى ولجنة العلوم والفنون أن يأخذوا معهم جميع الأوراق والرسوم والمذكرات ومجاميع التاريخ الطبيعى وجميع الأعمال الفنية والآثار القديمة التى جمعوها فى مصر.

(الجواب) ـ أعضاء المجمع لهم أن يأخذوا معهم جميع الآلات الفنية والعلمية التى جاءوا بها من فرنسا، ولكن المخطوطات العربية والتماثيل وباقى المجاميع التى جمعت للجمهورية الفرنسية تعتبر من الأملاك العامة ومن ثم تسلم لقواد الحليفين.

(وقد اعترض الجنرال مينو على هذا التعديل ولكن الجنرال هوب صرح أنه لا يمكن العدول

عنه واتفق القائدان على عرض الأمر على القائد العام للجيش الإنجليزى).

الشرط ١٧ :

مراكب النقل التى ستخصص لنقل الجيش الفرنسى ومن يتبعه تسير بحراسة السفن الحربية التابعة للحلفاء وتتعهد هذه الدول أن لا تضار هذه المراكب مدة سفرها، أما المراكب التى قد تنفصل عن عمارة النقل بفعل العواصف أو لأى حادثة ما فعلى قواد الحلفاء أن يضمنوا سلامتها، وعلى المراكب التى تنقل الجيش الفرنسى أن لا ترسو بأى شاطئ غير شواطئ فرنسا ما لم تقض بذلك الضرورة القصوى.

(الجواب) - مقبول وعلى القائد العام للجيش الفرنسى أن يتعهد من ناحيته أن لاتضار أى سفينة من سفن الحلفاء أثناء اقامتها فى فرنسا أو فى عودتها وأن تتزود فى فرنسا بكل ما يلزمها طبقا للعرف الجارى بين الدول الأوربية.

الشرط ١٨ :

عندما تسلم القلاع والاستحكامات طبقا لنص الشرط الثالث يصير اطلاق سراح الأسرى من الجانبين.

(الجواب) - مقبول

الشرط ١٩

يعين مندوبون لتسلم المواقع الموجودة فى المدينة والقلاع وكذلك الذخائر والمخازن والمدافع والأشياء الأخرى التى تترك للحلفاء وتحرر قوائم بكل ذلك يوقع عليها مندوبون من الطرفين كما يجرى تسليم القلاع والمخازن للحلفاء.

(الجواب) - مقبول وعلى الفرنسيين تسليم الخرائط المحتوية على تخطيط مواقع الإسكندرية وقلاعها وتخطيط مدن القطر المصرى إلى المندوبين الإنجليز وتسلم البطاريات والثكنات والمبانى العامة الأخرى بالحالة التى هى عليها الآن.

الشرط ٢٠ :

يعطى جواز سفر لسفينة حربية فرنسية تبحر إلى طولون بعد تسليم المدينة وقلاعها لنقل الضباط الذين يعهد إليهم القائد العام للجيش الفرنسى ابلاغ نبأ هذه المعاهدة إلى الحكومة الفرنسية.

(الجواب) ـ مقبول ولكن إذا كانت السفينة فرنسية فلا تكون مسلحة.

الشرط ٢١ :

عند تسليم القلاع والاستحكامات المنوه بها فى المواد السابقة يجرى تبادل الرهائن من الجانبين لضمان تنفيذ هذه المعاهدة ويختارون من بين ضباط الجيش من مرتبة واحدة بحيث يكون عددهم أربعة من ضباط الجيش الفرنسى واثنين من ضباط الجيش الإنجليزى واثنين من الجيش العثمانى وينزل الضباط الفرنسيون الأربعة ببارجة الاميرال قومندان عمارة الحليفين والضباط الإنجليز والعثمانيين باحدى السفن المقلة للقائد العام أو نواب القائد العام للجيش الفرنسى، ويجرى تبادل أولئك الضباط عند صولهم إلى فرنسا.

(الجواب) ـ يسلم القائد العام للجيش الفرنسى أربعة ضباط كرهائن أحدهم من ضباط البحرية الإنجليزية والثانى من الجيش الإنجليزى والثالث والرابع من الجيش العثمانى وعلى القائد العام للجيش الفرنسى أن يسلم قائد الجيش الإنجليزى أربعة ضباط من مرتبة الضباط المذكورين وتسلم الرهائن وقت نزول الجنود إلى السفن.

الشرط ٢٢ :

إذا قام أى خلاف أثناء تنفيذ هذه المعاهدة فيحسم بالطرق الودية على يد مندوبين من الطرفين.

(الجواب) ـ مقبول

توقيعات ـ هلى هتشنسن لفتننت جنرال قائد عام ، حسن قبطان باشا، عبد الله جاك فرانسو مينو القائد العام للجيش الفرنسى ، جمس كمت Kempt لفتننت كولونل وسكرتير

(٣٧)
معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية
وفرنسا
٢٣ صفر ١٢١٧
٢٥ يونيو ١٨٠٢

مقـدمة

تطلع نابليون بونابرت عقب عودته إلى باريس (١٧٩٩) إلى المشاركة فى النظام الحاكم تمهيداً للانفراد به . واستطاع أن يفرض وجهة نظره من حيث جدوى عقد هدنة أو صلح مؤقت مع بريطانيا ، ولذلك اسرعت بريطانيا إلى أخراج الفرنسيين من مصر لانتزاع ورقة مصر من يد المفاوض الفرنسى.

وفعلاً عُقدت اتفاقية اميان فى ٢٧ مارس ١٨٠٢ بين فرنسا وبريطانيا وتبعتها معاهدة الصلح العثمانية الفرنسية. ونصت معاهدة السلام الفرنسية العثمانية على عقد الصلح والسلام بين الدولتين ويوقف القتال إلى الأبد وأطلاق سراح الأسرى فوراً ، وتجديد كافة الاتفاقيات والمعاهدات التى كانت معقودة بينهما قبل وقوع الحرب واستمرار العمل بالامتيازات (الأجنبية). وبمقتضى ذلك تتمتع فرنسا بحقوق الدولة الأكثر رعاية خاصة من حيث حصولها تلقائيًا على أية امتيازات تحصل عليها أية دولة أخرى من الدولة العثمانية . ومن بينها حق السفن الرافعة للعلم الفرنسى أن تدخل بكل حرية إلى البحر الأسود ، وأن تحول الحكومة العثمانية دون تعرض السفن الفرنسية لأية قرصنة وبذلك تكون فرنسا قد حصلت لأول مرة على هذا الحق الذى كانت تتمتع به إنجلترا والنمسا من قبل. وحتى تعقد اتفاقية تحدد التعريفة الجمركية بين الدولتين تظل التعريفة المنبثقة عن الامتيازات (الأجنبية) سارية المفعول. وتتضمن هذه الاتفاقية كل ما اتفق عليه فى اتفاقية إميان بين بريطانيا وفرنسا [٢٧ مارس ١٨٠٢/٤ جيرمينال ١٠].

ولكن الأهم من ذلك أنه بعد عقد هذه المعاهدة بحوالى ثلاثة أعوام عقدت روسيا مع الدولة العثمانية معاهدة دفاعية فى ٢٣/١١ سبتمبر ١٨٠٥ جعلت الدفاع عن المضايق مسئولية مشتركة عثمانية روسية، وتعتبر هذه الوضعية الجديدة لروسيا إزاء المضايق هى أقصى ما حصلت عليه روسيا من السلطان فى هذا الموضوع حتى يمكن القول أن تطلعات روسيا نحو ضم المضايق أصبحت قاب قوسين أو أدنى.

وستؤدى هذه التطلعات المتزايدة الروسية فى هذا الصدد إلى مخاوف الدول الكبرى الأوربية - وخاصة بريطانيا - من انطلاقة روسية عبر المضايق إلى البحر المتوسط الأمر الذى دفع بريطانيا نحو اتباع سياسة ردع بالدبلوماسية والعسكرية فكان ذلك سمة للسياسة البريطانية طوال القرن التاسع عشر إزاء روسيا.

نص الوثيقة

مقدّمات الصلح بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى

التى تم توقيعها فى أول جمادى الآخرة ١٢١٦ (٩ أكتوبر ١٨٠١)

لما كان القنصل الأول ـ للجمهورية الفرنسية الناطق باسم الشعب الفرنسى ـ والباب العالى العثمانى قد اعتزما وضع حد للحرب التى فرّقت بين الدولتين والعود إلى العلاقات القديمة التى كانت تجمع بينهما، فإنهما قد عينا لهذه الغاية الوزيرين المفوضين الآتى إسميهما:

عن القنصل الأول للجمهورية الفرنسية المكلف باسم الشعب الفرنسى، المواطن شارل موريس تاليران وزير العلاقات الخارجية، وعن الباب العالى العثمانى وزير المالية العثمانى سابقا وسفيره الحالى بباريس السيد على افندى. وبعد أن قدم كل منهما إلى الآخر وثيقة اعتماده اتفقا على المواد الأولية التالية:

المادة الأولى: يقوم الصلح والصداقة بين الباب العالى العثمانى والجمهورية الفرنسية. وستتوقف الأعمال الحربية بين الدولتين حال تبادل وثائق ابرام المواد التمهيدية الحالية وتجلو الجيوش الفرنسية عن القطر المصرى وتعيده إلى الباب العالى العثمانى التى تبقى اراضيه وممتلكاته كاملة غير منقوصة، أى كما كانت قبل الحرب.

وقد اتفق الفريقان المتفاوضان على أن يكون نصيب فرنسا عقب جلائها عن مصر كنصيب اية دولة أخرى من الامتيازات التى تمنح للدول فى القطر المصرى.

المادة الثانية : تعترف الجمهورية الفرنسية بجمهورية الجزر السبع والأراضى التى كانت تابعة للبندقية، وتتعهد بالحفاظ على هذه الجمهورية، ويعترف الباب العالى من جانبه بهذه الجمهورية ويقبل الضمان المعطى لها من جانب الجمهورية الفرنسية وروسيا.

المادة الثالثة : تضع الجمهورية الفرنسية والباب العالى العثمانى فيما بعد الاتفاقات النهائية الخاصة بممتلكات رعاياهما التى فرض عليها الحجز أثناء الحرب، وسيطلق سراح الممثلين السياسيين والتجاريين وأسرى الحرب من كل رتبة حال ابرام هذه المواد التمهيدية.

المادة الرابعة : كل المعاهدات التى كانت سارية المفعول قبل الحرب بين فرنسا والباب العالى العثمانى تعتبر مجددة بكاملها. وبنتيجة هذا التجديد تتمتع الجمهورية الفرنسية فى كل البلدان الخاضعة للسلطان بجميع الحقوق التجارية والبحرية التى كانت لها فى الماضى، وسيكون لها فى المستقبل ما سيكون للدول الأكثر رعاية من حقوق وامتيازات.

يتم تبادل وثائق الابرام فى باريس خلال ثمانين يومًا .

باريس فى ١٧ فندمير من العام العاشر للجمهورية الفرنسية

الموافق أول جمادى الآخرة ١٢١٦ (٩ أكتوبر ١٨٠١)

الامضاء : السيد على افندى .   الامضاء : شارل موريس تاليران

معاهدة الصلح بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى المعقودة بباريس فى ٢٥ يونيو ١٨٠٢

رغبة من القنصل الأول للجمهورية الفرنسية باسم الشعب الفرنسى، ومن السلطان العثمانى صاحب المقام السامى فى إعادة علاقات السّلم والصداقة التى كانت قائمة بين فرنسا والباب العالى العثمانى من اقدم الأزمان، قد عيّنا تنفيذاً لهذه الرغبة وزيرهما المفوضين:

عن القنصل الأول باسم الشعب الفرنسى المواطن شارل موريس تاليران وزير العلاقات الخارجية للجمهورية الفرنسية وعن الباب العالى العثمانى: السيد محمد سعيد غالب افندى الأمين الخاص ومدير الشئون الخارجية.

وبعد أن تبادل المفوضان أوراق اعتمادهما اتفقا على ما يأتى:

المادة الأولى : يقوم بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى سلم وصداقة ابديان، وتتوقف الأعمال الحربية بين الدولتين الآن والى الابد.

المادة الثانية : تعتبر المعاهدات التى كانت قبل الحرب تحدد كل أنواع العلاقات بين الدولتين مجددة بكاملها . وبنتيجة هذا التجديد وتنفيذاً لمواد المعاهدات السابقة التى تعترف للفرنسيين بحق التمتع فى كل البلدان الخاضعة للباب العالى بُكل الامتيازات الممنوحة لدول

أخرى، فإن الباب العالى يوافق على أن تتمتع السفن الرافعة للعلم الفرنسى بحق الدخول إلى البحر الأسود بدون أى اعتراض والتنقل فيه بكل حرية، ويقبل الباب العالى فوق هذا أن تكون السفن الفرنسية ـ فى دخولها إلى البحر الأسود وخروجها منه وفى كل ما هو لصالح حرية الملاحة على قدم المساواة التامة مع السفن التجارية التابعة للدول الأخرى.

وسيتخذ الباب العالى وحكومة الجمهورية الفرنسية معا تدابير فعّالة لتطهير البحار التى تجوبها سفنهما من القراصنة بمختلف أنواعها. ويعد الباب العالى بحماية التجار الفرنسيين الذين ينتقلون فى البحر الأسود من القرصنة أيًا كان شكلها.

وتتعهد حكومة الجمهورية الفرنسية من جانبها بأن تمنح رعايا واعلام الباب العالى فى اراضيها وبحارها كل الميزات المعطاة لرعاياها وسفنها بموجب هذه المادة.

المادة الثالثة : تتمتع الجمهورية الفرنسية فى البلاد العثمانية الواقعة على سواحل البحر الأسود أو القريبة من هذا البحر ـ فيما يتعلق بتجارتها وممثليها ومفوضى الشؤون التجارية الذين سيقيمون فى البلاد التى تتطلب الحاجة التجارية الفرنسية ذلك ـ بكل الحقوق والامتيازات والمسموحات التى كانت تتمتع بها فرنسا قبل الحرب فى الأراضى العثمانية الأخرى عملاً بالمعاهدات القديمة.

المادة الرابعة : يقبل الباب العالى ما يخصه فى المعاهدة المعقودة فى اميان بين فرنسا وبريطانيا بتاريخ ٤ جرمينال السنة العاشرة (٢٢ ذى الحجة ١٢١٦). وكل مواد هذه المعاهدة التى تتعلق بالباب العالى تعتبر مجددة فى المعاهدة الحالية.

المادة الخامسة : يضمن كل من الفريقين سلامة ممتلكاتهما.

المادة السادسة : إن التعويضات المستحقة لممثلى الدولتين المتعاقدتين ولرعاياهما الذين صودرت ممتلكاتهم أثناء الحرب سيُبت بامرها بروح العدل فى اتفاق خاص يعقد فى الأستانة [استنبول] بين الحكومتين.

المادة السابعة : إلى أن يفصلا معا باتفاقات جديدة فى الأمور المختلف عليها فيما يتعلق برسوم الجمارك تبقى أحكام المعاهدات القديمة الخاصة بالموضوع قائمة ونافذة.

المادة الثامنة : يطلق فى الحال وبدون جزية سراح كل أسير حرب مسجون فى البلدين.

المادة التاسعة : تنفيذاً لرغبة الجمهورية الفرنسية والباب العالى بأن يكون لكل منهما فى بلاد الآخر مكانة الدولة الأكثر رعاية، اتفق الفريقان المتعاقدان على أن يمنح كل منهما الآخر كل الامتيازات التى تتمتع بها عنده الدول الأخرى كما لو كانت هذه الامتيازات واردة صراحة فى هذه المعاهدة.

المادة العاشرة : يتم تبادل وثائق ابرام هذه المعاهدة بباريس خلال ثمانين يومًا، وإذا امكن الأمر ، قبل هذه المدة.

كتب فى باريس فى ٦ مسيدور من السنة العاشرة للجمهورية الفرنسية

الموافق للرابع والعشرين من صفر الخير ١٢١٧ (٢٥ يونيو ١٨٠٢)

الامضاء : السيد محمد سعيد غالب افندى الامضاء : شارل موريس تاليران

إن حكومة الجمهورية الفرنسية والباب العالى العثمانى بموافقتهما على المادة الخامسة من هذه المعاهدة الفضفاضة المعقودة بين هاتين الدولتين الكبيرتين ، في يومنا هذا ، حفظا معا على سلامة ممتلكاتهما فإنها [١] لا تلزم الباب العالى أن يشارك [٢] ـ خلافا لرأيه ـ فى الحروب التي قد تضطر [٣] لخوضها ضد دول أخرى.

١ـ أى المادة ٥ ٢ـ فرنسا ٣ـ فرنسا

TREATY OF PEACE: FRANCE AND THE OTTOMAN EMPIRE

25 June 1802

ART. 1. There shall be peace and friendship in the future between the French Republic and the Ottoman Sublime Porte.

Hostilities shall cease now and for ever between the two states.

Art. 2. The treaties or capitulations which, prior to the war, determined respectivelty the relations of every kind that existed between the two powers, are entirely renewed.

In consequence of this renewal and in execution of the articles of the old capitulations by virtue of which the French enjoyed in the states of the Sublime Porte all the benefits accorded to other powers, the Sublime Porte agrees that French flag henceforth shall enjoy without hindrance the right to enter into and navigate freely in the Black Sea.

The Sublime Porte agrees, furthermore, that the said French vessels, in their entrance into and departure from that sea and in everything that can favor their free navigation, shall be treated precisely like the merchant vessels of nations which navigate in the Black Sea. The Sublime Porte and the Governmment of the Repblic will take in concert effective measures to purge of every sort of freebooters the seas serving the merchant vessels of both states. The Sublime Porte promises to protect the navigation of French merchant vessels on the black Sea against all kinds of piracy.

It is understood that the benefits assured by the present article to the French in the Ottoman Empire are equally assured to the subjects and flag of the Sublime Porte in the seas and on the territory of the French Republic.

ART. 3. The French Republic shall enjoy in the Ottoman districts adjacent to the Black Sea, as much for its commerce as for the agents and commissioners of commercial relations which might be established in those place where French trade would render such establishment necessary, the same rights, privileges and prerogatives enjoyed by France before the war in other parts of the states of the Sublime Porte, by virtue of the old capitulations.

ART. 4. The Sublime Porte accepts, insofar as it is concerned, the treaty

concluded at Amiens between France and England on the 4 Germinal X (27 March 1802) . All articles of that Treaty relating to the Sublime Porte are formally renewed in the present Treaty.

ART. 5. The French Republic and the Sublime Porte mutually guarantee to each other the integrity of their possessions.

ART. 6. The restitutions and compensations due the agents of both powers as well as those due the citizens and subjects whose properties have been confiscated or sequestrated during the war, shall be arranged with equity by a special agreement that the two Governments will negotiate in Constantinople.

ART. 7. While awaiting the new decisions that will be taken in concert on the customs, the two countries shall for the time being act in conformity with the old capitulations.

ART. 8. If there remain additional prisoners still under detention as a result of the war between the two states, they shall be liberated immediately without ransom.

ART. 9. The French Republic and the Sublime Porte desirous in the present Treaty of establishing themselves in each other's territory on the basis of the most favored power, it is understood that they shall accord to each other in their respective states all the benefits which have been or might be accorded to other powers as if these benefits were expressly stipulated in the present Treaty.

ART. 10. The ratifications of the present treaty shall be exchanged in Paris within 80 days or earlier if possible.

ADDITIONAL AND SECRET ARTICLE OF THE FOREGOING TREATY

It is agreed by the government of the French Republic and the Ottoman Sublime Porte that Article 5 of the open Treaty concluded between the two powers, on this day, by the same undersigned Ministers Plenipotentiary and expressing the mutual guarantee of the integrity of their possessions, shall not be binding on the Sublime Porte against its will in wars that Franch might have to wage against other powers.

رابعـا

صعود الدولة السعودية الأولى

(٣٨)
أمان الإمام سعود لأهل مكة المكرمة
١٨٠٣ م / ١٢١٨ هـ

مقـدمة

خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى (النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى) ظهرت فى (نجد) حركة إصلاحية على الطريقة السلفية لداعيتها محمد بن عبدالوهاب الذى نجح فى إعلان مبدائه القائمة على التركيز على القرآن الكريم والسنة الشريفة لضبط سلوكيات المسلم/ المؤمن عند تأديته أركان الإسلام وشريعته وواجبات المسلم/ المؤمن وحقوقه ، والجهاد فى سبيل الله حفاظًا على سلامة العقيدة ولهداية الناس إليها.

وإن اشتهر عنهم دعوة محمد بن عبد الوهاب إلى منع ممارسة البدع وخاصة ما قد يؤدى بطريقة أو بأخرى إلى نوع من الشرك بالله، ومقاومة العديد من التقاليد الاجتماعية التى الصقت بالفكر الدينى دون وجه حق مثل الاعتقاد فى بعض أولياء الله الصالحين القدرة ـ وهم أموات ـ على تلبية طلبات المستجيرين بهم لقضاء حاجة لهم.

وحتى يعطى (محمد بن عبدالوهاب) دفعة قوية لدعوته وضع قدراته كداعية مع قدرات شيخ الدرعية القيادية محمد آل سعود للدفاع عن هذه الدعوة ونشرها. وبعد صراعات متطاولة لعدة سنوات استطاع آل سعود أن يصبحوا أصحاب اليد العليا فى نجد رغم التحالفات واسعة النطاق التى عقدت بين شيوخ الإحساء من بنى خالد واشراف مكة لتوجية ضربة إجهاض لهذه الحركة دون جدوى.

وكانت ان انتقلت محاولات القضاء على هذه الحركة الإصلاحية على الطريقة السلفية إلى الدولة العثمانية عن طريق ولاة العراق (وبصفة خاصة المماليك حكام ولاية بغداد) وولاة دمشق.

ومن بغداد انطلقت أكثر من حملة إلى الإحساء للسيطرة عليها ولتقويض الدولة السعودية

الأولى ، ولكنها كانت محاولات فاشلة بينما كانت محاولات ولاة دمشق غير ذات مفعول بل لقد ادت تلك المحاولات الفاشلة إلى وصول الضغط السعودى إلى أطراف الفرات وإلى مهاجمة النجف وكربلاء (١٨٠١) الأمر الذى احرج السلطان العثمانى أمام غريمه شاه فارس الذى يعتبر هاتين المدينتين عتبات مقدسة للشيعة. وزاد موقف السلطان حروجه على مختلف المستويات الإسلامية وغير الإسلامية عندما نجح الإمام سعود (الكبير) فى أن يضع يده على مكة المكرمة والمدينة المنورة فمن المعروف أن السلطان العثمانى كان يتباهى عالميا بأنه حامى حمى الحرمين الشريفين . وأدى ذلك إلى أن يتجه السلطان العثمانى إلى مصر محمد على باشا ليقوم بمهمة استرداد الحرمين الشريفين وتوجيه ضربة إجهاض للدولة السعودية الأولى.

وفيما يلى نص أمان الإمام سعود لأهالى مكة المكرمة .

فى هذه الرسالة تلقب سعود بـ (أمير المسلمين)، ومعنى هذا أنه كان يرى فى نفسه (أميرا على كافة المسلمين)، ومعنى هذا أنه ليس لغيره حق فى هذا اللقب، ولذلك خلا خطاب سعود إلى السلطان العثمانى من لقب خليفة المسلمين. ومن ثم فإن الفكر الإصلاحى على الطريقة السلفية على نحو ما دعا إليه محمد عبد الوهاب كان ينكر على الأتراك العثمانيين حقهم فى تولى (الخلافة)، وفى نفس الوقت لم يتخذ إجراء علنيا نحو مفهوم الخلافة. وكأنه هناك اشكال ـ فى هذا الصدد ـ من حيث التشكيك فى احتكار قريش للخلافة، ومن حيث اللغط حول تبرير آل عثمان لحقهم فى تولى الخلافة فى شخص هذه الأسرة العثمانية التركية.

ولكن الأكثر دقة هو ما ورد فى هذا الأمان من آيات من سورة آل عمران . فهذه السورة موجهة أساسا إلى «أهل الكتاب»[1] لكى يأتوا إلى كلمة سواء. ومن حق أى مسلم أن يختار السور والآيات الكريمة، ولكن من حقنا هنا أن نتساءل عن المغزى من وراء اختيار سعود لمثل هذه الآيات فى مخاطبته لأهل مكة؟

١ـ أو بالمفهوم الإسلامى (أهل الذمة) أى المسيحيين واليهود بصفة خاصة.

نص الوثيقة

من سعود بن عبد العزيز إلى أهالى مكة

بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبدالعزيز إلى كافة أهل مكة والأغوات والعلماء وقاضى السلطان على من اتبع الهدى.

أما بعد فأنتم جيران الله آمنون بامنه إنما ندعوكم لدين الله ورسوله [**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بإنا مسلمون**] فأنتم فى وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد واسمعوا له واطيعوا ما اطاع الله والسلام.

(٣٩)
خط شريف للسلطان سليم الثالث
بعدم التعرض للنصارى
يناير ١٨٠٦ ـ ذى القعدة ١٢٢١

مقدمة

منذ القِدم حتى القرن الحادى والعشرين، كانت المواطنة الكاملة قاصرة على أهل البلاد الذين يترابطون عرقيًا ومذهبيًا وفكريًا تحت إدارة متسقة معهم فى هذه المجالات، أما من يخالف بعض ذلك من أهل البلاد فانه غالبًا ما يصبح مواطنًا من الدرجة الثانية أو الثالثة، وقد يفقد كيانه الأدمى فى بعض الأحيان. فقد كانت المواطنة الكاملة للرومانى أما غير الرومانى فلم يكن متمتعًا بما يتمتع به الرومانى من إعفاءات وأعباء وواجبات وحقوق. وفى مصر فى عهد الرومان ـ مثلاً ـ كان الرومانى هو المتمتع بحقوق المواطنة كاملة يليه فى الترتيب فى هذا الصدد (اليونانى) ثم (اليهودى) أما المصرى فقد كان فى ذيل القائمة.

وكان اليهودى فى إنجلترا وفرنسا لا يتمتع بحقوق المواطنة حتى أدرك الفرنسيون ـ خلال الثورة الفرنسية ـ الغبن الإنسانى الذى أوقعوه باليهودى، فرفعوهم إلى مستوى المواطنة مع الإحتفاظ بخاصيتهم اليهودية .وأخذت الدول الأوربية تتخلى عن حرمان اليهودى لديها من (المواطنة الكاملة) بينما كانت تحرم المسلمين والعرب فى كثير من البلاد من مثل هذه الحقوق على نحو ما كان يفعله الفرنسيون مع الجزائريين الذين كانوا ـ يجاهدون من أجل الحفاظ كيانهم الحضارى فى وجه الإستعمار الفرنسى، وكذلك فعل الإنجليز بعرب فلسطين عندما إستعبدوهم من مجرد الوجود المادى أو المعنوى مقابل إعطاء الفرصة لليهود ليحلوا محلهم بطريقة أو بأخرى مضمرين للعرب والمسلمين فى فلسطين إبادتهم على نحو ما أضمره وأعلنه تصريح بلفور ١٩١٧.

وعاش أهل الذمة (المسيحيون واليهود) متمتعين بالحرية الدينية وأوجه النشاط

الإقتصادى والإجتماعى دون الدخول ـ بصفة عامة ـ فى مجالات ذات طابع دينى أو أمنى مثل السلك القضائى والعسكرى . وكان ما يتمتع به اليهودى والمسيحى من حقوق فى أى بلد إسلامى أكثر بكثير جداً مما كان يتمتع به فى أى بلد آخر (انظر شكسبير وروايته المشهورة - تاجر البندقية التى يتعرض فيها لليهودى لإقتطاع جزء من لحم فخذ المدين).

وخلال العهد العثمانى فى البلاد الإسلامية (منذ القرن السادس عشر حتى أوائل القرن العشرين) كانت الإدارة العثمانية قد تركت كل (ملة) أى (طائفة) تدير أمورها العقائدية بطريقتها وقواعدها المذهبية تحت مظلة الحرية الدينية.

ولكن طرأت تغيرات هامة منذ الثورة الدينية البروتستنتيه على يد مارتن لوثر إبتداءً من مطلع القرن السادس ، فقد شعرت المؤسسات الكاثوليكية الأوربية أنها معرضة للتدهور أمام البروتستنتية. فانطلقت الكاثوليكية مجددة قدراتها كما انطلقت الجمعيات التبشيرية بقوة إلى منطقة الشرق الأوسط لوضع الكنائس الشرقية تحت مظلة الكاثوليكية. وأدت هذه الحركة إلى تحول أعداد متزايدة من أتباع الكنائس الارثوذكسية فى الدولة العثمانية من الارثوذكسية إلى الكاثوليكية، وكان هذ التحول مثيراً للأشجان لدى الدوائر الإسلامية الحاكمة والشرعية على إعتبار أن الكاثوليك فى نظر المسلمين ـ منذ الحروب الصليبية بصفة خاصة ـ حربيين أى مقاتلين معتدين على المسلمين وما كان هذا سوى واحد من تراث الحروب الصليبية التى كان للفرنسيين (الفرنجة) دور جوهرى فيها.

ومن ثمّ كان التحول من الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية خطراً على الدولة العثمانية. كما كان ذلك أمراً مرفوضًا من بطاركة الكنائس الأرثوذكسية الذين كانوا يعملون على الحيلولة دون تسرب رعيتهم الدينية من بين أيديهم إلى كنيسة خصم (الكاثوليكية) خاصةً وأن السلطان العثمانى كان قد سبق أنه أصدر فرمانًا جعل البطريرك الأرثوذكسى هو المسئول عن الكاثوليك فى داخل دائرة إختصاصه، وقد عرض موضوع تحول الرعايا العثمانيين الأرثوذكس إلى الكاثوليكية ، فاستفتت السلطات العثمانية المفتى الحنفى سليمان المنصورى فى ١٧٦٣م/ ١١٧٧هـ :

(١) هل يعتبر الأرثوذكسى الذى يتكثلك (حربيًا) أى فى حالة حرب ضد السلطان العثمانى على إعتبار أن الكاثوليك فى (حرب) ضد الإسلام والمسلمين؟ وهل يعامل على نحو ما يعامل به أمثاله فى (دار الحرب)؟

(٢) أليس فى هذا التحول من الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية إستعلاءً على المسلمين ومخالفة لأوامر السلطان العثمانى بأن يكونوا تحت بطريرك الروم الأرثوذكسى؟

(٣) وهل إذا ثبت ذلك فهل يعتبر دمهم مهدراً ويصبحون غنيمة للمسلمين؟

ورد المفتى على تلك الأسئلة بما يلى:

ـ أن إنتقال الذمى (المسيحى واليهودى) من المسيحية إلى اليهودية أو العكس لا يغير من وضعه كذمى شيئًا، ولا يعتبر نقضًا للعهد. ومن يدخل أو يعيش فى دار الإسلام من أهل الذمة يعيش فى أمن وأمان وطمأنينة. والمسلم المؤمن من لا يتعرض لذمى بأى أنواع الأذى.

ـ أن تحول الأرثوذكسى (العثمانى) إلى الكاثوليكية لا يعتبر تعديًا على المسلمين أو إستعلاء عليهم.

ـ ليس من حق مسلم أن يأمر ذميًا بأن يطيع هذا البطريرك أو ذاك وأن وضع كاثوليكى تحت ولاية بطريرك من قبل السلطان «لا يفرض على الكاثوليكى أن يتحول إلى الأرثوذكسية أو أن يمنع الأرثوذكسى من التحول إلى الكاثوليكية.

ووضع المفتى مبادئ هامة:

١ـ ليس من حق البطريرك أن يفرض على رعيته الدينية مذهبًا معينًا فله أن يعتنق ما يشاء من المذاهب المسيحية.

٢ـ ليس من حق البطريرك أو المطران أن يتعرض للإفرنج الكاثوليك بأى نوع من أنواع الضغط.

٣ـ أن الإفرنج (الكاثوليكى الغربى (الأوربى) الذى يأتى إلى بلاد السلطان ويقضى فيها أكثر من سنة يصبح (ذميًا) وله العهد حتى ولو لم يدفع الجزية وكان من منطلقات هذه الفتوى:

١ـ الحرية الدينية للمسيحيين واليهود.

٢ـ حرية الانتقال من مذهب مسيحى لآخر.

٣ـ حرية اليهودى فى التنصر والعكس.

٤ـ أن الكفر ملة واحدة فلا يضير المسلمين أن يغير كاثوليكى مذهبه للأرثوذكسية أو العكس.

ويعتبر عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ ـ ١٨٠٧) فترة إنتقال من الدولة العثمانية

بصورتها التقليدية إلى محاولة إدخال التجديدات الحديثة فى شئونها لإنقاذها من التدهور، خاصة بعد أن وجهت فرنسا ضربتها إلى قلب العالم الإسلامى (الحملة الفرنسية على مصر). فلقد شرع سليم الثالث فى إنشاء فرق عسكرية جديدة حديثة التدريب والسلاح لتحل فى المستقبل محل فرق الإنكشارية والفرق غير النظامية التى كانت تشكل القسم الأكبر من الجيش العثمانى، وبالتالى بدأت علاقة الدولة العثمانية بأوربا تأخذ شكلاً آخر إذ كانت من قبل راغبة عن الأخذ بالحضارة الأوربية، أما بعد الحملة الفرنسية على مصر أصبحت راغبة فى الأخذ بها، وإستهوت سليم الثالث العظمة العسكرية القيادية الفذة التى أحاطت بنابليون وبجيوشه. فاقترب منه سليم الثالث، وأسرع نابليون إلى توطيد صلاته مع السلطان ليحقق أهدافه التوسعية ولتكون هذه العلاقة ورقة يلعب بها نابليون على طاولة أى مفاوضات يعقدها مع كل من روسيا وإنجلترا والنمسا. وفعلاً تم التحالف بين سليم الثالث ونابليون فى ١٨٠٦م.

على ضوء هذه العلاقات والأوضاع الدولية الجديدة، سعى الأوربيون إلى أن يكون لهم أصدقاء وعملاء فى داخل الدولة العثمانية، وبسبب هذه الطبيعة الإستغلالية الإنتهازية كان العامل الدينى أقرب العوامل إلى أيديهم، نزادت الإتصالات الأوربية بمسيحيى الشرق الأمر الذى كان يهدد الدولة العثمانية من الداخل، خاصة وأن الحملة الفرنسية كانت فى نظر المسلمين حملة صليبية جديدة الأمر الذى جعل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى مصر والشام تأخذ شكلاً حاداً لم يكن موجوداً من قبل. فالمبشرون الأجانب الأوربيون كانوا يركزون على أن أوربا المسيحية أصبحت أقوى من الدولة العثمانية الإسلامية ولن يطول الوقت حتى تستولى أوربا على البلاد الإسلامية، وكان هذا الحديث لا يثير بحدة المشاعر قبل الحملة الفرنسية على مصر، أما بعدها فأصبحت المشاعر الدينية شديدة الحساسية. وفى هذا المناخ المعقد اتجه السلطان إلى كسب فرنسا الكاثوليكية تحت نابوليون الأول وفى نفس الوقت مواجهة نمو الحركات التبشيرية فى دولته.

هذا يفسر لنا تركيز السلطان العثمانى على حُسن معاملة رعيته المسيحية، وليس معنى هذا أن هذا هو أول مرسوم سلطانى صدر فى هذا الشأن، فقد كان السلطان العثمانى وحكام الولايات يحثون على حُسن معاملة الذمى، وبوجه خاص كان القضاة يتصدون للحكام الذين كانوا يتعرضون للمسيحيين بأنواع من أنواع الظلم، إلا أن الذمى كان فى الدولة العثمانية

مواطنًا من الدرجة الثانية، بينما فى أوربا كانت القاعدة العامة هى المساواة فى حقوق المواطنة، بغض النظر عن الدين، ونقول كانت القاعدة العامة هناك هكذا، ولكن دولاً عديدة أوربية لم تطبقها، فبريطانيا مثلاً كانت ولا تزال حتى السبعينيات من القرن العشرين ، تفرض قيوداً على الكاثوليك . على أن تدهور الدولة العثمانية ـ الذى إرتبط بتدهور قوى المسلمين الدفاعية ـ وشعور أكثر المسيحيين بأى نوع لا يحصلون على حقوقهم ، وأن أوربا يمكن أن تعينهم على الحصول على حقوق المواطنة كاملة، على أن يحتفظوا فى نفس الوقت بما تحت يدهم من إمتيازات، وخاصة عدم الدخول فى الجندية، كل هذا جعل الأوربيون يسعون إلى الحصول على موضع قدم لهم فى الشام بطريقة أو بأخرى ، الأمر الذى جعل السلطان يتوجس خيفة من هذه التطورات، ومن ثم كانت واحدة من خطواته هى وقف آية تعديات قد تحدث ضد المسيحيين فى مثل هذه الظروف الدقيقة.

السلطان كان على وشك الدخول فى حلف مع نابليون الأول وكان من مصلحته أن يبدو أمام حليفه أنه رجل يحترم المسيحيين وأنه من المتسامحين دينيًا . كما ولأن المسئولين الفرنسيين كانوا غالبا وراء إصدار هذا (الخط الشريف) فقد اصدر السلطان العثمانى فرمانه هذا.

نص الوثيقة

دستور مكرم مشير مفخم لنظام العالم مدّبر الجمهور بالفكر الثاقب. متمم مهمات الانام بالرأى الصايب. ممهّد بنيان الدولة والاقبال. مشيد أركان السعادة والاجلال. المحفوف بصنوف عواطف الملك المتعال حلب واليسبى[١] وزيرى باشا ادام الله اجلاله، واقضى قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين، رافع اعلام الشريعة والدين، وارث علوم الانبيا والمرسلين، المختص بمزيد عناية الملك المعين. مولى حلب قاضيى زادت فضايله. فليكون معلومكم توقع أمرنا العالى الواصل اليكم لأجل تعمير البلاد والامصار. ورواحت [٢] الرعايا الفقرا بكل الأقطار. الذين هما امانت [٣] [وعيالهم] فأهل الذمة ومطرانهم الكبير واساقفتهم لا أحد يبدى لهم أذية [٤] أو تبديل فى الأعمال والأمور الذى تخصهم كون أمورهم حايطه علمنا. فيا أيها الولاه والحكام المراد تعملوا همه وتدقيق بمقتضى اوامرنا الشريفة ويلزمكم أن تتقيدوا باجرايها. فالباين أنكم قاطعين النظر عنها فاعلموا أننى لا أريد أن يكون ادنا[٥] مغايره فى أراضى سلطنتى لأنه من الفتوح الخاقانى[٦] إلى الان الذين نالوا البرآءة الشريفة وتميزوا فى القديمة لا يود شيا ينافى ولا يُغير ولا يُبدد ما نالوه لأنهم رعيتى فالمطران الكبير والأساقفة وتوابعهما الذى فى التيضات والقصبات والرعايا الذين [متوطنين] فى القرايا فبغير الشريعات[٧] الغرا على كذا الحالات لا يصير لهم آدنا اذيه ولما تخرج بيورديات[٨] فى تحصيل الأموال الميرية والرسايل المعينة لا يصير جرايم وغرايم ولا تجرا بُدع ومظالم ولا ادنا اذيـــة[٩] من المسموم لأن فقرهم وتبلبلهم قد طرق مسامعنا الشريفة. فالمراد وفى ساير بلاد الإسلام الذمى المتوطن وما ادى [١٠] الجزية يكون محمى من جميع التعديات والمظالم وان كان رفيه[١١] الحال يستوجب امواله باستكمالها وأسبابه ووسايله فى أى مدينة كان فهو رعيتى ومستنفى التعريف عنه، وانتما يا أيها الوزر المشار إليهم والمولى المولى عليهم المتملكين وقتيذ[١٢] فالمطران الذى بيده برآة شريفه وشروط مسطره فبدون امر الشريف لا تخسروه ولا

---

(١) أى والى حلب، وكتب [والى] بشكلها التركى [واليسى] وكذلك قاضى كتبت قاضيسى.

(٢) راحة . (٣) أمانة (٤) أذية. (٥) أدنى.

(٦) يقصد منه الفتوح العثمانية نى مطلع نمو الدولة العثمانية فى القرون الأولى من تاريخها.

(٧) الشريعة الغراء. (٨) مراسيم يصدرها الصدر الأعظم العثمانى والولاة.

(٩) أدنى أذية. (١٠) قد أدى. (١١) حالته ميسرة.

(١٢) وقتئذ.

تحبسوه ولا تكلفوه شيًا بوجه من الوجوه ولا تعملوا له ادنا اذية بل بموجب البرآة الشريفه تكون الحماية والصيانة ثم الذين يموتون من الرهبان فاملاكهم ومتروكاتهم واملاك الاديره لا أحد يتداخل عليهم ولا يتعرض إليهم وفى تحصيل الأموال الميريه والرسومات[1] المعينة لا أحد يطلب منهم جرايم ولا غرايم بل يكون لهم المراعاه والحماياة لكى يكونوا مامنين ومطماتين. ويلزمكم يا أيها الولاة والحكام أن تهتموا بالتدقيق ومن بعد الآن لا يجرا شيأ ينفى أم يخالف فرمانا العالى وعلى غير هذا المنوال تصدر منكم مزايا تجلب عليكم نار غصبنا. وينفذ عليكم أشد عقابات التعذيب. وقد ابديت إليكم امرى هذا لأجل التنبيه فالقو كلامه فى آذانكم، واعملوا اهتمام وتدقيق لأجل عمار المملكة، ولازم عليكم مراسيم الانصاف والعدالة لأنه مجرد سلطتنا مزيد اعتنايكم وتدقيقكم بأمور الرعايا، وبدون اجازة الشريعة الغرا لا أحد يعمل أذية وتعدى. وأن صار مثل وضع مواقع الحالة التى مضت وتجاسر أحدا وأجراها فيجرا تاديبه. ولا نفوت إجرا تأديبه دقيقه واحدة من الزمان فيكون ذلك بمعلومكم، وتعلموا بموجب شرحه وتقيدوا هذا الأمر الشريف فى السجل ليكون محفوظا ، وبمقتضى أمرنا يحصل أسباب الرفاهية للرعايا وأعمار البلاد. وإياكم ثم إياكم من التجاوز فتقعون فى الغاية القصوى فاعتمدوا هذه العلامة الشريفة وتجنبوا المخالفة والسلام

فى ذى القعدة ١٢٢١

---

(١) أى الرسوم الضرائبية.

(٤٠)

قولنامه سلطان بن صقر بن راشد القاسمى موقعا عليها من نائبه ومن ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية ٦ فبراير ١٨٠٦ ـ ١٧ ذو القعدة ١٠٢٢

التنافس على خطوط المواصلات العالمية بين الشرق والغرب كان بين الطرق الوسيطة: الطريق البحرى بين الصين والهند والخليج العربى إلى العراق/ الشام إى آسيا الصغرى (تركيا) إلى أوربا الشرقية وأوربا الغربية، الطريق البحرى بين الشرق الأقصى وشرق أفريقية ثم عبر وادى النيل إلى البحر المتوسط وهو أقلها أهمية، وأخيراً الطريق البحرى من الشرق الأقصى إلى مداخل البحر الأحمر وعلى طوله إلى موانيه شرقا وغربا ومنها على طول الحجاز إلى الشام إلى أوربا أو من مصر إلى البحر المتوسط إلى أوربا. وظهرت أفكار وتطبيقات للملاحة والتجارية عبر البحرين الداخلين (الخليج العربى والبحر الأحمر) جعلت لكل منهما دوره وسمآته خلال التاريخ الحديث بصفة خاصة.

فقد أدى الإجتياح المغولى لإيران والشام ووصول نفوذهم إلى الخليج العربى والحجاز بقوة ونجاح المماليك فى توجيه ضربة ساحقة للمغول أخرجتهم من الشام (معركة عين جالوت) وتصفية المماليك نهائيًا للوجود الإستعمارى الصليبى فى الشام فى أواخر القرن الثالث عشر، أدى إلى أن يتدخور دور الخليج كواسطة لنقل التجارة الشرق أقصونه إلى الغرب بينما إرتفعت قيمة البحر الأحمر إرتفاعًا قويًا فى هذا الصدد، حتى فرض المماليك نظام الإحتكار على التجارة العابرة لمصر والشام، فكان ذلك عاملاً قويًا للغاية فى أن يبحث الغرب الأوربى عن طريق مباشر يحصلون به على حاجاتهم من منتجات الشرق الأقصى بأسعار فى متناول يد جمهرة المستهلكين الأوروبيين.

فكان أن قام البرتغاليون ـ وكان غيرهم يقومون كذلك ـ بمحاولات متواصلة دءوبه فى إكتشاف أحسن الطرق العالمية إلى الشرق الأقصى يتجنبون بها المرور عبر البلاد الإسلامية الشرق أوسطية، فكان قصب السبق فى ذلك للبرتغاليين، الذين إحتكاروا (طريق رأس الرجاء

الصالح) حتى تفوق عليهم الإنجليز والهولنديون والفرنسيون ، وحتى إنفرد الإنجليز بهذا التفوق منذ منتصف القرن الثامن عشر مع إستمرارية لمناوءات فرنسية فى المياه الإسلامية الجنوبية ، وخلال ذلك نمت قوى إسلامية عربية بحرية على رأسها :

(١) البوسعيد فى مسقط، الذين أقاموا لأنفسهم أسطولاً تجاريًا وحربيًا كان التالى بعد الأسطول الإنجليزى هناك، وأقاموا إمبراطورية فى شرق أفريقية تمتد من الصومال إلى تنجانيقا ، وذات كلمة مسموعة فى داخل القارة السوداء وعلى طول سواحل ملبار.

(٢) التركيبات العشائرية العربية عند قمة الخليج وعلى جانبى الخليج الشرقى والغربى ، وكانت ذات أساطيل سريعة الحركة تعمل ضد السفن من ساحل ملبار وحتى البحر العربى.

وكانت من أهم المعاقل التى إنطلقت منها السفن العربية الإسلامية ضد الملاحة المحلية والإقليمية والعالمية ـ رأس الخيمة والشارقة ودبى، وارتفع حماس تلك التركيبات العربية القبلية فى مهاجمة السفن فى منطقة المحيط الهندى والخليج العربى عقب إنتشار المبادئ الإصلاحية على الطريقة السلفية (الدعوة الوهابية) بينهم، فأصبحت عملياتهم عسكرية ذات صبغة (جهاد) ، بينما كانت هذه العمليات الحربية البحرية فى نظر شركة الهند الشرقية البريطانية بصفة خاصة وفى نظر الدول الأوربية الغربية مجرد عمليات (قرصنة) يجب أن تقضى عليها بطريقة أو بأخرى. ومما وضع القوى الإسلامية فى موقف الضعف الشديد:

(١) أن القدرات القتالية للسفن الإسلامية فى الخليج كانت غير قادرة على تشكيل أسطول حديث ـ باستثناء مسقط ـ ولكن قادرة على القيام بعمليات هجومية خاطفة على هذه السفينة أو تلك والإستيلاء عما تحمله لتعود بـ (الغنائم) الوفيرة على القبيلة أو الجهة التى نظمت العملية.

(٢) أن البوسعيد حكام مسقط وعمان إتخذوا مواقف دفاعية وهجومية ضد سفن تلك التركيبات العشائرية البحرية القتالية فأصبحوا مع الإنجليز فى جبهة واحدة ضد تلك التركيبات العشائرية الخليجية.

ومن هنا إهتزت نظرية (الجهاد) وتفوقت نظرية القانون الدولى البحرى، وما تعارفت عليه الدول الغربية من قوانين وأعراف إعلان الحرب وعقد السلم، وهى قوانين وأعراف كانت مرفوضة من جانب تلك التركيبات العشائرية الإسلامية العربية من حيث أنها من وضع (كفار) ، ليس من حقهم أن يفرضوا منطقهم على المسلمين ومن حيث أنهم (كفار معتدون)

فلاحق لهم إلا أن يرضخوا لمتطلبات (الجهاد) الإسلامى. فكان هذا الخلاف الجوهرى أشبه ما يكون بصراع بين صاحبى حق لا يمكن أن يرضخ للآخر إلا بالقوة. وكان من سوء مصير البلاد الإسلامية أنها أعملت نظرية الحق على الطريقة الإسلامية فى وقت كانت القوة الحقيقية فى يد أصحاب الحق على الطريقة (الوضعية).

وحينذاك كانت بريطانيا قد خرجت من سلسلة من الحروب الأوروبية منتصرة على غريمتها التقليدية فرنسا بإستثناء حرب الإستقلال الأمريكية التى أخرجت دولة (غربية) على الطريقة الإنجليزية ولكن أكثر حداثة من الدولة الأم، فتبنت الولايات المتحدة الأمريكية نظرية ضرب القرصنة (الجهاد) فى حوض البحر المتوسط مثلها مثل بقية أوربا حينذاك كما تبنت بريطانيا وحكومة المركزية فى لندن وشركة الهند الشرقية البريطانية بالهند نفس النظرية ضد (القرصنة/ الجهاد) فى المياه الإسلامية الجنوبية وبصفة خاصة فى مياه الخليج العربى الذى أصبح منذ منتصف القرن الثامن مجالاً هامًا جداً من مجالات التجارة البريطانية الهندية فضلاً عن أنه أصبح الطريق المفضل لنقل البريد ولدى الرحالة بين الهند وأوربا وبريطانيا.

وكانت عمليات القرصنة/ الجهاد قد تصاعدت سواء فى الخليج أو فى البحر المتوسط على يد تلك التركيبات القبلية البحرية هناك، وفى حوض البحر المتوسط على يد حكومات العصبيات المحلية الحاكمة فى الولايات العثمانية فى شمال أفريقية (آيالات طرابلس وتونس والجزائر) فكان أن تصاعدت عمليات المواجهة بين أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية والسفن التابعة لتلك التركيبات القبلية.

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر، وخلال ما كانت الحروب النابوليونية فى ذروتها، إتجه مجلس مديرى شركة الهند الشرقية إلى أن لا تكتفى بالمواجهات العسكرية مع سفن القرصنة/ الجهاد، وإنما ضغطت على المشيخة التى تتبعها تلك السفن لعقد إتفاقية يلتزم فيها الشيخ بإتباع الأصول المرعية فى إعلان الحرب به وإعطاء مهلة ثلاثة أشهر لأخطار كافة الجهات المعنية والهدف من وراء ذلك هو منع تلك المشيخة من إقدام سننها من مهاجمة سفن الشركة دون سابق إنذار ، وفى نفس الاتفاقية فرضت غرامة كبيرة على شيخ الشارقة إذا ما خرق مواد هذه الإتفاقية التى إصطلح على تسميتها (قولنامة) بمعنى (تصريح).

وهناك من يرى أن وصف سلطان بن صقر بأنه أميرا تعنى تبعيته لآل سعود، وأنه يستمد سلطاته الشرعية من الدرعية. وترفض شركة الهند الشرقية البريطانية هذا الرأى على إعتبار

أن ممارسات الشيخ القواسمى كانت تتسم بالإستقلالية على نحو ما كانت عليه الغالبية العظمى من مشيخات الساحل الخليجى. ولكن من ناحية أخرى كانت السلطات الحاكمة فى الدرعية تعتبر كل من دفع لها (زكاة) فهو تابع وكان هذا من وجهة نظر شركة الهند الشرقية البريطانية ليس دليلاً كافيًا للتبعية.

والحق ، أن منطقة الخليج كانت حينذاك تمر بمرحلة تفكك شديد رغم المحاولات القوية التى بذلها آل سعود لإقامة نوع من (الوحدة/ التكاتف) من أجل تطوير الفكر الإسلامى على أساس الإصلاح على الطريقة السلفية، والتبشير به باللسان ما أمكن ذلك والسيف أيضًا.

وفى هذه الاتفاقية إعتراف من جانب شركة الهند الشرقية البريطانية بأن ممتلكات ونفوذ شيخ سلطان بن صقر القاسمى تمتد عبر الخليج وعلى جانبيه. فحينذاك كان العديد من مشايخ تلك التركيبات العشائرية البحرية فى الخليج لها قواعد وممتلكات على كلتا ضفتى الخليج: العربية والفارسية. ولكن السمة العامة للخليج حينذاك ـ رغم محاولات الدولة السعودية الأولى ورغم محاولات البوسعيد سلاطين مسقط وعمان لأن يُحرز أى منهما اليد العليا فى الخليج، فى غياب دور فارسى وعثمانى ـ كانت السمة الرئيسية للخليج هى التفكك الذى أعطى الفرص الواسعة لشركة الهند الشرقية البريطانية لأن تنتقل من اتفاقية تبدو فيها أقوى من الشيخ الموقع عليها إلى اتفاقية تفرض بها (الحماية) على المشيخة على نحو ما سنراه فى ١٨٢٠.

قولنامه أو اتفاق سلام

بين الشيخ سلطان بن صقر القاسمى وشركة الهند الشرقية البريطانية

فى ٦ فبراير ١٨٠٦

ببندر عباس

نص الوثيقة

قولنامه أو اتفاقية

بين الشيخ عبد الله بن كروش ـ نيابة عن شيخ المشايخ الأمير سلطان بن صقر والكابتن ديفيد ستون ـ نيابة عن شركة الهند الشرقية المبجلة فى هذا اليوم من السادس من فبراير ١٨٠٦ ببندر عباس.

مادة ١:

يعقد سلام بين شركة الهند الشرقية الموقرة وسلطان بن صقر القاسمى وجميع توابعه ورعاياه على سواحل شبه جزيرة العرب وفارس. وهم سيحترمون علم شركة الهند الشرقية الموقرة وممتلكاتها ورعاياها اينما وكيفما يكونون. وبالمثل تتعامل شركة الهند الشرقية الموقرة مع القواسم.

المادة ٢ :

إذا خالف القواسم حكم المادة المذكورة أعلاه يحق عليهم ٣٠٠٠٠ دولار. وبمقتضى هذا الشرط ، فقد وافق الكابتن ديفيد ستون على أن يتسلم من الأمير سلطان بن صقر السفينة الحربية الراسية الآن فى مسقط وعلى أن يسقط المطالبة بحمولة تلك السفينة وبمدافعها وما بمخزنها.

المادة ٣ :

يجب أن ترد أية ممتلكات بريطانية لدى اسطول صور.

المادة ٤ :

إذا حدث وأن رست على شواطئ القواسم سفينة بريطانية من أجل الأخشاب والمياه أو اضطرت بفعل المناخ إلى أن تلجأ إلى الشاطئ لأى سبب من الأسباب فسيقوم القواسم بنجدة وحماية مثل هذه السفينة ومحتوياتها ويسمحون لها باللجوء أو بالمغادرة حسبما يتراءى لأصحابها دون أية مطالبات أو ادعاءات.

المادة ٥ :

إذا ما اضطر القواسم إلى الخروج عن هذا الاتفاق بدعوى الجهاد فليعلنو ـ قبل ذلك بثلاثة اشهر ـ فى جميع الأمكنة .

المادة ٦ :

وإذا ما ثبت وأبرم الطرفان ما هو مذكور اعلاه. فسيتردد القواسم على الموانى الإنجليزية من سورات إلى البنجاب على نحو ما كان عليه الحال من قبل.

ديفيد سيتون

عبد الله بن كروش

توقيع وختم وتثبيت

سلطان بن صقر

نص الوثيقة

Coulnamah or Agreement between sheik Abdulla Bin Groosh, on the part of sheik-Ul Mus sheikh Ameer Sultan Bin Suggur Bin Rashid. Goasmee and Captain Devid Seton. on the part of the Honourable East India Company. In Bunder Abbass, This 6 day of February.

Article I.

There shall be peace between the Honourable East India Company and Sultan Bin Suggur Joasmee and the whole of his dependants and subjects on the shores of Arabia and Persia, and they shall respect the flag and the property of the Honourable East India Company and their subjects whenever and in whatever it may be and the same the Honourable East India Company towards the Josmee.

Article II.

Should the Joasmee infringe the above they shall be liable to the sum of dollars 30.000 and on this condition Captain David Seton agrees to receive from Amir Subltan Bin Suggur the Brig now lying at Muscat and to drop the claims to the cargo, guns etc. of the Said Vessel and the Shannon.

Article III.

Whatever British Property shall be found in the Sorie fleet shall be restored.

Article IV.

Should any British Vessel pouch the coasts of the Joasmee for wood or water or be forced on shore shore by stress of weather or any other causes the Joasmee shall assist and protect the said Vessel and property and permit it to be disposed or carried away, as their owners shall see fit, without claim or demand.

Articl V.

Should Johood compell the Joasmee to infringe this peace. they shall give three month's notice in all places.

Article VI.

When the above is confirmed and ratified by both parrties. The Joamee shall frequent the English ports from Surat to Bengal.

Signed / David Seton

Sealed / Abdulla bin Croosh

Signed, Sealed and Confirmed

Sultan bin Suggur

Approved and Sanctioned by the Governer General in Council on 29th April 1806.

(٤١)
كنج يوسف يفرض قيوداً اجتماعية
على النصارى واليهود
١٢٢٢ هـ
١٨٠٧ م

مقـدمة

بعد مرور حوالى نصف قرن على الحركة الإصلاحية على الطريقة السلفية بدأنا نلاحظ انتشار هذه الدعوة واعتناق بعض حكام المنطقة ومفكريها لمبادئها العامة خاصة من حيث نبذ البدع فقد أخذ ببعض مبادئها يوسف كنج والى دمشق وسليمان الصغير والى بغداد وداوود باشا والى بغداد وعبد الله بن بكرى ولكن هذا الأخذ بالنظرية الإصلاحية لم يمنع معتنقيها من العمل العسكرى ضد الحركة وآل سعود. ومصداق ذلك أن يوسف كنج باشا أصدر أوامره بأن (لا أحد يشرب خارج بيته دخان ولا تنبك ولا يصير سهريات فى القهاوى حسب العادات وابطل الغنا والملاعيب من جميع القهاوى والحارات. وأمر أيضًا أن تبطل جميع مواكيل (وكالات) الحلاوات (الحلويات) ثم أخرج امراً جازمًا أن لا أحد يجر على وجهه موس وكل من حلق ذقنه يقتل حالاً). تلك شروط وضعها على المسلمين وفى هذه الوثيقة شروطًا وضعها يوسف كنج على النصارى واليهود فى ولاية الشام منها الامتناع عن بناء كنائس أو بيع جديدة أو ترميم قديمها وأن لا يتشبه النصارى واليهود بما كان يتزيا به المسلمون.

نص الوثيقة

شروط وضعها يوسف كنج على النصارى واليهود

أولاً : إن لا يحدثوا فى مدننا ديراً ولا كنيسة ولا صومعة راهب ولا يجددوا ما دثر من كنايسهم ولا مكان جانبها قريب لعمار المسلمين وذلك لا فى ليل ولا فى نهار.

ثانيًا : نامرهم أن يوسعوا أبواب اديرتهم وكنايسهم إلى المارين وابنا السبيل .

ثالثًا : إن مر عليهم أحد المسلمين يقبلوه ثلاثة أيام بلياليها ويقدموا له كل ما يلزمه.

رابعًا : لا يقبلوا فى منازلهم ولا كنايسهم جاسوسًا بل يظهروه حالاً للمسلمين .

خامساً : لا نسمح لهم أن يعلموا أولادهم القرآن الشريف.

سادسًا : نامر بأن لا يظهر لهم شرعًا ولا يدعو إليه أحداً.

سابعًا : لا يمنعوا من يختار منهم الدخول فى دين الإسلام.

ثامنًا : نوصيهم بأن يوقروا الإسلام وإذا مرّ ودخل عليهم مسلمًا ينهضوا له واقفين هذا إذا راد الجلوس.

تاسعًا : نامرهم بأن لا يتشبهوا بملابس المسلمين لا من قلوسيه ولا عمامه ولا شيء آخر .

عاشراً : لا يتكلموا بكلامهم ولا يكتبوا [بكتابتهم] ولا يطلع احد منهم على منازل المسلمين.

الحادى عشر : لا نسمح لهم بأن يركبوا دابة مسروجة ولا ينقشوا حجار خواتمهم باللغة العربية.

الثانى عشر : نامرهم أن يجزوا مقادم روسهم ويشدوا الزنار على اوساطهم.

الثالث عشر : نامرهم أن لا يبيعوا الخمر ولا يهدوه للإسلام.

الرابع عشر : نوصيهم بأن يلتزموا بوفا دينهم حيث كان.

الخامس عشر : نامرهم إن لا يظهروا صلبانهم ولا كتبهم فى الأسواق ولا أمكان المسلمين.

السادس عشر : نامرهم بان لا يقرعون ناقوس داخل كنايسهم إلا قرعًا خفيفًا.

السابع عشر : لا نسمح لهم بان يرفعوا اصواتهم وتلحينهم فى صلاتهم داخل كنايسهم ولا امام أمواتهم.

الثامن عشر : لا يتعرض احد منهم إلى القبور القديمة لأجل الزراعة والبناء.

التاسع عشر : لا يتخذوا أحد من العبيد ويكون قد جرى عليه سهام المسلمين.

العشرون : لا نسمح لهم أن يتقلدوا بسيفٍ ولا يتخذ شيء من السلاح ولا يحملوه معهم ولا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين.

وقد شرطوا على أنفسهم وأهل ملتهم وقبلوا عليه الامان وان خالفوا هذه الشروط فلا ذمة لهم ويحل بهم ما حل بأهل المعاندة والشقاوة. ومن ضرب مسلمًا عمداً قد نقض عهده ومن اتبع هذه الشروط فله ما لنا وعليه وما علينا وهذه الشروط وضعها قديما مولانا أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقبلوا بها النضارة والمسلمين والآن قد اصدر هذا الأمر سعادة افندينا ولى النعم كنج يوسف باشا على جميع النصارى واليهود ويكون لبسهم الاسود والازرق والخمرى والأحمر رجال ونساء ولا يلبسون صرماية فى أرجلهم .

(٤٢)
رسالة يوسف كنج والى دمشق
إلى محمد على باشا بشأن خطة هجوم ثلاثية
من مصر والشام والعراق للقضاء على حركة الموحدين (الحركة الوهابية)
١٩ صفر ١٢٢٣ هـ
١٦ (إبريل) ١٨٠٨م

مقدمة

كانت حركة محمد بن عبدالوهاب فى قلب الجزيرة العربية تهدف إلى تنقية الدين الإسلامى من البدع التى دخلته، وإلى توحيد المسلمين، ولذلك عرف اتباعه (بالموحدين) إلا أن خصومهم اطلقوا عليهم (الوهابيين). وتظراً لأن تظام الدولة العثمانية لم يكن مقبولاً لديهم، ولأنهم سعوا أولاً إلى توحيد الجزيرة العربية ، ونجحوا فى ذلك بالتعاون بين الدعاة وآل سعود، اتجهوا إلى نشر مبادئهم فى البلاد المجاورة لهم باللسان وبالسيف. فكان أن هاجموا بعنف المزار الشيعى الكبير كربلاء (١٨٠١) الأمر الذى أثار أشجان الشاه الفارسى وأحرج السلطان العثمانى، وزاد حرجه استيلاء (الموحدين) على الحجاز وكان من أعز ألقاب السلطان العثمانى (حامى حمى الحرمين الشريفين) ولم يكن فى استطاعة السلطان العثمانى محمود الثانى (١٨٠٧ـ ١٨٣٩) ان يرسل جيشًا ضد الموحدين للأسباب التالية:

١ـ انشغال الدولة العثمانية بتطورات الحروب النابليونية.

٢ـ الخوف من عودة الفرنسيين أو الإنجليز إلى غزو البلاد الإسلامية.

٣ـ العداء المستحكم المتطاول بين روسيا والدولة العثمانية.

٤ـ عدم وجود قوات عثمانية على مقربة من الجزيرة العربية حيث أن الولايات العربية العثمانية كانت بيد ولاة يعتمدون أساسًا على عصبياتهم وعلى قوتهم الذاتية فى فرض أنفسهم حتى على السلطان العثمانى نفسه.

٥ـ العداء التقليدى والمذهبى بين الدولتين العثمانية والفارسية.

٦ـ كانت الحكومة العثمانية قد تعرضت لأزمة داخلية طاحنة بسبب اتجاه السلطان سليم الثالث إلى تكوين جيش حديث يحل محل الفرق الانكشارية التى أصبحت عامل هزيمة وضعف الدولة العثمانية. إلا أن الانكشارية والرجعية فى الأستانة دبرت انقلابًا دمويًا ضد السلطان سليم الثالث وقتلته ورفعت السلطان محمود الثانى إلى العرش (١٨٠٧)، وبالتالى لم تكن سلطات الأستانة فى جو يمكنها من تركيز قواها ضد الحركة الوهابية.

آثر السلطان محمود الثانى أن يطلب من محمد على والى مصر ـ بعد أن فشل ولاة بغداد والشام من قبل ـ العمل على القضاء على الموحدين ولكن (محمد على) كان لا يزال فى سنوات حكمه الأولى، وكان مماليك مصر لا يزالون شوكة قوية فى جانبه، بل لم يلبث أن تعاون الإنجليز معهم فى محاولة لطرد محمد على من مصر وإعادة المماليك إلى الحكم . ذلك التعاون الذى بلغ ذروته فى تحالف محمد بك الألفى مع حملة فريز على مصر (١٨٠٧). وإلى جانب هذا كانت أية حملة ضد الموحدين تتطلب أموالاً كبيرة وأعداداً ضخمة من الجند بينما كان جنود محمد على لا يزالون من أولئك الأرناووط المشاكسين.

كل هذا كان من بواعث تريث محمد على فى إرسال قواته إلى الجزيرة العربية وفى أن يقبل القيام بهذه الحملة بشرط أن يتعاون معه والى دمشق.

وفى هذه الرسالة خطة ثلاثية وضعها (يوسف كنج) ـ والى الشام (دمشق) ـ لتوجيه ضربة قاضية إلى الدرعية معقل الموحدين، وتعتمد هذه الخطة الثلاثية على هجوم فى آن واحد ضد الدرعية من العراق والشام ومصر.

وتكشف هذه الرسالة كذلك عن أن (يوسف كنج) كان يصر على أن تزوده الأستانة / استنبول بالمهمات العسكرية اللازمة كى يقوم بدوره فى هذه الخطة المشتركة.

وفى اعتقادنا أن هذه هى أول خطة عمل مشتركة عسكرية بين بغداد والقاهرة ودمشق فى التاريخ الحديث. ولكن للأسف كانت موجهة ضد قوة عربية ناشئة، وليس ضد الخطر الأكبر الأوروبى الذى كان يهدد البلاد العربية والإسلامية باسرها.

اقتراحات يوسف كينج الخاصة بحرب آل سعود

محفظة (١) بحرا برا وثيقة (٨) بتاريخ ١٩ صفر ١٣٢٣هـ / ١٦ ابريل ١٨٠٨م

من كنج يوسف باشا والى دمشق إلى محمد على والى مصر

حضرة صاحب الدولة والكرم والاحسان والإنسانية وذوى القوة والشجاعة والرجولة والمهابة والعظمة .

سيدى الحاكم الأعظم والاكرم وعزيزى الوزير الجليل الشآن صاحب المقام

يتشرف محبكم الصادق فى هذا الذى يتمنى لكم بصدق واخلاص طول البقاء ودوام العمر بأن يعرض على مسامعكم الكريمة بأنه مواظب على الدوام على رفع الدعوات الطيبة إلى الله الرب المتعال الذى يحقق الآمال أن يجعل هالة البدر المنير لطلعتكم اليوسفية تزداد نورا وتتسع دائرة نورها اتساعا حتى يصل النور إلى السموات السبع العلى وأيضًا أن يجعل ذاتكم الحيدرية الصفات التى هى جوهرة ترمز إلى المجد والعظمة زينة يزداد بها جمالا وبهجة الاكليل المرصع لجاه العظمة والمهابة وأيضًا أن يكلأ شخصكم الكريم بعين عنايته وحسن رعايته ليصونكم من كل سوء فى كل وقت وحال وبعد.

فان محبكم هذا الذى يقضى أوقاته كل يوم فى الصباح والمساء بترطيب لسانه بذكر مناقبكم العطرة وبترديد محاسن أوصافكم البهية والذى يكن فى سويدا قلبه منذ وقت بعيد الصداقة الخالصة لذاتكم الكريمة صاحبة الشرف الباهر بينما كان مترقبا سنوح فرصة سعيدة، يفتتحها فى تلقى الأخبار السارة عنكم من أن الصحة والعافية على اتمها وأن نجم مجد دولتكم قد أخذ يعلو فى سماء المجد ويزداد فيه لمعانا وبريقا إذ به يحظى مؤخرا بتلك الفرصة السعيدة إذ تشرف بتسلم تحريراتكم السامية الذى بعثتم بها إليه فعلم منها إن سعادة الأخ عبد الكريم اغا المابين الهايونى[1] قد قدم مؤخرا إلى لدن دولتكم من الأستانة موفدا من قبل جلالة السلطان ملك الملوك فى العالم، وأنه قد سلم لكم الهدايا العظيمة المباركة التى أهدى بها إليكم جلالته السلطان التى أصبحتم بشرف نيلها من السعداء وابلغكم النطق الشفوى الكريم الذى اصدره جلالته إليكم من أن جلالة جد مرتاح منكم وراض عنكم ومعجب حق

١ـ (المابين الهايونى = الجناح الخاص لاجتماع الوزراء ومقربى السلطان بقصره وكذلك الخاص لانتظار من يريد مقابلة السلطان.

الاعجاب بالخدمة الجليلة التى قمتم بها إذ اخمدتم فتنة امرا مصر القاهرة (المماليك) تلك الفتنة التى آثارها أولئك الأمراء بشقهم عصا الطاعة على الدولة فسلطتم على رءوسهم حسامكم البتار للعدو فحسها حسا بل التقمها التقاما مثلما يلتقط الحوت الاسماك فى معركة حاسمة بينكم وبينهم، فزالت الفتنة بذلك بفضل عطف جلالة السلطان عليكم وببركة الدعوات الصادقات الصادرات عن قلوب اخلائكم الذين يريدون لكم الخير ويعملون على أن ينالوا المزيد من محبتكم لهم، وعاد الأمن والأمان يسودان مصر القاهرة من جديد ولله الحمد والمنه.

كما ابلغكم كذلك أن جلالة السلطان قد أستبشر بهذا النجاح الباهر الذى كان حليفكم فى القضاء على فتنة أولئك العصاة واستهل به استهلالا طيبا فامركم بأن تستلوا أحسامكم البتار للعدو هذا مرة أخرى وتقاتلوا به كذلك طائفة الوهابيين الذين قد انحرفوا منذ وقت ليس بقصير عن سبيل الطاعة وسلكوا سبيل العصيان والطغيان واستولوا على الحرمين الشريفين المحترمين عنوة وعاثوا فيهما فسادا وتجاسروا على ارتكاب أفعال وحشية تشمئز منها النفوس الأبية الطاهرة وتحبسوا به كذلك رءوس هؤلاء العصاة الطغاة مثلما حبستم به رءوس امراء القاهرة المذكورين قبلا حتى تزول فتنتهم أرض الحرمين الشريفين وتطهر الأرض من فسادهم ودنسهم.

هذا وأنه قد غادر مساره الأخ المشار إليه مصر القاهرة لانتهاء مهمته وأنكم قد سلمتم له ميثاقه خطيا لجلالة السلطان مصدقا عليه بخطكم الكريم بأن أمر جلالته إليكم على الرأس والعين وأنكم ستنفذون الأمر بكل رغبة وقبول وأنكم ستنصرون الدولة العلية التى تتمنون لها الدوام الابدى وستبذلون جهدكم فى مقاتلة أولئك الوهابيين الخوارج وفى سبيل اجلائهم عن أرض الحرمين الشريفين وانقاذ هذه الأرض وأهلها من شر هؤلاء الخوارج وفسادهم، وأنه بما أن مقاتلة هؤلاد الخوارج والعمل عن اجلائهم عن الأرض المقدسة المذكورة لمهمة جد عظيمة تتطلب أن يساهم فيها كل مخلص صادق غيور على عرضه وشرفه مسارع إلى اداءه واجبه نحو دينه وملته بصدق واخلاص فان دولتكم تطلبون منى ان اساهم فيها انا ذلك، واساعدكم على أن تكون مساهمتى ومساعدتى بتوحيد الجهد فيما بيننا وبالاتفاق بيننا على ميعاد مناسب ومبكر نضرب فيه العدو ضربتنا فى آن واحد كل واحد منا من جانب ، بالعتاد والقوة اللذين يكون قد اعدهما لتأدية هذه المهمة لأننا إذا وحدنا جهودنا فى تأدية هذه المهمة وساعد بعضنا البعض وضربنا العدو فى آن واحد نكون حينئذ قد ملكنا الوسائل الكفيلة لتدمير العدو ودحره

من كل جانب وأيضا أسباب نصرة دين مولانا وسيدنا وصفوة خلق الله فى الدنيا والآخرة محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وأسباب اسناد دولتنا ونيل رضا الله تعالى عنا وحيازة اعجاب جلالة السلطان بعملنا وتقديره احسن له تقديرا عظيما وعليه فانه لم يكد يقع بصرى على الاسطر التى تضمنت هذه الأسباب السارة العظيمة حتى خيل إلى من شدة الفرج الذى احس به لكانها اليواقيت وقطع المرجان قد نظمت تنظيما بديعا فى تحريراتكم السامية هذه لتزف لى هذه الأنباء الجليلة فشعرت بسرور بالغ عظيم لا يسعفنى القلم ولا اللسان أن أصفه لدولتكم إذ انها قد ازالت عنى فورا بل اقول قد ازاحت عن قلبى الحيران المتعذب الذى كان قد اشرف على الهلاك جميع الالام والأحزان والهموم والغموم التى انتابته من اجراء سوء الأحوال ومعاكسة الحظ فدبت فيه من جديد حياة جديدة فاخذ يدق قريبا كما مسحت عن مرآة خيالى التى كانت تنعكس عليها الآمال التى نريد تحقيقها ذلك الصدأ الذى كان قد غطى عليها وحال دون انعكاس الآمال عليها حتى الآن، فأصبحت والحمد لله والمنة صافية براقة مستعدة لتنعكس عليها الآمال من جديد اسأل الله سبحانه وتعالى أن يطيل بقاء حضرة صاحب الجلالة والقدرة والعظمة والابهة والكرامة مولانا ومليكنا وولى نعمتنا وأن يجعل جلوس جلالته على عرشه السعيد قرينا بخلود الابدين ودهر الداهرين وأن يجزل له العطاء ويلهمه التوفيق وسداد الرأى من تصريف شئون ملكه ويذل اعدائه الذين يريدون له السوء ويرسل لهم النكبات على الدوام أمين.

يا سيدى يا من شعاره المروة والإنسانية يا من يبادر إلى لقائه الملهوف وانقاذ من حلت به الضائقة إن اللحظة التى كان محبكم الصادق هذا الذى يغار على الشرف ويسعى فى حفظه قد اقترح على الدولة العلية منذ سنة خطة تتبعها فى طريقة مقاتلة العدو الوهابى هذا فى أرض الحجاز لإجلائه عنها والذى كان قد كتب عنها للدولة المرة بعد المرة وألح على تنفيذها إنما كانت نفس هذه الخطة التى اشرتم إليها إلان دولتكم فى تحريراتكم السامية هذه إذ أنى طلبت من الدولة الهجوم على طائفة الوهابيين من جهات ثلاث بدلا من جهة واحدة وعلى معقلهم نفسه الذى هو مدينة الدرعية وفى ميعاد واحد قبل موسم الحج تتفق عليه الجهات الثلاث وهذه الجهات هى جنابكم الخديوى مثال البطولة والشجاعة واخونا الوزير الجليل والى مدينة بغداد التى هى دار الجهاد ذلك الوزير الخطير الذى اعتبره نظيرا للحكيم ارسطو فى تصريف أموره وتدبيرها بالسياسة والحكمة ومحبكم الصادق هذا بحيث يبدأ كل واحد منا الهجوم على

الدرعية من جهته فى الميعاد الذى نتفق عليه. ويراعى أثناء الهجوم كذلك نظام توحيد الهجوم فى جيش احد حتى يكون الهجوم موحد منظما والضرب كذلك مركزا قويا.

هذا كما اوضحت للدولة العلية الأهمية العظمى لهذا الهجوم الذى سيكون على الدرعية معقل العدو نفسه من جهات ثلاثة وبينت لها أنه هو الذى سينقذ الحرميين المحترمين نهائيا من ايدى الطمة باذن الله تعالى. وبكل سهولة عندما تهجم الجيوش الثلاثة على الدرعية من جهات مصر والشام وبغداد وتنقد عليها اسرابا واسرابا مثل اسراب البوم والغراب الدمار تذر الخراب وتدكها دكا وتدمرها بعون الله المنتقم القهار إلا انه قد تبين بعدما تقدمت بهذه الخطة للدولة العلية وأوضحت لها أهميتها أنه لم يكن فى الأمكان الشروع فى تنفيذها بسبب العقبة الكؤودة التى قامت فى سبيل تدبير المهمات والعتاد الحربى اللازم لتجهز به القوة العسكرية التى ستكون تحت قيادتى، إذ لأن هذه المهمات والعتاد لم يكن جلها موجود عندى بدمشق حتى تجهز به القوة العسكرية المذكورة فورا . فكان لابد من الانتظار بعض الوقت حتى ابلغ الأستانة لزوم تدبير هذه المهمات والعتاد من عندها وارسالها إلى دمشق، الأمر الذى قد اخر العمل بالخطة المذكورة بعض الوقت.

هذا كان وأنه لم يكن جائزا أن تمنع الدولة العلية فى العام الماضى الحجاج المسلمين عن تأدية فريضة الحج وان تكف عن إرسال الصرة المخصصة لفقراء الحرمين المحرمين وعن إرسال النقود المخصصة للعرب التى ترسلها عادة إلى الحجاز كل سنة. لابد للدولة أن تصرح لحجاجها بأن يسافروا إلى الحجاز لتأدية الفريضة ومن ان ترسل الصرة ومخصصات العرب إلى هناك كالأول. فاصدر جلالة السلطان فى العام الماضى بأمره الكريم بان يسافر الحجاج وترسل الصرة والمخصصات المذكورة إلى الحجاز من الشام ارسال سليما ، حتى أمر شخص آخر بدلا من محبكم الصادق هذا وذلك تجنبا من حديث قيل وقال بين الناس قد يسئ بسمعة الدولة فنفذت امر جلالة السلطان بحذافيره إذ أرسلت على الفور الحجاج والصرة والمخصصات إلى الحجاز ارسالا سليما تحت امرة شخص آخر بدلا منى حسب أمر جلالة السلطان. ثم جاءت الأخبار وليتها ما جاءت بأن الحجاج ما أن وصلوا إلى مكان يبعد نحو ثلاثين ساعة من أرض الحرمين المحرمين حتى فوجئوا بجنود طائفة الوهابيين هؤلاء مرابطين هناك وأنه قد اقترب منهم هؤلاء الجنود وأخذوا منهم الصرة والمخصصات المذكورة ومنعوهم من دخول المكان ومتابعة السفر إلى

الحرمين المحرمين وقالوا لهم لا يجوز لكم دخول الأرض المقدسة لانكم مشركون وقرروا عليهم الآية الكريمة [إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام] وانذروهم أن يعودوا ادراجهم فعاد هؤلاء الحجاج المساكين من هناك مقهورين مهانين دون ان يتمكنوا من تأدية فريضة الحج ومن الوقوف بعرفات بعد ما تكبدوا المشاق الجسام ليصلوا إلى هناك على أمل أن يأدوا الفريضة ويقفوا بعرفات بينما لم يمنع الجنود الإيرانيون الذى وصلوا إلى هذا المكان من إيران من دخول المكان ومتابعة السفر إلى مكة والمدينة لتأدية الفريضة واداء فريضة الحج والوقوف بعرفات وان هؤلاء الجنود فعلوا ذلك بحجاج الدولة العلية أى أنهم تصرفوا معهم بهذا التصرف الشاذ الكريه الذى يثير الدهشة والحيرة فى العقول والكراهية فى النفوس لأن كبير طائفتهم ذلك الحسود اللدود الذى يحسد جلالة السلطان على خلافته للمسلمين والذى يحقد حقدا كبيرا على الدولة العلية من أجل ذلك ونادى بنفسه هو الخليفة الشرعى للمسلمين قد اصدر إليهم أمر مشددا بأن يفعلوا ذلك بحجاج الدولة العلية ومما استنتجنا من هذا التصرف إن معاملة جلالته الإنسانية اللطيفة هذه لم تستطع أن تخرق غشاء الحسد الذى احاط بقلب الحسود من كل جانب حتى ينفذ فى القلب فتؤثر فيه بعض التأثير ليميل لحب الدولة واحترامها أو لنبذ العداوة وترك البغضاء من أجلها على الأقل. وأن الحسود ما زال مستمرا فى عدائه وبغضائه للدولة وجلالة السلطان ومصرا على عناده فيهما اسأل الله تعالى أن يؤيد الدين والدولة العلية وان يطيل بقاء اخوانى المسلمين آمين.

وبعد فاننى إذ كنت اقترحت على الدولة العلية الابدية الاستقرار أن تنفذ الخطة المذكورة فى مقاتلة طائفة الوهابيين واجلائهم عن الأراضى المقدسة فانما اقترحتها بقصد لفت النظر إلى ما فيه سهولة التنفيذ لتحقيق مصلحتها لا بقصد السعى وراء تحقيق أى مصلحة أخرى، لاننى أن ما وصل سعادة عبد الكريم اغا المشار إليه إلى دمشق وبرفقته ولدنا عزة سليمان اغا قبوجو اراندرون دولتكم [١] الذى اوفدتموه المشار إليه حتى اجتمعت مع سعادته فورا بعد الانتهاء من واجبات استقباله والترحيب به وكلمته بخصوص موضوع الخطة المذكورة وشرحت له أهميتها وعظيم فائدتها وذكرت له أثناء الحديث أننى مسرور جدا من دولتكم وشاكر لكم على تقديركم

١ـ الموظف المختص بادارة شئون حريم محمد على.

لمصلحة الدين والدولة واهتمامكم بها اشد الاهتمام واننى متضامن معكم فى تحقيق هذه المصلحة وطلبت منه أن يبلغ اسيادنا أولياء النعم فى الأستانة اننى منتظر بفارغ الصبر أن يخبرونى سريعا بالمهمات والأدوات الحربية التى سبق أن طلبتها منهم واستعجلتهم فى ارسالها إلى.

هذا وقد غادر سعادته مؤخرا دمشق بصحبة عبيدكم سعاة بريدى الذين امرتهم بأن يرافقوه فى الطريق ويخدموه فيه كما أنه وقد جاء فى الأوامر العلية التى تلقيتها أخيرا من اسيادنا أولياء النعم فى الأستانة على يد عبدكم اغا سعادة بريدى(١) الذى حضر مؤخرا من هناك أنهم قد اهتموا مؤخرا بتزويدى بالمهمات والأدوات المذكورة اهتماما بالغا وشرعوا فعلا فى اعدادها وارسالها إلى بسرعة الأمر الذى استبشرت به واعتبرته فأل خير ، فبمجرد وصول هذه المهمات والأدوات فى القريب العاجل ان شاء الله ساشرح باذن الله فى تجهيز القوة العسكرية التى ستكون تحت قيادتى أثناء تنفيذ الخطة، ولن الى جهد فى تنفيذها وتجهيزها بها وفى سبيل اعدادها اعداد تاما ، حتى تكون معدة ومستعدة للشروع فى تنفيذ الخطة لغاية حلول الميعاد الذى سنتفق على،ه إلا أن هناك مطلبا أو رجاء خاصا لى لدن دولتكم التمس أن تعيروه اهتمامكم الجليل به وكريم عنايتكم به وهو أن تكتبوا كذلك دولتكم خطابا من عندكم للأستانة تستنهضون فيه همتها فى اعداد تلك المهمات والأدوات وارسالها إلى بسرعة حتى تنشط فى اعدادها وتتعجل فى ارسالها إلى، فلا يذهب الوقت هدرا بالتسويف وفتور الهمة فى الحصول عليها حتى حلول ميعاد تنفيذ الخطة، وأيضا تحثونها فيه على أن تصدر أمرها لو إلى بغداد الذى هو قريب من منطقة العصاة هؤلاء ومجاور لها أن يستعد هو كذلك من جانبه للمساهمة فى تنفيذ هذه الخطة وذلك بأن يشرع فورا فى تجنيد جيش كثيف عنده وأن يتصل بنا على الدوام عن طريق المراسلة حتى يبلغ الخبر إلى العدو فيستولى الرعب على قلبه فيضرب ويرتبك ولا يقدر أن يعرف كيف يتصرف لمواجهة هذه الجيوش.

وأخيرا فنظرا لأن ميعاد الشروع فى تنفيذ هذه الخطة قد أخذ يقترب يوما فيوما فان رجائى الخاص أن لا تضنوا دولتكم على بمساعدتكم فى استنهاض همة الأستانة فى ارسال المهمات

١ـ كبير سعاة بريد.

والأدوات المذكورة التى طلبتها منها حتى نتفادى بذلك اضاعة الوقت فى تنفيذ الخطة واننى أؤكد لدولتكم أننى سأبذل أقصى جهدى فى سبيل تحصير تلك المهمات والأدوات من الأستانة كما وأننى متضامن معكم فى تنفيذ الخطة ومتفق معكم بشأنها اتفاقا تاما واعطيكم ميثاقا ووعدا صحيحا صحيا مضبوضا بأننى اتعهد على نفسى أن أبذل كل ما فى إمكانى من جهد واستعداد فى سبيل نصرة الدين والدولة العلية وان آتى ميثاقى ووعدى هذين وفاء تاما وان لا انكث مطلقا هذا وسأراسلكم على الدوام بأذن الله تعالى بكل دقة وعناية ، ولن أقصر فى مراسلتكم قط. ونظرا لأنى أحب دولتكم حبا صادقا ينبعث من قرارة فؤادى فى الظاهر والباطن ولأنى اعتبركم فى الوقت نفسه كذلك اخاى الأكبر والاكرم الذى سما مقامه العالى فى سماء المجد فوازى منزله النجم (الثريا) فيه حتى أصبح له بذلك الحق فى أن يفتخر بين انداده ويعتز به فاننى قد كتبت لكم هذه العريضة لابلاغكم بها أننى كتبتها لكم كوثيقة منى جديدة إليكم اجدد لكم بها ميثاقى الذى كنت.

ختم

يوسف

(٤٣)

رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز إلى يوسف كنج
يوليو / اغسطس ١٨١٠ - رجب ١٢٢٥

مقدمة

ترتكز دعوة محمد بن عبد الوهاب على التوحيد بالله(١) وعلى أصول الدين الإسلامى، وتأدية الفرائض، وتجنب البدع. وهذه واحدة من الرسائل التى كان يبعث بها آل سعود إلى حكام المنطقة شارحين فيها أسس الدعوة التى وضعوا سيوفهم فى خدمتها ونشرها، مطالبين هؤلاء الحكام بالأخذ بها، واستعداد الجانب السعودى لإرسال (مطاوعة) لشرح هذه الدعوة ومناظرة من يريد مناظرتهم.

نص الوثيقة

من الموّهب لله إلى يوسف باشا حاكم الشام وطرابلس السلام التام والتحية والاكرام. يهدى إلى سيّد الأنام محمد عليه السلام.

وبعدُ ننهى إلى جانب المكرم ، والمحب المحترم، يوسف باشا ، بلغه الله من الخيرات ما شاء.

فقد وصل إلينا كتابكم، وفهمنا ما حواه خطابكم صحبة الركب القادمين إلى بيت الله الحرام، إذ وصلوا بالسلام ، وحصل لهم ما أرادوا من مشاهدة تلك الأماكن العظام، وقضوا المناسك وبلغوا المرام، ووقع لهم منا ما شاؤا من حسن الرعاية والاحترام، وعاملناهم بما استحقوهُ من الأكرام، وتأملوا ما نحن عليه من اقامة الشرايع الدينية وإحياء السنن النبوية، والحمد لله الذى بنعمته نتمم الصالحات، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. لقد جاءت رُسُل ربنا بالحق، وكنا قبل منة الله علينا فى هذا الدين فى غاية الجهل والضلال المبين، فهدانا الله إلى دين الإسلام، فأنقذنا به من الضلالة، وأبصرنا بعد العماية، وجمعنا به بعد الفرقة، وأزال به الشرك ثم والفساد ، ومكن دينه وأظهره فى العباد والبلاد ، وأعاننا على اقامته فى جميع رعايانا الحاضر والباد ، وأزال الظلم من بينهم والعناد ، ومن الله علينا فى إقامة العدل فى الرعية، حتى صاروا الحمد لله على الحق فى السوية، فاطمأنت البلاد وأمنت السبل من الظلم والفساد. فالحمد لله على ما أولانا ، والشكر على ما اعطانا.

وقد بلغكم ما نحن عليه، وندعو(ه) الناس إليه، ولكن ربما يقع من نقل الأخبار زيادة ونقصان. فتذكر الآن لكم حقيقة ذلك لتكونوا من معرفة دعوتنا على يقين، وعسى أن تكونوا لنا من المسعفين على إقامة هذا الدين. فيقيننا الدين نحن عليه وندعو الناس إليه، هو الأخلاص لعبادة الله وحده، ولا نذبح القربان إلا لله وحده، ولا نرجو إلا هو، ولا نخاف إلا منه، ولا نتوكل إلا عليه. وأننا نتبع الرسول ونوجب طاعته على جميع المكلفين، ونستسن بسنته ونهتدى بهداية الله، ولا نعبد إلا الله، ولا نتقرب إلا إليه، بما شرع على لسان رسوله مما دلت

عليه النصوص القرآنية، والسنن النبوية، وهذان الأصلان هما حقيقة شهادة لا إله إلا الله وشهادة أن محمد رسول الله، ولا إله معبود إلا الله.

فمن حرف شيء من العبادة لغير الله فقد اتخذ إله [١٨٠] مع الله، والله سبحانه قد أرسل رسله بالدعوة إلى التوحيد، وقال الله تعالى: لقد ألقينا في كلام الرسل أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. وقال تعالى : وما ارسلنا من قبلك من رسول، إلا يوحى إليه أن لا إله إلا الله فاعبدوه. وقال تعالى: فاعبدوا الله مخلصين له الدين، إلا الدين الخالص فادعوهُ إلى التوحيد هو دين الرسلُ. فلا يُدعى إلا الله وحدهُ كما قال تعالى : وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا.

وفي الحديث عن الصادق والمصدوق ، رحمة الله عليه وسلامهُ: إن الدعا مخ العبادة. ثم قرأ رسول الله قال: ربكم إدعوني فاستجب لكم. إن الذين يستكبرون على عبادته سيدخلون، وآخرين فمن دعا غير الله واستغاث بغيره في كشف الشدايد وجلب الفوايد فقد أشرك بالله والله لا يغفر للمشرك، كما قال: إن الله لا يغفر لمن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك إلا لمن يشا. وقال حُكي عن المسيح، عليه السلام، من يُشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة. وقال تعالى : {والذين تدعوهُ من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاهُ وما هو بالغهُ، وما دعا الكافرون إلا في ضلال}. وقال تعالى: {ومن يدعى مع الله إلهًا آخر لا برهان له به، فانما حسابهُ عند ربه إنهُ لا يفلح الكافرون} فمن دعى إلهًا غير الله أو سأل ميتًا واستغاث به في قضا الحاجات، وتفريج المكربات، قد اتخذ الهًا مع رب الأرض والسموات. وكذلك من ذبح القربان لغير الله أو سجد له، أو خافهُ خوف السراء، أو اتكل عليه، أو عبده، لأن هذه الأمور لا تصلح إلا لله وحده. وقال تعالى: {قل إن صلواتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له} {وصلى لربك وانحر}. وقال تعالى : {فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين}. وقال: {لم يخش إلا الله فاعبدوه وتوكل عليه إن كنتم مؤمنين}.

فالتوحيد [هو أصل] دين المرسلين، فأول ما تدعو الناس إليه، فمن استغاث بالله وحدهُ وأخلص له العبادة وعمل ما فرض عليه، فهو أخونا المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا ، ومن لم يصغ لذلك بل أقام على شركه كفرناه وقاتلناه كما أمرنا بذلك بقوله: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله} ونأمر بإقامة الصلوات في أوقاتها، بأركانها وأحيانها، ونكرّم جميع رعايانا ومن هو تحت طاعتنا بذلك. ونأمرهم في اثبات الزكاة وصرفها في مصارفها.

من سعود بن عبد العزيز إلى يوسف كنج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معزّ من أطاعهُ واتقاه، ومُذلّ من أضاع أمره وعصاه، الذى وفق أهل طاعته للعمل برضاه، وحقق على أهل معصيته ما قررهُ عليهم بقضاه. وأشهد أن لا إله إلا الله لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه. وأشهد إن محمد عبدهُ ورسولهُ أرسلهُ بالهدى والحق ليظهرهُ على الدين كلهِ وكفى بالله شهيداً.

إلى جناب حضرة يوسف باشا وزير الشام، سلامُ على من اتبع الهدى.

[أما بعد] فانى ادعوك إلى الله وحده لا شريك لهُ كما قال النبىُ فى رسالته لهُ: قل اسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين. والله تبارك وتعالى أرسل محمد وأكمل الدين على لسانه، وأخبر جل جلالهُ فى كتابه : من يطيع الرسول فقد اطاع الله، وأول ما دعى إليه النبى، عبادة الله وحدهُ لا شريك له، وترك عبادة ما سواهُ. قال الله تعالى: {ولقد بعثنا من كل أمة رسول، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}. قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه، أنه لا إله إلا أنا فاعبدونى}. وقال تعالى : {وسأل من أرسلنا قبلك من رُسلنا أجعلنا من دون الرحمان [٤] إلهة يُعبدون}. وقال تعالى : {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد}. وقال تعالى : {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يُستجاب لهم بشىء}. وقال تعالى : {ومن أضل ممن يدعوا من دونه الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون}. وقال تعالى : {ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار}. وقال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} . وآمر جل جلالهُ بطاعة رسوله، والدين مبنى على اتباع أمر الله وأمر رسوله، والاختلاف بيننا وبين الناس عند هذين الأصلين، أى الأخلاص والمتابعة. فالأول أنفى الشرك، والثانى نفى البدع. قال الله تعالى : {فمن كان يرجو لقاء ربه فيعمل عملاً صالحا، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} وفصل النزاع بين المختلفين عند كتاب الله. قال تعالى: {وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله}. وأصل الدين الذى تدعو

الناس إليه هو ما دعى إليه محمد، اخلاص العبادة لله، وإقامة الفرايض الذى افترض الله عليه، ونفى الشرك وتوابعه من كل قبيح.

وهذه جملة تكفى عن التفصيل ، فان هداك الله فحيزتها لك وتفوز بسعادة الدنيا والآخرة. ولا نلزمكم إلا ما أوجب الله عليكم وشهدتم أنه الحق. ولا ننهاكم إلا عما حرم الله عليكم وشهدتم أنه الباطل. فان أشكل عليكم الأمر وطلبتم المناظرة عندنا. فان آبيتم إلا الكفر بالله، واخترتم الضلال على الهدى، نقول كما قال جل جلالهُ: { أن تقولوا إنما هم فى شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم}. ونقول يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، فانه نعم المولى ونعم النصير.

(٤٤)
رسالة من عليان الضّبينى ـ أحد قواد
سعُود بن عبد العزيز إلى يوسف باشا كنج
١٢٢٥هـ / ١٨١٠م

مقـدمة

فى هذه الرسالة حدد عليان الضبينى النواحى التى انتقدتها دعوة (محمد بن عبدالوهاب) وأهمها:

١ـ الإسراف فى زينة الملابس.

٢ـ ذبح القربان لغير الله.

٣ـ بناء المقامات على القبور.

٤ـ الإعتقاد بقدرة الأولياء والأقطاب والدراويش على الشفاعة والنفع والإيذاء.

٥ـ شرب الخمر وانحراف النساء واللواط.

٦ـ شرب الدخان.

٧ـ سب الدين.

٨ـ الحلف بغير الله.

٩ـ كل ما يلهى الإنسان عن ربه أو عمله كلعب الورق والحديث على المقاهى.

١٠ـ ظلم العباد وقبول الرشوة.

ولقد كانت تلك العيوب الإجتماعية والأخلاقية منتشرة فى ذلك الوقت بشكل أضر بقدرات المجتمع الإنتاجية والتطويرية، خاصة من حيث الإسراف الشديد فى الإعتقاد بقدرة أولياء الله على قضاء الحاجات، والإسراف فى بدع أقحمت على الدين الإسلامى حتى كادت تطغى على أصوله. كذلك يلاحظ أن (عليان) يركز على الناحية العربية من الإسلام.

وفى ختام الرسالة دعوة إلى والى الشام يوسف كنج بالأخذ بما يدعو إليه، فان آمن ظل حاكمًا على البلاد التى تحت يده بدخولها.

نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عليان الضبى إلى عالي الجناب والدستور المهاب عين الأعيان وعمدة الكبراء الفخام، ذوى القدر والاحتشام، الوزير المكرَّم، وإلى الشام الحاج يوسف باشا سلمهُ الله تعالى من الآفات، وأهداهُ إلى العمل بالصالحات الباقيات. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم بعدهُ نخبرك، لا خيرك الله بمكروهٍ، انشا الله تعالى ما نعرف إلا بالذى فيه الصواب. نعلمك بأحوال المسلمين، حضر واعراب، ويحكمون مطاوعتهم بموقوع كتاب الله المنزَل بشريعة النبى محمد، وينصفون الضعيف من القوى، وينهون عن الشينه، ويهدون إلى الزينه، ولا يسلك عندهم مثل أحوالكم هذه، أى الافتخار فى الملابس، وكلّ الحوادث الغير المرضية لله فلا يقلبونها. ونحن أعراب ونبينا محمد عربى، وأصحابهُ أعراب، رضوان الله عليهم اجمعين.

فسبب تسطير هذه الاحرف إليك فهو: إننا لما كنا عندكم بهذا العام فأعلمناكم بالواقع، ولم أمكنا نصلكم لما لقينا على الأزرق وصارت المسلمين ووجهها لطرفكم لكى يطالعوا ما يجلب الخير، وما كان توجههم لمحاربة، ونحن لم نزل نحقن دم الإسلام ما بيننا. والآن كتب إمامنا المكرم سعود ولد عبد العزيز كتابته وهى واصلة لكم، ومراده ترسلون علماوكم يقابلون علماونا، وكل منهم يوجب مسألتهُ بما أنزل الله على رسوله، فان اشتهيتم وأردتم ترسلوا لنا أربعة علما يكونوا ذوى فصاحةٍ على الأربعة مذاهب، ويلفوا علينا فى مدينة الكرك ونتسلمهم بامان الله بالاحتشام والاكرام، حتى نوصلهم ونزدهم سالمين بحيل (يحول) الله وقوته، ولو أننا نشوف علماؤنا يُغلبوا فهم مكرمين ومعززين. وان ما اشتهيتم، فارسلوا لنا الأمان حتى نجيب علماونا لأننا نعرف امان الله. ثم سألكم صادق وكلّ من وقفَ على ديانة الحق انشا الله نتبعهُ.

ونحن نعرض عليكم بزيادة على ما فى مكتوب سعود عن الاشتراك فى العبادة، وذبح القربان لغير الله، وبنا المقامات على القبور، والاعتقاد بالاوليا والانبيا والشهدا والصالحين، وأصحاب النوبه والأقطاب والفقرا والدراويش ، كلّ هذا يرجوكم الشفاعة والتوسط، فهذا كلهُ عندنا اشتراك. والذى نحن عليهِ كل من أرضا الله باعمالهِ، وبانت شواهدهُ بالبرّ نحشمهُ ولا نستغيث به، وزيادة الخطايا الظاهره مثل شرب الخمر، واللواط ، والنساء الخارجات، وسبّ الدينْ، والحلف بغير الله، وشرب التوتون (الدخان)، والاركيله، ولعب المنقله، والورق، والحديث

بالقهاوى، وضرب الطار، ولعب والأشعار وكلما يلهى عن عبادة الله. فكلُّ هذا مكروه ويُبعد عن الله تعالى، وظلم العباد والبلص واقتبال الرشوة من العلما، ومراعاة الوجوه فى الشريعة هذا كله ما يقبلوه المسلمين.

فهذا شرحنا لك فان كنتَ قاصد على الانتفاع عند الله ثم عند سعود، دايرتك مملكة لك، وكل مدخولها مع لوازمها بحقيقة الله لك، وبغير أمر مُنزل من السبع سموات ما نعمل شىء، وأنت فاصل فى رأيك، وان كان لك خاطر فى طلوع الحاج، ارسل لنا نتواجه انت وسعود، والذى يوجب الديانة الحقيقية نحن نتبعهُ، والذى يجنب عنها فهو ضعيف، ولا دين غير دين الإسلام. ونحن متوجهين عليك بفاطر السموات والأرض تحقن دم الإسلام، باقبال العلما لبعضهم وترسلوا لنا فى المعتمد.

الفهـــرس

رقم الوثيقة	موضـــوع الوثيقـة	التاريخ	الصفحة
	القاهرة والثانية وقعها مينو قائد عام الجيش الفرنسي بالإسكندرية		
٣٧	ـ معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية وفرنسا	٢٥ يونيو ١٨٠٢	٢٠٤ ـ ٢١١
	رابعا : صعود الدولة السعودية الأولى		
٣٨	ـ أمان الإمام سعود لأهل مكة المكرمة	١٨٠٣	٢١٣ ـ ٢١٥
٣٩	ـ خط شريف للسلطان سليم الثالث بعدم التعرض للنصارى	يناير ١٨٠٦	٢١٦ ـ ٢٢٢
٤٠	ـ قولنامه سلطان بن صقر بن راشد القاسمي	٦ فبراير ١٨٠٦	٢٢٣ ـ ٢٣٠
٤١	ـ كنج يوسف يفرض قيودا اجتماعية على النصارى واليهود	١٨٠٧	٢٣١ ـ ٢٣٣
٤٢	ـ رسالة يوسف كنج والى دمشق إلى محمد على باشا بشأن خطة هجوم ثلاثية من مصر والشام والعراق للقضاء على حركة الموحدين (الحركة الوهابية)	١٦ إبريل ١٨٠٨	٢٣٤ ـ ٢٤٢
٤٣	ـ رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز إلى يوسف كنج باشا	يوليو/أغسطس ١٨١٠	٢٤٣ ـ ٢٤٧
٤٤	ـ رسالة من عليان الصبيني احد قواد سعود بن عبد العزيز إلى يوسف باشا كنج	١٨١٠	٢٤٨ ـ ٢٥٠

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٥٦١

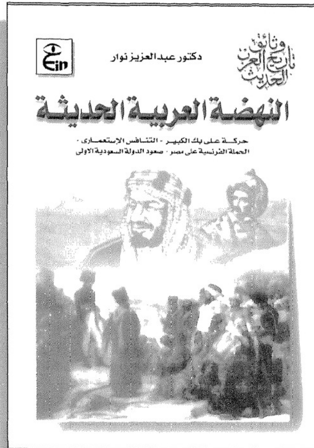
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 -X

دار روتنريست للطباعة ت ٧٩٥٢٣٦٢٠ - ٧٩٥٠٦٩٤

مهندس / يوسف عر

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق

sharif mahmoud







للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES